

اتحاد المسلمين

الاسلام : ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله

« نظرات في مدنية العالم ومذاهبه السياسية والاجتماعية »

الفه في اللغة العثمانية

الكاتب الاجتماعى الحر

مehmet نوري بك

ونقله الى العربية

عبد الوهاب عزازى

المصري

صهيرة طاهر

القزائى

حقوق الطبع محفوظة

سنة ١٣٣٨ — سنة ١٩٢٠

« سترجم هذا

الكتاب الى لغات

اوربا الثلاث .

أليس جديرا بنا

ان نترجم الى

العربية ؟ حسي

ان أقول انه

كتاب جدير جدا

بعناية كل من هم

بمستقبل الاسلام

والمسلمين ؟

محمد فريد بك

رئيس الحزب

الوطني

obeykandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التعريب

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على رسوله صاحب
الخلق العظيم . وعلى آله وصحبه وسائر الانبياء والمرسلين .
أما بعد فهذا كتاب من آثار مؤلف عثمانى مطلع ، وكاتب شرقي
كبير ، ألفه باللغة العثمانية عقب حرب البلقان (سنة ١٣٣١ هـ سنة
١٩١٣ م) وسماه (اتحاد اسلام) . ذلكم جلال نوري بك أحد
كبار الحقوقيين الأتراك وكبار الكتاب الاجتماعيين السياسيين
وأحد رجال الصحافة العثمانية الذي ينشر الآن صحيفة (ايلرى)
وذلكم مؤلف الكتب (رأي في القانون الدولي) و (تاريخ
تدنيات عثمانية) و (مقدرات تاريخية) و (خاطرات الشمال) فيما
رآه في سياحته ببلاد روسيا .

وقد وددنا أن يكون لنا تاريخ مفصل في سيرة هذا الكاتب
الشرقي الحر . ولكن حال دون الأمنية اضطراب العالم واختلال
البريد . وحسبنا أن نقول انه جمع بين التريتين الشرقية والغربية

ونال لقب « دكتور » في العلوم الاجتماعية من فرنسا فكان من علمه وذكائه هذه الآثار العظيمة والآراء السديدة . وكان من أعلم الناس بسياسة الغرب والشرق وأحوالهما . وأن هذا الكتاب الذي ترجمناه لأحد البراهين على مقدرته وعلمه .

نظر المؤلف في هذا الكتاب نظر بصير حاذق وكتب في ماضي الاسلام وحاضره ومستقبله كتابة مؤرخ حريص حتى لقد غلا في حريته أحيانا وذكر طرفا من شؤون المسلمين في أرجاء الارض . وبين مكان الضلال والخطأ في زعم من يتوهم أن كلمة (الاتحاد الاسلامي) غول يهدد سلام العالم وينذر المدنية الحديثة بشر مستطير . فأزال الشبهات وكشف الغاية وأوضح السبيل وأعلن أن غاية الاتحاد الاسلامي سلام ورحمة للعالمين ، وأنه سعي الى انقاذ سدس البشر من الجهالة والفساد وأنه أسمى أمل مدني ، وأرقى بالناس من طمع المستعمرين وجشع المالبين ، وغير ذلك

ومهد لذلك بكلام في المدنية وأقسامها ونظرات عامة في الاسلام كما فصل الكتاب بين أساليب الاستعمار الاوربي وقواعده ، وحق الاستعمار ، وكتاب السير بلغت الى مؤتمر الحزب الوطني المصري المجتمع في بروكسل سنة ١٩١٠

ثم ألحق بالكتاب مقالات في هذا الموضوع بأقلام جماعة من

عظماء العالم الاسلامى ، مثل الرئيس الخالد الذكرك محمد بك فريد رئيس
الحزب الوطنى المصرى والاستاذ الكبير المجاهد الشيخ عبد العزيز
جاويش ، والكاتب الكبير على باش حانبه التونسى ، ومثل الشاعر
العثمانى النابغة عبد الحق حامد بك ، وأبى الأدب العثمانى الحديث
وزعيم الأدباء الأحرار نامق كمال بك (ومقالة نامق بك ، مكتوبة منذ
٤٧ عاماً ومنقولة عن جريدة « عبرت ») ومثل الكاتب الفاضل
الحر سليمان تظيف بك والصحفى الكبير ظفر على خان صاحب جريدة
(زميندار) الهندية .

وأما دعائنا الى الترجمة حرصنا على أن ينشر مثل هذا الكتاب
الوحيد ويذاع باللغة المسلمين العامة — اللغة العربية . ورجاؤنا أن
يعطى المسلمين خاصة والشرقيين والمستضعفين عامة في هذه الخطوب
المدهمة والعواصف الشديدة وكذلك أردنا أن نعلم القائلين بغير علم
من شبائنا . والسائرين على غير هدى وراء أوربا فى حقها وباطلها
أن اتحاد الاسلام لا يمنع مودة غير المسلمين وأن المدنية ليست التبرؤ
من الاسلام والزراية على تاريخه وحضارته ، وأن الشرق ليس كما
يتوهمون مباءة كل شر وأن الغرب ليس كما تخيل ضلالاتهم مرجع كل
سعادة . وأن حياة الانسان أن يعرف نفسه قبل أن يعرف الناس

وأنهم إنما أتوا من جهل وغرور ، وابتلوا بكل بلية حين حقروا أنفسهم
ونسوا تاريخهم .

وكدنا نترجم الكتاب ترجمة حرفية حتى حافظنا على المعنى
الأصلي في صورته جهد الطاقة وحتى حافظنا على نظام المؤلف في
كتابه — وقد أكثر المؤلف من المفردات والمركبات الأفرنجية
فرأينا أن نبقى ما كتبه بالحرف الأفرنجي ونكتب معه ترجمته إن كان
قد وضعه جزءاً من الجملة ولم يكتب معناه بالتركية . وأما ما كتبه بالخط
العربي فحفظنا منه ما وضعه بين قوسين وترجمنا ما استعمله في سياق
الكلام استعمال الكلمات التركية . وكتبنا في الحاشية ما أخذناه على
المؤلف في آرائه . أو كان لابد منه لبيان اسم أو مذهب غير معروف
عندنا .

ولو كان لنا من الوقت سعة ومن الفكر فراغ ومن القلب هدوء
لمكانت كتابتنا أبلغ ، وأسلوبنا أقوم ، وشرحنا أبين وتقدينا أوفى . ،
وعسى أن يكون هذا العمل أول حلقة في سلسلة الأعمال الصالحة
التي نسأل الله أن يهدينا إليها في خدمة العالم الإسلامي والعالم الإنساني
من ورائه فأنا لموقنون أن هذا سبيل المدنية الحققة وطريق الإنسانية
العامة والعدل الفطري الذي لم تغيره أهواء المضلين والانصاف الألهي

الذى لم تخطر له طريقه ما آرب المستعمرين الطامعين وحسبنا الله وبه
ثقتنا وعليه توكلنا

عبد الوهاب محمد هزاعم
المرى

صهزة عارف طاهر
القازانى

الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨



مقدمة

تقسيم فارس تقسيماً سلمياً بين إنجلترا وروسيا ، واحتواء فارس والأسرة الادريسية التي تدعي الخلافة بحماية فرنسا ، واستيلاء إيطاليا علي طرابلس الغرب ، وإخراج البلقانيين الدولة العثمانية من البلقان ومظاهرة كل الدول العظمى لهم مظاهرة رسمية ، واتفاق انكلترا وروسيا ومسايرة فرنسا لهما ، وارتقاب تصادم الجامعتين الجرمانية والسلافية اليوم أو غداً ووقوف انكلترا في سبيل ألمانيا للدفاع عن كيانهما ، ويقظة الشرق الأقصى ولا سيما اعلان الجمهورية الصينية ، كل أولئك يهيء للتاريخ طوراً خطيراً وينهى فصلاً من فصوله الماضية . وكذلك تدل هذه الحوادث على تغير في خريطة العالم وتحول في الأمم جدير بالعناية جداً . ومن الأمور العظيمة التي لا ينبغي أن تعزب عن أفكارنا تغير الآراء والنظريات والأحاساس بل تكاملها (بعبارة أصدق) على قدر هذا القلب السياسي . أريد أن أقول هنا أن وسط القرن العشرين الذي لا نزال في أوله سيشهد تغيراً يقطع كل شبه بينه وبين القرن الماضي . وستحل المسائل التي لم تحل إلى الآن والتي لم يمكن حلها وتقوم بين الدول موازنة جديدة . كل العالم يتأهب للحرب على تحرز منها . وعاقبة هذه البقظة

والانتباه ان تسمى الأمم المحكومة لاسترداد حقوقها في تغير نظام
الامبراطورية . وفي هذه الضوضاء تهرم بعض الأمم : كفرنسا
وانجلترا ويظهر بعضها كاليابان ويخشى طلوع بعض الأمم كالمسلمين
والاحباش وتتخلى المؤثرات السياسية القديمة عن موقعها لبعض
المؤثرات الجديدة : هي المسائل المالية والاقتصادية التي تسيطر على
العالم اليوم .

الغرب يضيق على الشرق والعاقبة الطبيعية لهذا رد فعل يؤدي
الى أكبر ثورة واتقلاب في آسيا فان قانون الاضطراب يحتم هذا .
ما الشرق وما الغرب وما الاختلاف السياسى والوطني والجنسى
والاخلاقى والنفسى والحسى بين هذين العالمين وهل يمكن ائتلافهما
أولا ، وكيف يعرف الاسلام فى الوقت الحاضر ؛ وما مقدار علاقة
الاسلام بماضيه ؛ وأى عمل يستطيع أن يقوم به فى المستقبل ؟ ومن هم
المسلمون وما مقدرتهم ؟ وهل هم جماعة سياسية اجتماعية ؟ وبأية غيرة
يجب السعى لاتقاذ المسلمين الذين هم سدس البشر والذين هم ضعفاء
اليوم حتى ينجوا من الأسر ثم يؤدوا فرضهم فى المدنية .

هذه المسائل على عمومها لم تبحث حق البحث الى اليوم لا فى
الشرق ولا فى الغرب . وان يك كثير من كتاب أوربا بحث فى
الاتحاد الأسلامى فانهم لم ينظروا من هذه الوجهة العامة كما قلت . ولا بد

ان تقول هنا ان الجامعة الاسلامية دخلت في النزاع القائم في الغرب فلم يكن من الغربيين من نظر فيها خاليا من الاهواء والمآرب السياسية والوطنية عادلا منصفاً . وأما نحن الشرقيين فلا ننسا لم تعود النقد والتمحيص بأساليب الأوربيين بقي تديرنا في هذا الأمر عقيا (مع الأسف)

وها نحن أولاء في هذه العقبات التي لم يقتحمها التاريخ نبين جهد طاقتنا مسألة لا نغير لها في العظم والفائدة وظنى أن خطر العمل يعفو عما يكون من الخطأ

ويجب التجرد في فحص الاتحاد الاسلامى من كل المآرب حتى من آثار البيئة والزمان . لأنه اذا كان من الصعب كتابة التاريخ وتقد الوقائع السالفة تحت سلطان الاهواء الحاضرة أو غلبة آراء وعواطف هذا العصر فعلى قدر هذا يصعب فحص المسألة الإسلامية مع خدع الافكار والأهواء الجارية الآن . بل مسألة الاتحاد الاسلامى أصعب من هذا لارتباطها بالمستقبل .

طلما أدى سير الأحوال الى كذب الأحساس . واحاطة الأمور بنا تمنعنا أن نحكم بالعدل في أحوال الوقت الذى نعيش فيه . وقد قيل في المثل المعروف (ان السمك الذى يعيش في البحر لا يعرف البحر) فكذلك لا يعرف كثير منا الحال الحاضر لما يحيط بهم من آلاف

الأسباب والدواعي . فإذا لم نبعد الحوادث منا وتقطع كثيراً من علاقاتها ونعطيها شكلاً تاريخياً محضاً كبرعائنا أن نفهمها . هنالك حقائق وراء ما نظنه حقيقة ولا تقدم علماء يدعون أنهم كشفوا حقائق أخرى بأسلوب آخر حتى في الرياضيات . ومن أجل هذا ينبغي ألا نسمى أبصارنا بعض الحقائق المصطنعة والخطط الرسمية وبعض العهود والشروط ولنصعد جهد الطاقة فوق الأمور الاقتصادية والتعصب القومي والاجتماعي ومسائل التاريخ ولنجتهد في فقه المسألة الإسلامية (التي هي إحدى المسائل الأعم نتائج والاكثر فوائد بين مسائل الزمان الماضي والحاضر) بالفكر المار والنظر المطلق

وتلك قضية ترتبط بالحاضر والتاريخ كذلك لان الاسلام يستمد رفعة وعلاؤه من الماضي .

ان سياسة الامبراطورية تكاد تكون مسألة اسلامية وهذه السياسة أساس السياسة الحاضرة في أوربا بل في العالم كله فعلينا في تمحيص الاتحاد الاسلامي أن نقدر امبراطورية انكلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا وإيطاليا واليابان وأمريكا وأوربا كلها نقداً كافياً . فإذا عرفنا علاقة الاسلام بالماضي والدعام التي قام عليها في ذلك الزمان ثم أنعمنا النظر في المسائل الحاضرة كان لنا أن نتكهن بما يكون في المستقبل .

وكنت أود أن يكون كتابنا كبيراً وأن نفصل أساليب معيشة المسلمين في هذا العصر لان المسلمين في حاجة الى مثل هذه المعلومات من أجل تعارفهم . ولكنى لن أضمن كتابى معلومات كثيرة على كثرة بحثى في هذا الشأن على الخصوص . وذلك بان عرض هذه المعلومات المفصلة على القراء يحتاج الى معرفة بعض المسائل معرفة اليقين . وكيف والامور المتعلقة بالمسلمين كثيرة مختلفة على قدر تشتت المسلمين ومعيشتهم في أقاليم مختلفة تحت سيطرة دول شتى . ومع أن لنا صلات متينة دائمة مع مصر وتونس والجزائر والهند وماليزيا وروسيا وغيرها من بلاد المسلمين يعسر علينا أن نأخذ عنهم ما نريد . لان الشرق لا يرى الامور رؤىة الاوربيين وذلك بانه لم يتعود الفحص والتحري والاجتهاد والتفكير المطرد والنظام في الطراز الاوربي . وهذه الاحول المشتتة وانفوضى في الشرق لا تجعل كتابنا مرجعاً لمعرفة بعض المعلومات العملية . وسيتضمن كتابنا مع المعلومات الكثيرة الراجعة للاسلام أفكاراً وآراء ونظريات وآمالاً اسلامية ومسائل شرقية وكثيراً من سياسة أوربا ونظام امبراطوريتها وأن يتح لنا جمع معلومات أخرى فان تكرر في نشرها كتاباً آخر

وبعد فبأية صفة وكفاءة نكتب هذا الكتاب أظن أنه يلزمنى أن أستجيب لهذا السؤال الذى عسى أن يتبادر الى عقول كثير من قرائنا

شغلنا منذ خمس سنين بمسألة الاتحاد الاسلامي ، وفرغنا لها ، وكانت لنا صلات مع أنصار الاتحاد بين مصرى وتونسى وجزائرى ومراكشى وعثماني وهندى وروسى ، وقابلناهم وراسلناهم ، واشتركنا فى جدال سياسى باقلامنا ، وتدخلنا فى المنازعات السياسية الواقعة فى الممالك المختلفة ، وقرأنا ما كتبه كتاب أوربا فى هذا الشأن وتقديناه ، كما تتبعنا منذ عهد بعيد وبلا انقطاع سياسة أوربا من حيث الاسلام . وكذلك أعطينا كل هذه المساعى بعض الكفاءة لكتابة هذا الكتاب . وعلى كل حال نعتز بعجزنا . وانما جرأنا على التأليف ان أرباب الاقلام الاقدر منا لم يهتموا بهذا الامر الى اليوم هذا ومسألة أخرى أعرضها على أنظار المفكرين :

كثير من رجال مملكتنا لا يكاد يسمع الاتحاد الاسلامى حتى يفرق ويرعد يخافون أن تثير هذه الافكار الغضب العام على دولتنا وأن تصيبنا بمصائب كثيرة ويكررون هذه النعمة « من يحتاج الى المعونة كيف يعين غيره ! » ويسمعوننا كثيراً مثل قولهم نفكر فى مصالحنا أولاً ثم نفكر فى مسلمى جاوه . أو نحن نضيع الروم ايلى بينما نهم بحكم الهند . أو قولهم بمثل هذه الاوهام أثرتنا ايطاليا علينا . ونحن نأسف لكل هذا الاعتراض ونظن أن الذين يذكرون هذه الاقويل لم يطلعوا على التعريف الطاهر للاتحاد الاسلامى . بينما الاوريون

يجدون في قياس الجبال والتلال التي في القمر نجهل نحن العالم الاسلامي الذي نحن فيه ونغفل عن محيط عظيم أخلاقي واجتماعي وسياسي نعيش فيه . أليس ذلك يحق ذنباً لا يغتفر وقتوراً لا يحسن ! الاتحاد الاسلامي على ما يفهم من الفصول المتعاقبة الآتية قد يأتي بفائدة كبيرة كما يمكن أن يأتي بضرر عظيم .

ومهما يكن فجهلنا قضايا تشغل العالم الاسلامي والمسيطرين عليه وأوربا كلها وجميع العالم ، جهلنا بذلك (عفوا عن هذا التعبير) جناية كبيرة . ولا أظن أن اهمالنا أحوال المسلمين ونحن في حاضرة الخلافة يتفق مع شيمة البحث وأسلوب النظر المعروف عند الاوربيين . فلنبداً بمعرفة العالم الاسلامي والأعمال المتصلة به ثم نخطط خطتنا . ثم غضب أوربا من مثل هذه الكتابة معناه أنها مستعدة للغضب جداً . واذن لا نأمن أن يهيج هذا النمر المنترس بغير هذه الاسباب . فما خطر هذا الكتاب وأمثاله ؟

ويجب ان نوضح مسألة أخرى في خاتمة مقدمتنا : بعض أرباب الحرية الفكرية وأنا من القدم أفر بائني من أنصار هذه الحرية — يحسبون الاتحاد الاسلامي قضية دينية ويرون الكتابة والسعي في هذا السبيل ضرباً من الرجعة (١) . وقد قلنا كثيراً ان الاسلام حقيقتين :

(١) نحن لا ندري لم يعد انصار الحرية الفكرية الكتابة في الدين ضرباً من الرجعة ولا نخاله الا شططاً في الحرية كشطط غيرهم في الجلود

دينية وسياسية ولا نبحث هنا في الجهة الدينية فلدين مرجعه للوجدان
وانما اهتمامنا هنا بالوجهة السياسية والاجتماعية . المسلمون أمة واحدة
والأسلام كما قلت مراراً أكسير كيمياوى يوحد العناصر المختلفة . فثلاثمائة
مايون محمدى يؤلفون اليوم أمة واحدة وكتلة متحدة . وأظن أن السعى
فى تكميلهم وترغيبهم فى الرقى وخلق أسباب علائهم أمنية انسانية مدنية
لا تقرب منها امانى الامبراطوريين فى اوربا . فلذلك نلوم الذين يتهمون
أنصار الاتحاد الاسلامى بالارتداد وقتل الحرية الفكرية ونحجهم بأعلى
صوتنا . ولا مريّة ان طلب تخليص سدس بنى البشر ورفعتهم وتمهيد
السبيل لطائفة كل انسان فى معيشته أشرف وأجمل من خيالات
الاوربيين المجددين فى تأييد نظريات المالىين . وعد الناس بالامتقوما فى
المستعمرات المختلفة

وها نحن أولاء نقصد الى الجدل فى بيان الاتحاد الاسلامى بقانونه
لنرى مكانة الاسلام فى الماضى والحال والمستقبل ومع هذا نحتاج
الآراء الفاسدة الافنة الرائجة فى مملكتنا هذا الحين ، وبهذا المقصد
فحسب ومع البعد من كل تأثير نعرض هذا للنقد قرائنا .

يکى کوى ۳۰ كانون أول سنة ۱۳۲۸

محل نوری

نظرات عامة في الإسلام

كل عقيدة وكل دين بل كل شيء محكم ثابت هو أثر الضرورة والحاجة ، وبقاء هذه الحاجة أو زيادتها يؤدي حتما الى دوام أو رفعة ما أنتجته من العقيدة أو الدين . وكل شكل حكومة ، أو مذهب أو أمل سياسى لا يبقى اذا لم تسنده الحاجة .

فكل مأساة حاجات البشر النفسية أو الجسمية يكاد يبقى في كل زمان سواء أكان مظهره نظام حكومة أم كان دينا ومذهباً ومن أجل هذا يلزمنا اتباع هذه القاعدة في بحث تاريخ الاسلام فلو أن هذا الدين كان أثر آمال أو أفكار لرجل أو طائفة ففسب ما بقى على الدهر ثلاثة عشر قرناً بهذا الرونق والعظمة ولا ضمحل ومات كل جنين الساقط أو بقى أعجوبة بين العالمين .

ولاشك ان سيطرته ورفعته في الماضي وتقدمه اليوم في آسيا وأفريقية بعد اضمحلال الدولة الاسلامية أكبر دليل على أنه كفيل بحاجات البشر . فالاسلام دين طبيعى ومنطقى . واذا تنزهنا عن الاوهام والاباطيل والظنون والخرافات ونظرنا في الاسلام نظره مؤرخ وجدنا هذه الحقيقة القينية .

لم تكن اليهودية ولا النصرانية كافية لحاجات الناس قبل ظهور
النبي (صلى الله عليه وسلم) . وكما أن العالم اليوم لا يكتفي بأساليب
السياسة القديمة ويظهر افتقاره الى نظم حديثة — كذلك لم يف بحاجات
الناس في عصر البعثة لالعقائد الحنيفية الفطرية ولا القوانين الاسرائيلية
العتيقة ولا ما يلقنه رهبان النصرانية التي هي أحدث من غيرها .
وأكبر دليل على أنه لا فرق كبير بين حال آسية وأفريقية الآن وحالهما
في ذاك الزمان أن عبدة الاصنام في هاتين القارتين لا يزالون الى
اليوم يوقنون أنهم باسلامهم يرفعون أنفسهم درجات في الاجتماع
والإنسانية فيدخلون في الدين أفواجاً

ولو أن النصرانية واليهودية والمجوسية التي كانت رائجة في ذاك
الزمان كانت كافية لسعادة الناس المادية والمعنوية مانشر النبي (صلى
الله عليه وسلم) الدين الجديد مع ذكائه وفراسته التي لا تنكر (١)
ولكن الناس كانوا في حاجة الى عقائد ونظم حكومات أقرب الى
العقل ، وأدنى الى النظام والترتيب ، وأقوم ، وإلى اصلاح أساسى ،

(١) ذكر المؤلف أنه يكتب هذا الكتاب من الوجهة الاجتماعية
والسياسية وذكر أنه يكتب بقلم المؤرخ لا بقلم المسلم ولكن مع هذا
لا نتجاوز له عن مثل هذا التعبير الذي لا يليق بالجناب المحمدي
صلى الله عليه وسلم . وليس هذا مكان التفصيل

ومجديد في كل شيء ، وقد أثبتوا رشدهم الجدير بحالة جديدة كالتي ذكرناها ، وبذلك انتشرت الديانة الاسلامية في زمن قليل جداً ما بين (ليون) منتهى الحدود الوسطى الفرنسية الى الهند والصين وجزائر ماوراء الهند وأقاليم أفريقية المظلمة .

الاسلام هو المثل الاعلى والصورة المهذبة المعظمة المكبرة من النصرانية واليهودية ، كما أن البرتستنتية اصلاح الكاثوليكية (٢) ولا فرق من حيث الاصل عظيم بين الاسلام وبين النصرانية واليهودية التي يمكن أن نعرب عنها بكلمة (كلاسيك) فحقائقها كلها واحدة . لكن أقدم هذه الاديان الثلاثة السماوية الالهية أضيق وأقل أحكاماً وأقرب الى الابتداء .

وهذا الدين القديم نفسه اتسع حتى عم أحكام الدنيا والآخرة وارتقى تبعاً لقانون التكامل فجاء في صورة الاسلام

(٢) وكذلك لانجيز له هذا التشبيه فأنا مع اعترافنا بأن القرآن صرح في مواضع عدة بأن الاسلام شرائع الانبياء جميعاً (شرع لكم من الدين الخ) (ان هذا في الصحف الاولى الخ) مع اعترافنا بهذا واعترافنا بأن دين الله واحد في كل زمان ومكان لانستطيع أن نقارن بين الاسلام الذي بعث الاديان الحق وخلقها خالقاً جديداً وبين اصلاح البروتستانية الذي كان يستطيعه كل انسان له جرأة يؤزر على البابا . ترجمة

وقد كانت اليهودية دين قوم واحد فلم يكن ذا صبغة عمومية
ولذلك توجد رائحة الجنسية اليهودية وصبغتها في أصول الشريعة
ولكن النصرانية أرادت حتى في أول أمرها أن تحكم في شؤون
البشر كله لافي أحوال يهود فلسطين فقط فلذلك كانت حقيقتها أع
وأشمل وأوسع *

وأما الاسلام فقد خلف اليهودية والنصرانية والمجوسية المختلفة
فجاء بالعقائد وقوانين السياسة والاجتماع والقضايا النفسية الكبيرة
فكان بلا ريب فوق الأديان كلها وكان بالحق أهلاً لنسخ الشرائع
السالفة وإبطالها . وبينما كان الاسلام يفيض ويعلو في الشرق كان
أهل الغرب يتقدمون في عالم النصرانية وكان من هذا أن الخلاف
الديني الشديد والصليبيين ومحامى التفتيش وتعذيبها الناس بالاحراق ومساائل
الشرق شغلت الناس بغير حق وأصابتهم بالحن منذ ثلاثة عشر قرناً
لا ريب أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) أكبر النفسين وأكبر
أولى العزم الذين ظهوروا في العالم الى اليوم وأن هذه النفس العظيمة
المبجلة هي التي عرفت حاجات ثلاثمائة مليون من البشر في آلاف
السنين فأتت بشريعة كفيلة بذلك : (١)

(١) هذا الكلام من الضرب السابق الذي عناه على المؤلف
ولكن كتابته كتابة المؤرخ واهتمامه بأن يرد على أوروبا من جنس
ما تعرف وتكتب يجعل له بعض العذراء المترجمان

وأن التاريخ لا يعرف نجاحاً كهذا النجاح حتى لقد خفيت هالة شرف ساكياموني وبودا وانطنأت في أشعة الشمس المحمدية . وأن الذي استطاع أن يمثل جماعات البشر والأمم والأقوام بهذه الوسيلة السماوية الخارقة للعادة هو الاسلام وحده (فهو كاسمه) . ولم تستطع روما حاكمة العالم في الزمن القديم ولا بريطانيا المسيطرة على أكبر أقاليمه اليوم (والتي رعاياها أكثر من عدد المسلمين كلهم) أن تظهر هذا الاستعداد للتمثيل والتجسس

لم يسع الاسلام لصبغ الأمم بصبغته بالقوة والشدة كالرومان والانجليز والروس والفرنساويين

وان الهنود والمصريين والجزائريين ليفرون اليوم من أن يكونوا فرنسيين أو انجليزاً كما كان الناس في الزمان السابق يدفعون عن أمهم بقوة السلاح خيفة أن يصيروا رومانين . ومع هذا كان الداخلون في الاسلام يهرعون اليه وبأيديهم عرائض الاهتداء يرجون أن يشرفوا بشرف الاسلام حتى انهم لا يكادون يتركون عقائدهم القديمة حتى يفتدوا دينهم الجديد بعباداتهم وقوميتهم ولغتهم

لأن الاسلام وضع ليكون رابطة أخوة أسمى من كل رابطة وفوق الأمم والعصبيات والاجناس كلها فلا تكاد تقرر العصبية الخاصة بالاسلام حتى تفقد كل قيمة لها

ولقد كان الناس حين ظهر الاسلام كما هم اليوم في ملل من
الخلاف الديني ونفور من العصبية القومية ومطامعها فوجدوا هذه
الرابطة الاخوية في الاسلام طبيعية جداً وملكت أفئدتهم أحكام
(انما المؤمنون اخوة) و (لا عصبية في الاسلام)

وان الاشتراكيين والماليين و (الاستقراطين) الاشراف
ليتفقون اليوم مع تضاد مذاهبهم على نبذ العصبية فليس للعمال والماليين
والاشراف جنسية اليوم ولن تكون . وقد دعا النبي (صلى
الله عليه وسلم) منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف الى هذه المساواة التي
ينتصر لها ثلاثة المذاهب الحديثة المتضادة وأراد تعيمها وجمع الناس
جميعاً تحت لواء الاسلام

ولم يبق هذا قولاً بلا عمل . فان ثلاثمائة مليون من الناس أخذوا
أداب الاسلام وأخلاقه وعاداته وشرائعه ونظام حكومته حين دخلوا
في هذا الدين . ان الاسلام صبغة لا تزول . وان الاسلام لا يرد ما
فتحه . وهو من حيث أساسه دين وحكومة أعنى ذو جهتين نفسية
وجسمانية . ومع ضعف الجهة المادية واضمحلالها على مر الايام لم تفقد
الجهة الروحية خطرهما قط ولم ترد ما أخذت . بل كثرت أتباعها حتى
تحت السيطرة النصرانية الشديدة

وإذا فكرنا بلا تحيز الى رأى رأينا الاسلام اليوم قوة هائلة جداً
تستطيع أن تؤدي في المستقبل أعمالاً مدهشة • وأن اتحاد المسلمين
قائم اليوم مع ذل المسلمين هذا الذل السياسى بل الحق ان هذه الاضافة
(اتحاد الاسلام) (بان اسلاميزم) فضول لان الاسلام فى معناه
يتضمن هذا الاتحاد • وهو قبل كل شئ وشيجة نفسية • وأصرة لا
تعمل فيها مدافع كروب وشنايدر • ولا يبعد ان تتصور هذه القوة
بصورة مادية وان هذه الروابط — اذا نظرنا بلا تأثر — لا تحل
بأية قوة مادية

وكل ظلم وعسف من عالم أوربا النصراني يزيد هذه الرابطة قوة
فللاسلام قوة التمثيل وليس له صفة التمثيل (١) ويدخل فى الاسلام
ولا يخرج منه • ان أثر المعمودية يكون بالماء ويزول بالقول ولكن من
يدخل فى الاسلام يختن ومحال ان يعود المختون الى حاله الاولى •
الاسلام فى عصرنا هذا مقهور من حيث السياسة وتابع للنصرانية
وحكوماتها ولكنه اذ فقد حريته لم يفقد قلبه ولا عقيدته ولا آماله
ولا عصبته ولا لغته • فما النصرانية فى البلاد التى أكثرها مسلمون

(١) يستعمل المؤلف لفظى تمثيل وتمثل فى صيغ أمة أمة
أخرى بصيغتها واصطباغ هذه الامة الاخرى ، وقد أخذها
بالاشتقاق القياسى والسماعى اه مترجم

الا نزيلا وقد رأى الهند كثيراً من الفاتحين منذ عهد اسكندر المقدوني وهذه الارض الواسعة ترتقب الآن بصبرها وتوكلها المعروفين زوال الانكاييز • وكذلك مصر خضعت لكثير من المستولين من عهد اسكندر هذا ولكن روحها الصبور ينتظر في قمم الاهرام ان يرجع الجيش الانكاييزى من حيث أتى كما رجعت الجيوش من قبل • وكذلك شمال أفريقية تتربص باللاتين زوال سلطانهم منذ زمن بعيد والمسلمون لم يتعبوا بالمدينة الصناعية مثل الغرب فليسوا بمنهوكين وقد استراحت أعصابهم ولم تعان المتاعب الكثيرة أدهمتهم • وقد نشطوا وعظمت آمالهم بمحاكاة أوربا وبأخذ قوانينها وعاداتها وآلاتها وأدواتها وان جناية البنغالى فى الهند والوردانى فى مصر هذه الجناية السياسية لذات معنى كبير •

ولاشك ان المسلمين فى هذه السنة سنة ١٩١٣ ميلادية اكثر يقظة من قبل • فاحترأز أوربا وخوفها وقلقها طبعى • وان الكتاب الذى نشره سفير فرنسا السابق فى طهران فى احوال الهند ومصر باسم مستعار (أوجن أو بن) ليين حيرة الانكاييز وخوفهم مما وراء قناة السويس وانه لقلق طبعى يسهل معرفة مصدره •

وهذه خطة الأوربيين فى المستعمرات : استمرار الحكومة

النصرانية بقدر المستطاع • ولهذا لم يدع الأوربيون المستعمرات ملكاً لأنفسهم

لن يترك الانكليز بعد خروجهم من الهند والفرنسيون بعد ذهابهم من شمال أفريقيا الاالقنوات وسكك الحديد والمرافىء وغيرها من العمارات • ولن يكون لهم اثر غير هذا • وسيبقى المسلمون على سجايهم الاولى وأخلاقهم ويبقى الاسلام كما كان ، لم يضعف ولم يقل أهله • لم تستطع أوربا تمثيل المسلمين الذين استولت عليهم كما مثل المسلمون الاقوام المختلفة فى الزمن الاول • فما استيلاء أوربا الا كما كانت تنزل القوافل فى مكان للاتجار اياماً ثم ترحل • كلما اشتدت حكومات أوربا فى ظلمها ازداد المسلمون قوة فى أخلاقهم وإيمانهم وعقائدهم •

وكل علماء التاريخ يعرفون ان القوة التى تدفع الناس وتصرفهم انما هي القوة النفسية • ولن تغلب الآمال القومية والعواطف الدينية بالمدفع والبندقية والطربيل أبداً ، فهذه أشياء مادية تحتاج الى هدف مادى والقوى المتصرفة بالناس بادى ذى بدء قوى روحية لا يعمل فيها الرصاص •

ذلكم ماضى الاسلام وحاضره ومستقبله فى كلمات معدودة

المدنيتان

المدنية الصناعية — والمدنية الحقيقية

ينفعنا جداً أن نقسم المدنية قسمين : مدنية صناعية ومدنية حقيقية

يعد كبراء الصين ورجالها أمهم أكثر أم العالم مدنية •
واذا قابل أحد (المندارين (١)) أوربياً وحادثه فهذا أول ما يقوله له.
وكذلك لا يعترف أهل الصين الذين ساحوا في أوربا وأمريكا
وخبروها والذين عاشروا الغربيين سنين عدة بل المتزوجون
بالأوربيات ، أن مملكتهم أقل مدنية من ممالك الغرب •
ويشاركون في ذلك أهل الاسلام في غير الممالك العثمانية
واليابانيون لا ينظرون الى أوربا بعين الرضا •

وكبار البراهمة في الهند ينظرون الى مدنية أوربا نظر السخرية
فهل هذه الآراء صواب أو خطأ ؟ وهل مدنية أوربا حق أو
باطل • وهل الناس في غير أوربا وأمريكا ليسوا مدنيين في الحقيقة
وهل هم همج متوحشون

(١) لقب رجال الحكومة في الصين

إذا قسمنا المدنية قسمين علي النحو الذي بينا أممكننا أن نجيب هذه الاسئلة مع السهولة . وإذا لم نستطع هذا التقسيم عجزنا عن الاجابة وكان تهويشنا سبباً لضلال النظر ولضرر في الآراء والافعال عظيم نعم المدنية في اعتقادنا نوعان : صناعي (تقنيق) وحقيقي فأوروبا وأمريكا في أعلى درجات المدنية الصناعية والشرق في ذلك همج . على حين أنه من جهة المدنية الحققة — أقول ذلك بكل جرأة — لا أظن أن عالم أوروبا والنصارى لهم في المدنية نصيب ! . . . فلنحل القضية :

الصناعة — بلغ الغرب من المعرفة غاية بعيدة وقد انتفعت أوروبا من نتائج العلوم والفنون أي انتفاع . والصناعة هي التي تنسق حياة أوروبا اليوم وتنظمها حتى صارت أساس الفلسفة . وقد تخلت العواطف والآداب عن مكانها في الغرب للحساب والمساحة . وقد أخذ العمل والاقتصاد والآداب في الامم الغربية صورة مادية على توالي الانقلابات الكثيرة فظهر عالم آخر صناعي جديد . وأوروبا مدنية من هذه الوجهة وأوروبا هي التي قدمت المدنية كثيراً . والحق أن بين العالم في العصور الماضية والعالم في هذا العصر بوناً بعيداً . وآسيا وأفريقية من الماضي وأمريكا وأوروبا من الاستقبال . وقد قلبت الصناعة الدنيا القديمة رأساً علي عقب . ومن حيث أن هذا النوع من المدنية يستند على

الفن وبراهين الرياضة لا تتصور مدنية غيره • ويستحيل الرقي قبل اخذه واقتباسه لأن العقل لا يعرف الرقي والتكامل بأسلوب غير هذا وليس في هذه ائدنية ما يخشى لأنها لا تتصل بالنفس والعاطفة والاخلاق •

واذا أرادت أمة غير راقية أن تترك نظامها القديم فليس لها الا امثال هذه المدنية التي لا تقبل التجزؤ وأن يؤخذ بعضها ويترك بعض ان كان لا يوجد نوعان من الرياضة ولا أنواع مختلفة من الكيمياء ولا حكمة طبيعية للشرق وأخرى للغرب ولا منطق أسيوى ومنطق أوربى، ولا يمكن أن يكون فليس لنا الا أخذ المدنية الصناعية على حالها ألم تر لليابان المعظمة كيف عرفت أنها لا تستطيع الثبات في معترك الحياة بالصناعات القديمة فأخذت مدنية الصناعة الأوربية بقوة كماهى، فأدخلت في أرضها كل معارف أوربا، ولم يحاول رؤسبأؤها اصلاحها ولا تعديلها لأنها لا تختلف باختلاف الامم والأقاليم والزمان والمكان. أرسلوا رجالا الى أوربا ودعوا منها معلمين ونظروا ما هذه المدنية الصناعية وبأى وسيلة تعرف في المملكة ويمكن الاستفادة منها. وواصلوا اجتهادهم ودأبوا حتى كادوا يبلغون اليوم مستوى أوربا وحتى نافست تجارتهم تجارة أوربا لا في الشرق الاقصى والمحيط الهادى فحسب بل في أسواق أوربا نفسها . واستغنت مصانع (نيبون) عن

الغرب حتى في صنع الدردنوط . لا بد للحرب من آلاتها فاذا التقى
مقاتلان في يد أحدهما حربة أو سيف وفي يد الآخر « موزر » لم
يصعب معرفة أى العدو ينظر بالآخر . وكذلك الامتان في معترك
الحياة أخذت احدهما عدتها من الصناعة الكاملة ووقنت الأخرى
بالفنون والعادات القديمة والاساليب العتيقة •

اليابان ففقت هذا قبل أن تنزل دول أوربا بساحتها فلم تقصر
في المسارعة الى المدنية الصناعية تنقلها وتستنبط منها . فقد مكنت
لنفسها في الشرق الاقصى •

ويؤسفنا أن القابضين على الازمة في البلاد الاسلامية لم يفهموا
هذه الحقيقة ولم يميزوا بين المدنية الصناعية وغيرها فغلبتهم أوربا في
زحام الحياة . وحل النصارى في بلاد المسلمين يوماً فيوماً . وكذلك
أنزل المسلمين الى هذا الدرك الأسفل اغفاهم صناعة أوربا . وأما
الحكومة العثمانية فلم تجرؤ على تجربة صناعة الغرب بل الحق أنها لم
تعرف قدرها وخطرها . وسليم الثالث ومحمود الثاني وعبد المجيد
ومصطفى رشيد باشا وأعيان ذاك العصر (مع الأسف) لم تسع أفكارهم
هذه المسألة على عمومها •

ولم تفكر ايران في تجربة هذا قط
والأفغان تنظر اليوم في أخذ هذه المدنية وظنى أنها ستوفق •

والأندلس وشمال أفريقية ومصر (مع الأسف) أفلت قبل أن تفكر
في هذه المدينة

والدولة العربية ذهبت بها قبل حدوث هذه المدينة أسباب
وحوادث تاريخية مختلفة

والعثمانيون قصرُوا في أخذة هذه المدينة بقوة وجراءة ولم تبال
الأحزاب المختلفة بشيء من هذا القبيل. ولم يعنوا بهذه المسائل وأشباهاها
إلى اليوم ولو من الوجهة النظرية

النوع الثاني : المدينة الحقيقية

ونعني بها حسن الخلق ، وكرم السجاياء الانسانية ، وعلاء الافكار .
ومع الأسف لا يمكننا أن نعتزف لأوربا بمدينة كبيرة من هذه الوجهة
فإنها ان تلك تعرف العدل والحق في القوانين الخاصة فما عرقتها في
القوانين العامة فان أساس الحقوق العامة عندها (droit public)
الحكم لمن غلب . والحرب وانفارة والتخريب في أوربا اليوم أكثر
منها في كل أرض . ان أوربا لتشتد الى الغاية القصوى في أسر الامم
التي دونها في الصناعة وتذلهم وتحرمهم حقوقهم وتمنعهم أن يظهرُوا
صفاتهم ونبوغهم ، وهي التي تحول دون عموم هذه المدينة الصناعية
وتخفي أسرار فنون الغرب حرصاً وغيرة وحسداً وأثرة . وأدخلت في
رقها أكثر البشر وعاملتهم معاملة الحيوان والمتاع . وقد بلغ الشقاق

والنفاق بين الأوربيين أنفسهم غاية ، وماكنت طباعهم الغاظة والفظاظة
والقسوة، وقدوا احساس الرحمة في عراك الحياة الصناعية حتى العلاقة بين
الجنسين الرجال والنساء قوامها الرياء والنفاق • وحكومة المايلين المسماة
(كابتليزم) هي المسيطر الاكبر في العالم • ففي فرنسا الحكومة والمطبوعات
والآداب أيضاً مال حلال للمايلين • وهم الذين يهيجون الاهالى
للحرب ويسوقونهم الى مرا كش كقطعان الغنم . والمتصرفون في
حكومة الفلمنك هم مستعمرو جاوة

وأما المتحكمون في مستقبل انكلترا فأعيان برمنجهام وهم
الذين أعلنوا الحرب للجمهوريتى ترنسفال وأورنج وبعثوا باسم الوطن
الجيش الى جنوبى أفريقية وأراقوا بغير حق دم خمسة وسبعين ألفاً
وأنفقوا مائتين وعشرين مليوناً من الجنيهات • كل ذلك فعله أعيان
برمنجهام وحامل لوائهم (تشمبرلين)

والذين يفسدون بين ألمانيا وانجلترا ويهيجون العداوة بينهما هم
الامبراطوريون (امبريالليست)

والسائقون روسيا الى الشرق الاقصى وآسيا الوسطى هم التجار •
وغاية القول اننا اذا أنعمنا النظر في أية جهة لا نجد مدنية أوربا
الحقيقية لا ثقة بهذا الاسم • حتى لو كشط جلد الأوربى لظهر من
تحت واحد من أهل الصليب القدماء

نزد هذه المسألة ايضاً : نحن نرى كل يوم الغلظة متحكمة في طينة هذا الأوربي المدني في الحروب وفي المستعمرات وفي النزاع السياسى والزحام الاقتصادى • فلم يتمدن الأوربي في طباعه ولم ترق أخلاقه — والأخلاق قوام المدنية — كثيراً كما يتوهم • والاجتماع الحاضر مؤسس على العقود الكاذبة وقد بلغت فيه الأثرة منبتها • وأما نفع الناس فليس من خلق الأوربي • وأنه لا يحب البشر ولا يرى المسلمين والمجوس أناسى • وإذا قرنا ما كان يفعله المجوس والمسلمون في عصور الظلمات مع النصارى بما يفعله نصارى أوربا في عصور العلم مع غيرهم — اذا فعلنا ذلك ونظرنا نظر الانصاف فذلك هو القياس الصحيح الذى يوضح الفرق بين المدينتين ومن هذه الوجهة لامية أن الشرق والعالم الاسلامى والصين واليابان فوق أوربا وأن كل ما يراه علماء الشرق في هذه المسألة حق لاشية فيه من الباطل وأن كرم طباع الشرقيين وعاطفة الرأفة والانسانية عندهم وتوكلهم وتواضعهم لجديرة بأن تقدر حق قدرها • من أجل ذلك يجب علينا المحافظة على أخلاقنا وطباعنا ، والعناية برفعها وكما لها في مكانها ، لا أن نترك مدينتنا الحقيقية وتبعية مدنية أوربا غير الصناعية . أذكر مثلاً يبين هذه القضية :

إن اليابان التي ذكرنا رقيها الصناعى فيما سبق تلقت كل معارف

الغرب بقوتها وانتفعت بها ولكنها مع هذا لم ترد أن تقتدى بالمدينة غير الصناعية في أوروبا وحافظت مملكة الشمس المشرقة على أخلاقها وعاداتها كل المحافظة . حتى ليعجب الانسان كيف أخذوا الصناعة واجتهدوا في تجنب المدينة غير الصناعية وعادوها ونفروا منها كل النور فالمعجبون بها ينظر اليهم في مملكة نيبون بعين الازدراء والسخرية . فكما أسرع اليابان الى تلقي المدينة الصناعية سارعت الى المحافظة على أخلاق الأمة وعاداتها .

لا نترك هذا الموضوع قبل أن نذكر أن المدينة الحقيقية نعني لأخلاق والعادات لا يمكن أخذها . وإذا استطاع فرد أن يكتسب أخلاق غيره فلن تستطيع أمة أن تأخذ أخلاق أمة أخرى وعاداتها جملة واحدة . ان هذه المدينة مظاهر روح الأمة ، والروح ولا سيما أرواح الأمم لا تبدل في زمن قليل كما يراد ، حتى لا يكفي تغير جيل من أجيال الأمة بل لا بد من تغير طباع بطون وأنسال كثيرة وتبدل عقولهم المدنية الحقيقية التي تتكلم عنها جماع آداب موروثه وعادات متعاقبة في عصور طويلة وآلاف من آثار الاقليم والتاريخ وغيره فمن المحال تركها واستعارة غيرها بسرعة

لا أقول الشرق والغرب والعالم الاسلامي والعالم النصراني بل أقول ان مدينة فرنسا وانكلترا في غير المدن الكبيرة تختلفان اختلافاً

عظيما حتى اذا تقلنا الى بريطانيا قوانين فرنسا وأساليبها وعاداتها ونظام
حكومتها . وقفت الحياة العامة فيها مرة واحدة . وكذلك تنضب
ثروة فرنسا اذا تقلت اليها مدنية الانكليز .

والخلاصة أن أمة تريد أن ترقى يلزمها أخذ المدنية الصناعية مع
المحافظة على آدابها والتعصب لها والسعى في ترقيتها واعلاء شأنها

الوطن في الهند والشرق الأقصى وإقليم أفريقية المختلفة اذا
تربى تربية الانكليز أو الفرنسيين لم يستطع أخذ فضائلها ولم يسع
آدابها وعاداتها وانما يبوء بأثم الرذائل منها فأمثال هذا لا ينفعون
الأوربيين ولا ينفعون أنفسهم . لاتسع أفكارهم الصفات الأوربية
وانما تسحرهم ألعاب أوربا وأذواقها الصورية ! فيفقدون سجاياهم لأن
السجايا تنال في مدة طويلة ولكنها يمكن زوالها سريعا . ثم يبقى
هؤلاء بين مدينتين مختلفتين فلا يسعدون ولا أنفسهم وحدها

وهم عمدة فرنسا وانكلترا في التجسس وأكبر أعوانها .
فليست كراهية الأمم المتأخرة لأمثال هؤلاء المسارعين الى التمدن
بغير حق وبلا سبب فانهم جديرون بالبغض . والمبشرون النصارى
من هذه الجهة يبعدون العالم من الاخلاق الحميدة . ووأسفا ؟ ان
رهبان الكاثوليك والبرتستنت الاجانب في سورية قد أخرجوا من
الصراط السوى طائفة كبيرة من أهالى ولاياتنا ولا سيما العرب غير

المسلمين . وهؤلاء المبشرون ولا سيما اليسويين (الجزويت) أشعلوا نار الفساد في بيروت ولبنان وما حولها . ولولا الغيرة الاسلامية والصلاية المحمدية لأخذت نار الفتنة سورية من كل جهاتها .

وانا اذا أنعمنا النظر منصفين عرفنا أنه لا يرجي أى خير من هذه الكنائس العربية المختلفة .

وكذلك عمل مبشرى أوروبا في الصين لا يسعون الا لتفريق الناس والوقوف في سبيل الوحدة الوطنية . وكذلك أنزل المبشرون العديدون في مصر طائفة القبط الى درك كانوا فيه أسوأ أمم العالم أخلاقا . وقد ظفر القسس البرستان في الهند والصين بعناصر تشبه هؤلاء القبط

وقد كتب (بول آدان) و (الدكتور جستاف لوبون) في أخلاق هؤلاء المدنيين الغرباء وأخلاق الزوج الذين بدلوا صبغتهم الاجتماعية في أمريكا ، وأن فيما كتباه لعلبة .

وياني في مملكتنا بعض هذه العجائب (بمقياس أصغر) النتيجة : لا يعرف التاريخ أمة تركت مدنيها واتبعت مدنية أخرى ثم علت وارتقت

وكذلك لم يحدث التاريخ الى اليوم عن أمة غلبت في معترك الحياة أعوام وقد تركت المدنية الصناعية وبرزت بصناعة ناقصة لامة أقوى في صناعتها وأكثر في أدواتها . وان أسباب ضعف المسلمين

أنهم لم يفرقوا بين نوعي المدنية هذين ، وظنهم أنهم يستطيعون العمل بهذه الصناعة القديمة . بل جهلهم أنحاء العالم التي علت بهذه الصناعة وتركهم البحث عن أسرار نجاحها

حكمنا : لا بد لرفعة المسلمين من المسارعة الى مدنية أوربا الصناعية والا فلا

مسائل الاجتهاد

لم يفرق علماء المسلمين وكبرائؤهم بين المدنية الصناعية والمدنية الحقيقية كما لم يميزوا الأحوال الدنيوية من الأخروية ، وذلك أمتن أسباب الضعف في الحكومة الإسلامية .

وأنه ليحزننا أن عظماء الإسلام نسوا كنهه وحقيقته . فلنفك قليلا في حكمة مجيء الإسلام . يعرف كل انسان أن جزيرة العرب كانت قبل البعثة النبوية مضطربا للجهالة والشقاق والفوضى . وقد درست الديانة اليهودية حتى لا تسد حاجات العرب (١) وكان لا بد من اصلاح أساسى ونظام كبير . وعلى هذه الحاجة ظهر الإسلام وثبت . (٢)

(١) لعل المؤلف يريد « لا تسد حاجات البشر كما يدل عليه كلامه بعد .

(٢) حذفنا هنا ستة أسطر عبر فيها المؤلف عن نسخ الإسلام

وإذا لزم البيان في كلمات قليلة قلنا ان الشرائع والقوانين والعادات التي تمكنت في الأمم قبل الاسلام صارت غير كافية للحاجات وأعوزها التوسيع والتغيير اتباعا لقانون التكامل فجاءت شريعة الاسلام أتم الشرائع السالفة وأكملها وتلك حكمة ظهور الاسلام .

أعنى أن الاسلام في كنهه أثر الرقي كلفوا أنفسهم النظر في حالات الانسان الاقتصادية والاجتماعية المادية والمعنوية يسهل لكم فهم حكمة الاسلام ويتبين لكم أنه ليس سبباً للجمود والتولى كما يزعم أصحاب الفكر الأوربي ، بل — بالعكس — جاء لأجل الرفعة والعلاء . ومقصد الدين جلي فمر خروج على التعصب والجهالة والافكار الجامدة في ذلك الزمان . ولا مرية أنه من أكبر الانقلابات المعروفة في التاريخ من حيث النتيجة والأثر

وإذا عرفت هذه الحقيقة فوصف الاسلام بمعاداة حرية الفكر وسد الاجتهاد وبالوقوف عن التقدم والمحافظة على القديم وصف يخالف كنه الاسلام كل المخالفة وجهل به كبير .
لنزد موضوع بحثنا توضيحاً :

للشرائع السابقة بكلمات لا تبعد من الحق ولكن تبعد مما يليق في هذا المقام من الالفاظ كما وازن بين الأسلام واصلاح مارتن لوثر مع اعتراقه بعظم الاول وخطره .

أنحاء العالم الراقية ذات الشأن تتبع ثلاثة أديان عظام متشابهة
الأصول ترتب بعضها على بعض : اليهودية والنصرانية والاسلام .
وهذا الأخير تجديد أساسه الاصلاح أعنى أنه الصورة الكاملة
لليانين السابقين

اليهودية — على السذاجة — قوانين بنى اسرائيل وعقائدهم .
والنصرانية دونها « بولس » بعد أمة على طريقة عيسى (عليه السلام)
فى الزهد والفناء فى الله . وقد رأى عيسى بن مريم (عليه السلام)
أن العالم قارب نهايته وأن حكومة السماء ستظهر بلا ريب فلم تكن
حاجة الى تدوين الشريعة (يراجع تاريخ المسيح لأرنست رنان) والحق
أن النصرانية كما قلنا جاءت أثراً لبعض أسباب سياسية ومؤثرات
عديدة وبعيدة من آمال عيسى وأفكاره .

وأما الاسلام فقد جاء فى مقابلة الاحكام التى لزم نسخها والافكار
الجامدة المقررة فى اليهودية والنصرانية على السواء . ولكن — وأسف —
قد صار الاسلام اليوم بما فعله بعض الجهلة بحسب مرادف الانحطاط
والمحافظة وتقييد الفكر وعداوة التجديد ونجس لا تنزل الى بيان أن
هذا الزعم لا يمكن اتفاه مع الحكمة المحمدية والشريعة الاسلامية أى
اتفاق . أى كفر أفضع وأى بهتان أعظم من أن يوصف مثال الكمال
البشرى وشريعته بالجمود بعد أن قدم العلوم والمعارف وفرضها على
أمة وقلب الأفكار القديمة رأساً على عقب على أساس الحرية

الفكرية و بذل جهداً عظيماً لا تقاذ العالم الغارق في جهالة وجاهد الأراء القديمة المليئة بالخرافات •

ما كان الاسلام ليتمهم بالمحافظة على القديم وقتاً ما ولو كان كذلك لأبقى سائر الأديان السماوية وحرص على المحافظة عليها •
وليس الاسلام موجباً للتنزل والا لم يتفق مع الترقى الذى قام بأعبائه محمد صلى الله عليه وسلم •

ليس الأسلام سداً لباب الاجتهاد ولا هو مانعاً حرية الرأى لأن هذا الدين بتعليمه الجديد أظهر المجتهدين الأحرار فى آرائهم ومذاهبهم كابى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وابن سينا وابن رشد .
وليس الأسلام مانعاً من تلقى الأفكار الحديثة وأخذ آلات هذا العصر وأدواته وذلك غنى عن البيان بل يأمر باستنباط الأساليب العصرية والأفكار الجديدة .

ومعنى ذلك أن سقوط الأسلام وضعفه أثر محزن لحيد المسلمين عن الدين وافاضتهم فى الجهل ، وتخليهم فى الخرافات والترهات ، وتمكن الظلم بينهم ثم مزج أحكام الدنيا وأحكام الآخرة .
فهذه الأمور قربت الأسلام على علوأساسه من عبادة الأصنام فى بلاد كثيرة ، يتمسح أهلها بالآثار القديمة ، ويربطون الخرق على والأضرحة والمقصورات ، ويرجون دعاء الخير والمعونة من المضلين ثم السحر والبدع العجيبة الغريبة قد أبعدت الأسلام عن أصوله فى

الصين وجهات أفريقية النخبة . وطرق العبادة التي يتكبرها العقل والخيال والرقص والعادات المؤسسة على خرافات الجهل جعلت هذا الدين في حال لا تعرف . هذا ظاهر الأسلام وأما باطنه أعنى الجهة الفكرية فان العلماء الذين لا يريدون أن تتعب أفكارهم وأركان الاستبداد المجدين في جعل الأحوال وفق أهوائهم قد أزالوا حرية النظر وحجروا الأسلام في تحجيرهم الأفكار . وكذلك بقيت أحكام المعاملات الدنيوية المتروكة من تلقاء نفسها تابعة للعرف والقوانين التي مضى عليها اثنا عشر قرناً أو ثلاثة عشر . أى حال مخالفة لكنه الأسلام هذه . الأسلام ضعيف اليوم وتلك نتيجة طبيعية • لأن العالم الأسلامي بقي خاضعاً للقواعد التي لم تصاح ولم تغير منذ ألف سنة . فصرفت القلوب عن حقيقة الترقى في الأسلام . وفي مقابلة هذا قطع العالم غير الأسلامي مراحله على المراكذ المؤدية الى رقيه والكافية لحاجاته المدنية . فأن يكن وقوف الأسلام وتأخره مع هذا طبيعياً فارتقاء العوالم الاخرى وكلها ضرورى بهذا المقدار .

عجيباً هل يأتلف الأسلام الذي جاءت به الحاجة الى الارتقاء والأصلاح والذي وضع على ضرورة الكمال والتعالى . مع هذه الحال الحاضرة ؟

وهل يرض النبي (صلى الله عليه وسلم) بهذه الأحوال وهذا

العذاب الذي يقاسيه المسلمون ؟ ان المسلمين في سيطرة النصرانية •
فهل هذا الذل — الذي أنتجه ضعف الجماعة الاسلامية — يليق
بالاسلام وبمقصد الرسول الكريم وبآمال محمد (صلى الله عليه وسلم)
لماذا يتبع الاسلام النصرانية ؟ ولماذا يسمى عالم النصرانية اليوم
لقطع الطريق على المسلمين واطفاء نور أفكارهم وكيف يستطيعون
هذا ؟ ان خضوع الاسلام للنصرانية وخمود عقول المسلمين بسعى
النصارى كل هذا من جهالتنا وعجزنا وخطأنا أحكام الدنيا بأحكام
الآخرة : النتيجة الجهل واغفال التفريق بين أحكام المعاملات
وأحكام الوجدان ، وسد باب الاجتهاد ، علل اضمحلال الاسلام
وكيفما كانت هذه الأسباب التي تمحو هذا الدين فهي منافية له •
وليس من الاسلام هذا الجود والجهل وهجر المدنية واهمال الاجتهاد
بل تحريمه • ولعلم الناس جميعاً أن (العقيدة) في كتبها وحقيقتها لا
تتبع الترقى والتنزل • فان الغاية والأمل والأمنية والطموح للمعالي
وفهم مسائل الأزل والأبد ومعضلات الكائنات ومعياتها كل ذلك
مرجعه الوجدان • وكل ذلك أمور لا تقبل الترقى ولا الزيادة
والاختراع •

وعلماء الصين يستهزئون بالأوربيين في عنايتهم الكبيرة بهذه
المسائل ويقولون لهم قد فكرنا في هذه القضايا وفرغنا منها منذ خمسة

آلاف سنه ولا يزال فلاسفتكم كنت وسبنوزا وبقون وسبنسر
يجهدون فيها • ولا جرم أنهم محقون في هذا

وأما أحكام الدنيا فترقى طبعاً للحاجات وكل ما أمكن ترقيه
أمكن انحطاطه . وقد بقيت غاية الوجدان كما هي منذ عهد ساكياموني
وبوذا ولاؤوتسه وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم) وما
زالت الهية والجلال اللتين يتجلى بهما العالمون والسر الخفي في الدنيا
وما فيها كما كان من قبل ، أما أبانه الدين وأما أبقاه في دائرة الريب
والشك (سبتيسزم)

فلا بد من أجل هذا أن تفرق مصالح الدنيا ومسائل الاعتقاد
أحدهما من الأخرى •

ان المصالح والمعاملات البشرية قد طرأ عليها منذ القدم التغير
والتبدل كثيراً فلم تستطع البقاء في شكلها القديم .

ليس الاسلام من حيث قواعده ديناً فحسب ولكنه دين
ومذهب ودستور أخلاقي ونظام حكومة ومجلة قوانين وفلسفة أيضاً •

والاسلام صفات تعم العالم فان قواعده وأصوله مجملة عامة يمكن
ان يستنبط منها أحكام تسد حاجات كل زمان . ونحن نستطيع الآن
أن نستمد النصوص الشرعية القاطعة في فصل المعاملات من العقائد

ونظهر هذا الانقلاب العظيم غير مخالف للإسلام في شيء بل نبينه
فرضاً من فروضه ومقصداً من أكبر مقاصده

وان علة العال في مرض الإسلام وسر وقوفه العنف والقسوة
اللتان أظهرهما الحما كمن وأركان الاستبداد والعلماء من ورأهم في
منع هذا التفريق الذي ذكرنا فليشد مافعل الظالمون بهذا الدين الواسع
الحرية فاضطر الناظرون نظراً قاصراً في هذا العصر أن يفهموا هذا
الدين أثراً من آثار الاستبداد والظلم

النصوص المتعلقة بالوجدان لا تتغير وما عداها وهو أحكام الدنيا
فقد وضع لأقامة العدل في المعاملات المدنية التي كانت في عصر النبي
(صلى الله عليه وسلم) فأصبح بعضها غير صالح لزماننا

ونحن مكافون ومضطرون أن نقسم الأحكام الى هذين القسمين
لنتقدم ونهرب الى أصول الإسلام . فليست مرضاة النبي أن تبقى
الأمة الإسلامية في حال واحدة من الرفاهية والمدنية بل مرضاته في
تقدم الأمة وتعالها وليس رجاءه أن تدفع عن نفسها أمام الأمم
الأخرى فحسب ولكن الغلبة والسبق . والذهاب الى غير هذا الرأي
افتراء على أكبر المصلحين (محمد صلى الله عليه وسلم) ولهذا التغير
والتجدد الذي نعينه مساع في الشريعة ومعتمد في النصوص القاطعة
ونحن نذكرها فيما يأتي أخذاً من (الاحكام المدنية) التي استمدت

من النصوص الشرعية واقتترنت بأمر أولى الأمر :

« المشتقة تجلب التيسير » أشباه — مجلة ١٧

« ذكر بعضهم ان الأمر اذا اتسع ضاق واذا ضاق اتسع »

— الامام الشافعي — مجلة ١٨

« الضرر مدفوع بقدر الامكان » قاعدة شرعية — مجلة ٣١ —

« استعمال الناس حجة يجب العمل بها » مجلة ٣٧ — مجامع —

« لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » مجلة ٣٩ — مجامع —

« تصرف القاضى فيما له فعله فى أموال اليتامى والأوقاف مقبذ

بالمصلحة » مجلة ٥٨ — أشباه —

« تصرف القاضى انما ينفذ فيما ثبت لعامة المسلمين اذا كان

منفعة لهم أما ما فيه مضرة فلا : وجوده وعدوه بمنزلة » — شرح

الجامع الكبير

« لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام » حديث شريف — مجلة ١٩

« الضرورات تبيح المحظورات » الدر المختار والأشباه — مجلة ٢١

« يختار أهون الشرين » — مجلة ٢٩ —

يراجع فى هذا الشأن القواعد المطولة التى فى الأشباه .

« الحقيقة تترك بدلالة العادة » — مجامع ومنار — مجلة ٤٠

« العادة المطردة تنزل منزلة الشرط » — أشباه —

« والأصل فيه ان المعروف عرفاً كالمشروط شرعاً » ردالمحتار
« المعروف بالعرف كالمشروط باللفظ » — بيري زاده
« المشروع بالعرف ثابت بدليل شرعى وفى المبسوط الثابت
بالعرف كالثابت بالنص » ابن عابدين

« العادة محكمة » — أشباه ومجامع — مجلة ٣٦
« واعلم أن اعتبار العرف والعادة مرجوع اليه فى كثير من المسائل
حتى جعلوا ذلك أصلاً وقالوا فى الأصول تترك الحقيقة بدلالة الاستعمال
والعادة » منافع الدقائق

« الأحكام تبنى على المعروف فيعتبر فى كل اقليم وفى كل عصر
عرف أهله » — بحر —

« مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » — حديث شريف —
فهذه القواعد الكلية — المأخوذة من الشرع والمؤيدة بأمر أولى الامر
يفهم بأدنى نظر أن الشريعة الاسلامية فرقت بين المعتقدات والمعاملات
الدنيوية .

أقول مرة اخرى ان العقائد ثابتة لا تترقى وان المعاملات تابعة
لحالات الزمان فهى متغيرة متروية .

وعندنا ان اكبر اصلاح وأعظم تجديد عملي يجب العناية به فى
الاسلام اليوم فصل المعاملات الوجدانيات وبهذا لاغير يستطيع

الاسلام ان يثبت في معترك العالم ولا سبيل الى الفوز بدونه
فلنرجع الى اجتهاد آخر واجماع آخر على مقتضى القواعد الفقهية
المحكمة التي ذكرناها رعاية لحاجات الزمان ثم لنترك ماسلف من
الاجتهاد والاجماع .

علينا ان نفكر كثيراً ونرجع الى أصول الاسلام ولا يسحرنا العمل
والعرف الحاضر . فانما احتيج الى اجماع الامة ونصب الخليفة من أجل
هذا لا غير . ولولا الحاجة الى تقرير أحكام المعاملات المحتم تغيره
تكون قطعية معمولاً بها لم يبق حاجة بعد وفاة الرسول الى اقامة
الخليفة اتباعاً لأمره (صلى الله عليه وسلم)

لماذا لزمّت الخلافة ؟ لان معاملات الناس وأحكامهم تتغير على
مر الزمان والعالم في تبدل مستمر ولا بد من قوة تنظم وتؤدي المعاملات
والاحكام الجديدة فجمهور المسلمين ينتخبون الخليفة بالآراء العامة
الحرّة ويفوضون اليه انفاذ القوانين التي شرعتها الجماعة التشريعية أعني
الاجماع . فان كان لا بد أن يقفل باب الاجتهاد بزعم جهلة العلماء فليس
بنا حاجة الى الخلافة أو الاجماع .

مادامت الاحكام تتبدل كل حين ولا تقف موقفاً واحداً فمن
الطبعي أن تبدل القوانين المنظمة لها ولكذه الحكمة البالغة شرع الاسلام

اجماع الامة واختلافة فسبق في سبيل الشورى فرنسا وانجلترا المعروفتين
بابتداع قواعد الشورى

ينبغي ألا تتردد في أن الاحكام الشرعية عرضة للتبدل والتغير
وقد وقع التغير في العصر النبوي حتى في القرآن .

التبديل هو النسخ في اصطلاح أصول الفقه .
والنسخ قيام دليل على خلاف حكم شرعى سابق .
والنسخ كما يرى في كتب الاصول ، جائز عقلا ونقلًا (وماعداً
طائفة العيسوية من اليهود لايجوز النسخ .) ألم تركب كيف أجازت
شريعة آدم تزوج الاخت ثم نسخته سائر الشرائع .
والنسخ جائز بين الكتاب والسنة وبين الكتاب والكتاب وبين
السنة والسنة .

انظر كيف نسخت الآية الكريمة « كتب عليكم اذا حضر
أحدكم الموت ان تتركوا خبرا الوصية للوالدين والأقربين »
بالحديث « ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث » ومع
أن هذا الحديث خبر واحد فحقه بالمتواتر أن الامة تآتته باقبال
وفصارى القول ان كل ما يرجع للاحكام الدنيوية يجوز نسخه
بل يجب بأمر الخليفة القائم مقام الرسول اذا اعتمد هذا الأمر على
الاجماع أعني اقرار الامة . تنطق بذلك القواعد الشرعية التي
وصلناها آنفاً

ان التوسعة والتيسير في معاملات الناس مما توجبه الشريعة وأما التضييق والتحجير فيؤدى الى عجز المسلمين وذلهم أمام الأمم الأخرى ولئن أهملنا هذه السعة الشرعية لتبقي مصفدى الأيدى والأرجل فى الزحام الحيوى العام ، ونعجز عن كل شىء ثم تتأخر عن أوربا وأمريكا قرونًا كثيرة ونظل فى تأخر بهذه القوانين التى مضى عليها ثلاثة عشر قرنًا.

لا ينبغي لنا أن نقف فى سبيل الحياة . فانه اذا غلب الطورانيون غلب الاسلام واضمحل ، وانه ايضمحل الآن . أكثر المسلمين فى سلطان الدول المسيحية . ولست أشك ان محمدًا (صلى الله عليه وسلم) لو أبان لنا اليوم عن مقصده العلى لم يرض لأمة هذا السقوط الذى يمزق القلوب ولعاقب أشد العقاب من بلغوا بالاسلام هذه الغاية .

ولقد يحزننا أن علماءنا الكبار لم يدركوا هذه الحقيقة حتى فى هذه العصور الأخيرة . فقد جمعوا مسائل الاجتهاد الأولى وكأنهم أخرجوها من القبور ثم وضعوها فى القانون واستنكفوا أن يرجعوا الى اجماع الأمة واقرار الخليفة

ولو ان جودت باشا اذ أخذ مسائل الاجتهاد القديمة التى لا يصلح بعضها لهذا الزمان ، واذ جعلها قانونا بوضعها فى (مجلة الأحكام

العدلية) ، أخذ من الحقوق الغربية قانوناً مدنياً كما استنبطت الافكار الحرة المحبة للرقى من قوانين الغرب منذ عهد بعيد قانون الجزاء وقانون التجارة البرية والبحرية وأصول المرافعات الجنائية والمدنية ، لوانه فعل ذلك لأدى الينا مآثرة جليلة . ولكنه أخرجنا فى المعاملات المدنية والامور الدنيوية حين بحث المسائل القديمة ونظامها ولفقها فى مجلته .

لقد سار الأوربيون فى عقودهم أحراراً على قانون نابليون وقوانين تفضله من بعده . أما ونحن معشر البؤساء فتدهور تحت أعباء القوانين المحصورة الحرجة وقواعد الاستبداد وفى قيود هذه المجلة الرجعية . (١)

(١) نحن نحمد للمؤلف حريته ولكننا نؤاخذ به بالغلو فيها والشطط فى النفور من القديم . على أننا اذا رجعنا الى ما كتبه فى أول الفصل عرفنا أنه يدعو المسلمين الى الاجتهاد مرة أخرى لاستنباط أحكام من الشريعة تناسب حاجات الزمان وهذه الدعوة لا تتفق مع نبذ الشريعة جملة وأخذ القانون المدنى من قوانين أوروبا كما يقول وان قواعد الأصول الفقهية التى ذكرها لتكفل لمن يهتم باستنباط أحكام هذا العصر من الشريعة أن يخرج للناس خير ما عرفته الشرائع وسعد به الناس فى قضائهم .

ثم لانزال نذكر ما قاله فى الفصل السابق اذ بين أن المدنية الحقيقية لا تقتبسها أمة من أمة وأن الأمة انما ترقى بقوانينها التى تمثل

وقانوننا وضع لحاجات كانت منذ ألف سنة

على أن فرنسا والأمم التي تبعت قانونها ولاسيما جمهورية أمريكا
يرى قوانين نابليون بالية جداً فتفكر في تجديد شريعته المدنية . عجيباً !
فهل نستطيع نحن المساكين وقد مضى على قانوننا ألف سنة أن نرجو
الغلبة في زحام المدنية بهذه القواعد التي وضعت لحاجات تختلف كل
الاختلاف عن حاجاتنا الحاضرة في زمان غير الزمان وأرض غير
الأرض ؛ هل يمكن أن نوضع (بجملة الأحكام المدنية) إزاء « قانون
نابليون »

حاجاتها وعاداتها الخ ويؤيده ما سيذكره في فصل (أصول الاستعمار
الأوربي)

ونحن نرى أن أمثال الطرق أن يرجع المسلمون إلى شرعهم فيطبقوه
على حاجات زمانهم ثم يهتدوا بالتجارب على مر الأيام ليعرفوا الحاجات
الحقة ويقضوا فيها بعدل الشريعة السمحة التي لا حرج فيها . فإن
رأى المؤلف غير هذا وهو مالا نخاله أو رأى غيره من المتسمين
بالأحرار فليعذرونا إذا قلنا لهم أنهم أحرار مقلدون سحرتهم أوربا
فرجعوا إلى أمتهم بعيون عليها كل التقليد في المسائل القديمة وهم
أشد الناس تقليداً في المسائل الحديثة التي ينحى عيوبها الألف والعادة
اغترار الإنسان بما يحيط به اه

كانت الحرب في العصر النبوي بالسهم والتروس وكان النصر
معتوداً بمهارة اقواد فقط . ورسم الخطط ونظام التعبئة وسوق الجيوش .
كان اذ ذاك جيناً ولم تكن طيارة ولا (طريل) ولا تلغراف سلكي أو
غير سلكي . والحرب كانت كذلك تدار وتيسر الفتح العظيم ونصراً
كنصر (بدر)

فهل نستطيع بتلك السهام وتلك التروس وبالخطط المعروفة في
ذلك الزمن أن نثبت أمام الجبل الأسود بلد روسيا والنساء ؟
مرحى مرحى ! ان الحرب لا يمكن اليوم بالعدد الخربية القديمة
والخطط المتبعة في سواحل بحيرة (شاد) فكيف يقف المسلمون
بقوانين دارسة عافية لا تطبق أمن الأوربيين ذوي الحكومات
المنظمة والقوانين الكاملة ؟

كانت عاقبة هذه الجنائات العظيمة وثمره هذا القصور الخزي أن
دخل المسلمون اليوم في ولاية أوربا كأنهم أسرى خلت أيديهم ورسنوا
في قيودهم *

الحكومة الإسلامية

ليس الاسلام ديناً وجدانياً فحسب بل هو دين ونظام حكومة
قد تضمن الكتاب والسنة والأجماع والقياس والقواعد والنظم التي لا بد

منها لسياسة الأمة أعني أن الاسلام ليس كما يقال جملة عقائد عقلية وإنما هو جملة من القوانين شرعت لاصلاح الفرد وسياسة الجماعة . وكل قوانين المعاملات والمعاملات في الجمهورية الاسلامية جاءت بها الشريعة .

وبهذا تمتاز الشريعة الاسلامية من سائر الشرائع ومن اليهودية والنصرانية . ومن أجل ذلك بقي المسلمون تابعين لشريعتهم في (الاحوال الشخصية) بعد أن سيطر عليهم الاجنبي وأشرفت حكومتهم على الزوال

وان سنن الاسلام السياسية تعتمد على دعائم متينة محكمة جداً ولو حفظت هذه السنن وسيست بها الحكومة الاسلامية ما أصاب دول الاسلام ما أصابها

فلا ريب أن من على ضعف المسلمين اهمال هذا النظام وتركه فان أراد المسلمون ان ينالوا مجدهم في المستقبل فليرجعوا الى قواعد حكومتهم الاولى ولا يحسبوا ذلك رجوعاً الى الوراء فهو تقدم وتكمل أعيد القول وأصر على أن نكبة الاسلام في ترك قواعده السياسية .

قد أخذ المسلمون نظاماً سياسياً من الحكومات المستبدة الاجنبية

المخالفة لهم كل المخالفة . فأشرفوا بدولتهم على الزوال على حين أن غيرهم في الزمان الأخير قد اتبعوا نظاماً قريباً من قواعد الاسلام فتقدموا وارتقوا .

وليس بين الاسلام ونظام الحكومات النيابية الحرة فرق ما فان الجمهورية الاسلامية لا تعرف الاستبداد ، ولا التصرف بالهوى ولا رأى الفرد .

ولقد قامت في البلاد الاسلامية دويل فرقت المسلمين ثم نبذت أساليب السياسة الاسلامية الحرة لتحفظ سلطاتها وسيطرتها فأشرفت دول الاسلام على الفناء ولم يبال الحكام المستبدون والرجال الظلمة والجنود الاجراء بالشورى والرجوع الى رأى الرعية وماتركوهم أحراراً وما مكنوهم أن ينفذوا الاحكام الاسلامية المتعلقة بسياسة الامة . فكانت العاقبة نسيان الاحكام السياسية الكفيلة بسعادة الدولة في نظامها ومآلها ثم زالت الدول . وأما الرعية فقد بدت بينهم أمارات الضعف لما ابتلوا به من الذل والقهر ولم تبق فيهم حياة فكرية . ثم سدت الاهواء باب الاجتهاد فانتهى بنا الحال الى ما نرى

قد نشرت بعد تولية السلطان محمد وثيقة رسمية بتوقيع المرحوم شيخ الاسلام (يرى زاده صاحب بك) وقد بينت هذه الرسالة

ذات الشأن الحقوق العامة في الاسلام (droit public) وعرفت ان الاسلام لا يعرف السلطان الديني المسمى (تيوقراسى) ولا الادارة المستبدة ولا الحكومة المتعصبة كما يقول الاعداء. ولا يخلط الماديات بالروحيات مثل (لا مائيزم (١)) التى فى (التبت) . ولكن بعض الاوربيين الذين لا يعرفون - من الاسلام الا قليلا يزعمون ان الشريعة المحمدية وقواعد الحكومة الاسلامية تمنع الانسان من الكمال المادى والفكرى وأنا أقول معتمداً على هذه الرسالة الرسمية الجديدة التى تطابق الاسلام كل المطابقة - ان الاسلام لا يمنع الرقى وانما يمنع الرقى ترك الاسلام واغفاله ، وان الاسلام لا يحول دون الرفعة ولكن ظلم السلاطين وأركان الاستبداد هو الذى منع الاسلام أن يظهر فى صورته الحققة

إذا أنعم النظر فى تاريخ الاسلام تبين أن نكبات المسلمين كلها من اغفالهم قواعد السياسة الاسلامية واذن تقول لأجل البيان والفرقان : ليس العيب فى الاسلام بل فى رجاله .

لنجمل هذه القواعد السياسية فى كلمات قليلة :

فى الحكومة الاسلامية ثلاث القوى العامة التى فى الحكومات الدستورية الحديثة (نرجع فى ذلك الى الرسالة المذكورة) : خليفة يأمر الأمراء وانوزراء بالانفاذ وذلك القوة المنفذة . ويوكل القضاة

(١) المذهب اللاموى وهو مذهب البوذية فى بلاد التبت

نسبة الى لاما

والنواب في القضاء بين الناس بالعدل وهذه القوة القضائية . ثم العلماء
والفقهاء مأذونون بالفتوى ويسمى عملهم تشريعاً ومراقبة . وهذه
القوة التشريعية وإنما تصير الفتاوى الشرعية قوانين متبعة بأقرار أولى
الأمر . وتلك أصول الحكومات الدستورية .

وقد قاست فرنسا رانسكاتها تقبلاً كثيراً وثورات دموية حتى
أمكن أن تستقر فيها هذه الأصول مع أن الاسلام اذ ظهر قرر هذه
القواعد .

وقد كانت مجالس النواب وقتاً ما — باعتراف بلونجلي — مؤلفة
من رجال المدينة التي تعد مركز الحكومة ولكن الاسلام سوى
بين المساهمين جميعاً في الحقوق السياسية

الاسلام يؤلف جمهورية عظيمة وهذه الجمهورية التي تؤسس على
القواعد الثلاثة يتولى رياستها وامامتها خليفة . وهو انسان يقوم مقام
النبي في الأمور الدنيوية فكل أمره الموافق لفتوى القوة التشريعية
مطاع كائنص الشرعى

وهذا الخليفة أو الامام ليس (غير مسئول) كرئيس جمهورية
فرنسا بل مسئول عما يفعل كرئيس جمهورية أمريكا . وليس له صفة
قدسية . وقد ذهل مدحت باشا فأخطأ في ترجمة هذه الصفة من اللغة
الفرنسية وابقائها كما هي حينما دون القانون الأساسى . وليس الخليفة

مستبداً ولا هو مطلق في تصرف الأمور دلاله حق الأبهة والعظمة والزينة ويقول (بلونجى) في كتابه (الحقوق العامة) ان الحاكم له حق الأبهة والعظمة لأنه يمثل شوكة الحكومة وسطوتها حتى بعد تركه الحكومة . ولكن الاسلام لا يعترف بهذه العظمة المادية ولا يرضاها وما كان الخلفاء الأولون يمتازون عن سائر الناس ، وقد دونت كتب الفقه أحكام تبعة الخلفاء في الأمور المدنية والجنائية . أما الإمامة فتتوخى الى شخص تنتخبه الأمة وتباعه .

(ولا أذكر هنا كيف ينتخب الخليفة ويباع ولا كيف تولي الخلفاء الأولون لأنها مفصلة في رسالتنا الفرنسية المسماة « الحقوق العامة والاسلام » وفي كتاب « الأحكام السطانية » للموردي)

واتخاذ الخليفة عمل يكلف به كل مسلم وليس هذا الا القانون المسمى في أوروبا « الانتخاب الاجبارى » بمعناه السكالى ويقول (ملا صاحب) في وثيقته — كل انسان مكلف بالأعمال السياسية لأن القرآن يخاطب المسلمين عامة على السواء . وكل وطنى (Citoyen) أيأما كانت حرفته له حق في مناصب الحكومة كما كان في بلاد اليونان والرومان القديمة . وكل انسان في الاسلام مكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولا ريب أن قواعد الانتخاب العامة Suffrage universel التي تقدم في أوربا كل يوم لا تختلف عن هذا في شيء • ثم الناس في الاسلام لا يختلفون في طبقاتهم : كلهم سواسية كأسيان المشط وعلى كل منهم صون الشريعة وحفظها ، ولا يكون انسان خليفة حتى ينتخب في كل أرجاء الجمهورية • والناس ينتخبون في حرية كاملة بعيدين من كل سيطرة حتى اذا انتخب الخليفة كان ملزماً أن يسير الأور على سنة الشريعة ، وألا يستبد برأيه في أى عمل • والمسلمون من ورائه مكلفون بمراقبة الحكومة ومحاسبتها كما يفهم من رسالة شيخ الاسلام

وقد أباح الحديث النبوى لكل مسلم أن يخالف أمر السلطان اذا رآه مضرراً بالمصلحة العامة مخالفاً للشرع ظالماً لأن له شركة في السلطان انعام (١)

وبعد أن بحث المرحوم صاحب بك في صورة انتخاب الخلفاء الراشدين ومكانة ذلك من الشرع انتهى الى أن ما أصاب الاسلام يرجع الى حيد المسلمين عن هذه السنن وزيادة اختلاطهم بالأُمم

(١) لعل المؤلف يشير الى الحديث الشريف • لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق •

الأخرى • وانه لمحق في ذلك أى محق • ثم خرج المرحوم السالف ذكره من هذه المسائل الأفاقية (Objectif) الى المسائل النفسية (Subjectif) ووفق بين امامة السلطان محمد الخامس وقواعد الشرع •

فالحكومة الاسلاميه حكومة عادة شورية قوامها الحرية والمساواة والأخوة . والاسلام ينكر الاعتداء بالأحساب والأنساب فمن دخل في الاسلام فقد تجرد من كل فارق بين الناس ومن كل اعتزاز بشرف الاصل وكرم المحتد فان الأخوة من أكبر قواعد هذا الدين لا أرى حاجة الى بيان مبالغ الاسلام من الشورى فان الاسهاب في تبين ما نعلمه فضول . واقامة الدليل للمعتقد عبث

وأما توضيح هذا للأجانب فقد ضمنته رسالتنا السابقة الذكر « الحقوق العامة والاسلام » المؤلفة لبيان هذه القضايا والدفاع عن الاسلام أمام أعدائه .

بعد هذا نبين لم أشرف الاسلام على الزوال من حيث هو دولة : لامرية أنه لو اتبعت الحكومة هذه القواعد السياسية الاسلامية لاشتراك المسلمون جميعاً في الحكومة وكان من التنبه الناتج من هذا رجال نابغون يعرفون كيف يسوسون العالم الاسلامي ويدافعون عنه . كان الاسلام يشرك الرعية في الحكومة فجاء الظالمون ورجال

الاستبداد يريدون أن يسيروا بأهوائهم وجبروتهم فلم يرضهم أن يشاركهم في السلطان أحد فأصبحت الدول أوروبا مخصوصة بهم وبأسرهم ثم زالت بزوالهم .

الحكومة الإسلامية لا تقبل التجزؤ فلا يمكن أن يكون للمسلمين أكثر من حكومة . ولكن الأهواء أدت الى التفرق رأينا حل التفرق فهناك الشقاق . لم يبق الاستبداد على الأخوة الإسلامية ، وكثرة الأمراء أدت الى زيادة الفرق ؛ ونشوء هذه الفرق ونماؤها في حرية أدى الى النزاع وظهور المذاهب الضالة المختلفة بين المسلمين فلم تبق بينهم وحدة . وزوال الألفة لم يلبث أن أزال الحكومة الإسلامية كما سما كل حكومة وفرق كل جماعة .

لسنا في حاجة الى التفصيل والأتان بالأمثلة فإنا اذا أنعمنا النظر في تاريخ الاسلام منذ بدأ التفرق الكبير وجدنا (آسفين) أمثلة كثيرة لهذه القاعدة التي وضعناها

اذا تقدرنا وقائع التاريخ من عهد معاوية الى عبد الحميد ووجدنا أنفسنا أمام اختلاف متشابه وهذا الاختلاف المتشابه أدى الى المصائب المتشابهة في كل مكان .

ان التفرق والاختلاف ، وتشتت القوى ، وهطامع الأمراء ، وعراك

الحكام بعضهم مع بعض، والمذاهب المختلفة التي نجحت في الاندلس، كل ذلك محا الصناعة الراقية جدًا أعنى أزال المدنية الصناعية . وفي هذه المعارك برقت أساليب الأعداء وعرضت لهم الفرصة فقتل المسلمون في لقاء أعدائهم والدفاع عن أنفسهم . وتحت سلطان هذه الفوضى طرد المسلمون من كل مكان ، وقسروا في كل أرض . وأصبحوا بلا حول ولا قوة .

ولا ريب أن الجمالة والضلال والعصبية إذا وجدت استمرت بقوتها في أعمالها الخربة .

ثم هذا الاضمحلال المادي أساء الحال النفسية عند المسلمين وكأن الخلل أصاب أراذلهم . وأما عداوة الحكام وبغضهم للرعية وأساليب السياسة المتبعة في الإدارة فقد أدام المسلمين أذلاء عاجزين على يأس من الآمال . ولكن ان يكن في أحوال المسلمين ما يجدر بالسرور والحمد فذلك بقاؤهم متعلقين بدينهم وأنهم لم يتسلوا غيرهم فلم يحق بهم الردى . ومن أجل ذلك كان أيقاظ هذا العنصر العظيم غير عسير كما يظن ولا هو بمحال قط . وان بعث أرواح المسلمين بقوة القواعد الإسلامية وتيارها الكهربائي ليحدث قوة لا تقف أحد في سبيلها .

الخلاصة : ترك التفريق بين المدنية الصناعية والحقيقية وسد باب

الاجتهاد ، واغتيال نظام الحكومة الاسلامية ، هي أسباب ضعف المسلمين . فلا سبيل الى بعث المسلمين من موتهم الا بالتفريق بين المدينتين وفتح باب الاجتهاد مرة أخرى والرجوع الى قواعد السياسة الاسلامية

المسلمون في الحال الحاضرة

— العرب —

صار العرب بعد زوال الحكومات العربية تابعين لكل متبوع ولم يكن واحد منهم برفعة أمته ولم يهبوا من رقدتهم الى عهد قريب . وهؤلاء التعساء أفسدوا أخلاقهم وسجايهم تحت سيطرة الدول المختلفة وظلوا ناسين عظمتهم ومدنيتهم وقد عودهم طائفة الرؤس للذل انحراف الحكومات عن القواعد الاسلامية . وان من الطبيعي ألا تحتفظ أمة بياسها وسجايها وخصالها في سلطان حكومة مستبدة . وكذلك العرب شرعوا يتغيرون ويفسدون وظهر بينهم بعض الخصال السيئة .

على أن العرب لم ينسوا جنسيتهم وقتاً ما ، وليس بينهم من خرج اليوم من غريته ؛ وانهم في حين لا حكومة لهم ليظهرون قدرتهم على تمثيل الامم اذ يعربون ما حوّلهم من الاقوام .

ومن يذهب الى البلاد العربية يتعلم اللسان العربي أياً كانت لغته بينما الوافد علي المملكة التركية والمقيم يدنا عشرين أو ثلاثين عاماً لا يعرف عشرين أو ثلاثين كلمة من لساننا التركي .

ان عظمة العرب الماضية لتؤثر تأثيرها النفسي الان . وأن العربية مثل الاسلام صبغة لا تزول . وما فتىء العرب حافظين سجية الغلبة والاستيلاء فهم يظهرون نفوذهم في كل بقاع الارض .

وقد أفادهم الاسلام فائدة جليلة فحيثما تثقف العربي في العالم الاسلامي عد سيداً وشريفاً .

ثم كون اللغة العربية لسان الامم الاسلامية الرسمي نفع الامة العربية أيضاً فقد سرت الجنسية العربية في الأجناس التركية والعجمية والهندية حتى كل مسلم فيه بعض العربية . وقد غرقت الاقوام الاسلامية في الجنسية العربية واللغة العربية كما انغمست أجناس الفرنسيين والاطليان ولغاتهم في الجنس الروماني واللغة الرومانية .

ثم اللغة العربية والقرآن أساس التعليم عند الامم الاسلامية على اختلافها . على أن حلاوة هذه اللغة وتناسب لغاتها جزاً حتى كأنها لسان رياضي ، وعظم آدابها السابقة ؛ يزيد قدرها خطراً ورفعة .

الا نبحرنا ألا تعطى اللغة العربية اليوم حظها من العناية ولا سيما

اهمال الحكومة العثمانية الذي لا يمكن اختزاه أبداً * أن تكن التركية
لسان المسلمين السياسي فالعربية لسانهم الديني ومن هذه الترجية يجب
ان تكون هذه اللغة موضع عناية الساطنة والخلافة *

العربية والتركية سواء في الاحتياج الى حماية رسمية * ان اللغة
العربية تعلم الآن في مدارسنا اجباراً ولكن سوء الاساليب وعجز المعلمين
ذهب بالفائدة المرجوة . فالطالبة الذين يتعلمون في مدارسنا عشرين
سنة لا يستطيعون ان يكتبوا أربعة سطور بالعربية . يجب ان تعلم
العربية تعليماً نافعاً لحافظ على صبغتنا الاسلامية ، وعلمنا ان نعي
بدراستها كما يجب لانها لسان المسلمين العام وان الخطأ الكبير ان
نحسب انفسنا بعيزدين من العالم العربي ولغته . وانما يتقرب المسلمون
بعضهم من بعض بتعميم اللسان العربي لا غير وهل تكون الأخوة
الاسلامية الا بتكلم المسلمين لغة أخوية واحدة .

وكذلك يتحتم على الحكومة أن تراعى الآداب العربية والمطبوعات
العربية فاتمها نعم المعين لها *

ان جماعة الصهيونيين التي تسعى في احياء الامة اليهودية جعلت
أول أعمالها احياء اللسان العبري * فان نسينا العربية مع هذا فذلك
ذنوب لا يقبل العفو *

ينبغي ألا تبقى العربية لساناً رسمياً في السكة (النقود) والأدعية
فحسب ويجب أن يكون كل مسلم ذا لغتين " Bilingue " وأن يعد

العربية لغته مع الفارسية أو التركية

أظن أن احصاء العرب احصاء يقينياً محال وأن أمكن فهو عسير
كثير النفقة . ولا نستطيع الاعتماد على احصاء النصارى المذاهب
ولا التعويل على قول العرب أنفسهم لأن احصاءهم لا يكون بلا أسلوب
الأوربي المذموم . على أن تمييز العرب عن المستعرب مشكل . ومن
العرب أنواع مختلفة وطبقات متباينة . ومن أجل ذلك لزم البحث
والنظر بامعان وتثبت

كم أنواع العرب ؟ وكيف يمتاز بعضهم من بعض ؟ وما مبلغ
الاختلاف في عاداتهم وطباعهم ولهجاتهم وعواطفهم ؟ ذلك مجال
للبحث فسيح

ونحن آسفون لأننا لا نستطيع أن نعرض على قرائنا التفصيل اللازم
في هذا الشأن ومع هذا نحاول الاحصاء

لاشك أن منشأ العرب ومقرهم الأول جزيرة العرب

ولكن تتألف البلاد العربية اليوم من اليمن في الجنوب وسوريا
في الشمال وجزيرة العرب كلها والعراقين العربي والعجمي . وهذه
الأرض الواسعة أكثر أهلها العرب وإذا تألوا استقلالهم فسيقيمون
امبراطورية عظيمة وحكومة متحدة على نسق واحد

ويقرر أهل الحجاز بمليون . واليمن ستة ملايين في قول حسين
حلمى باشا وثلاثة في رأى توفيق بك الذى كان والياً هناك . وإذا
أضفنا العمير وعدن وصعدة وشهارة التابعتين للإمام يحيى و (النواحي
التسع) المتنازعة بين تركيا وانجلترا أظن أن هذه البقاع التى كان
يسمىها القدماء « بلاد العرب السعيدة » تشمل خمسة ملايين
ولا تزيد حضرموت ومسقط وعمان والبحرين والكويت وعنزة
وشمر والزبج الخالى ونجد وغيرها على خمسة ملايين

أما لحجاز فتابع للدولة العثمانية ولكن نفوذ أمر مكة لا ينكر
وأكبر آمالنا أن تبقى هذه الولاية الجليلة فى مكانها العظيمة
بعيدة من كل تأثير خارجي ، صادقة للدولة العثمانية ، خالصة من سياسة
انكلترا وفرنسا . يجب أن تعنى الحكومة السنية بهذه الجهات وأن
تعد مسألة الحجاز أهم المسائل لأنها قد تصيبنا بالمصائب اليوم أو غداً
ثم خط الحجاز المديدى : تسعى انكلترا لتضع فائدته وما خلقت
مسألة العقبة الا لهذا . الحجاز اذا أحسنت سياسته قوة كبيرة للدولة
وإذا أسئلت ادارته فقد يؤدي — معاذ الله — الى خراب السلطنة
والخلافة الحاضرة وخراب الاسلام من وراء ذلك . يجب أن لا ينسى
رجالنا دخول الأسرة الادريسية المدعية الخلافة فى مرا كش تحت
حماية فرنسا . وأن يتذكروا أن ذلك مثال سيء جداً . ان موقع

مكة جدير بالعناية ومكانتها لا تقاس بمكانة الجهات الأخرى
لا بد أن نراعي هذه الجهات غير منتظرين شيئاً منها فان انكثرا
تعامل شيوخ الجهات التسع معاملة الملوك . فإذا لم نعاملهم هم وغيرهم
معاملة الامراء فلا ريب يسلبنا أرضنا من هو أكثر منا مجاملة .
والحق ان حكومة انكثرا — باعتبارها أكثر الدول رعية اسلامية —
تسير هناك على بصيرة وحزم وقد جعلت جزيرة العرب كالمحصورة .
فالسويس وطور سيناء في يدها وقد نزعنا من وزارة الداخلية لتديره
نظارة الحرية التي يرأسها السردار الانكليزي

وقد ملكوا مدخل البحر الاحمر وحصنوا جزيرة بريم التي في
وسط باب المندب • وان عدن لتتسع يوماً فيوماً كقطرة من زيت
الزيتون • وقد دخلت في عداد أخطر مواقع العالم ومنها تطمح
انكثرا الى اليمن • واليمن صارت اليوم بفضل انكثرا مدججة
بسلاحها ثم حضرموت في رقابة الانجليز • وجزائر قوريان موريان
القريبة من الساحل ، وجزيرة سقطرى البعيدة ، والصومال الانكليزي
الذي أمامها أعني بربرة ، كل ذلك لانكثرا اليوم

وأما بحر فارس : فهناك تبسط انكثرا ساطانها بكل حرية ولها
في هذا البحر الحراسة والدلالة والتجارة وخطوط التاغراف البحرية
والمنازات • وجزيرة البحرين خرجت من يدنا الى يد انكثرا منذ

مدة • وفي ساحل العجم (بمقتضى الاتفاق الروسى الانجليزى)
ساحة نفوذ انكلترا •

وكما أرادت انكلترا أن تضع شأن الخط الحجازى بمسألة العقبة
بفت أن تخرب خط بغداد بمسألة الكويت • ولذلك تعد دسائس
الانجليز الكويت وما وراءه والقطر وما حوله ملكاً حلالاً •
ان لانكلترا مطامع فى هذه البقاع من ملكنا فلنعلم ذلك حق
العلم • وانى لأحسب أن الدول العظمى تركت هذه الجبهات لانكلترا
بمعاهدات سرية كما تركت طرابلس لاطاليا باتفاق مع الانجليز
والفرنسيين •

ولفرنسا نفاذ فى مسقط فهو المخزن الرسمى الذى تحميه فرنسا
للتهرب ومنه تمر الاسلحة وسائر الاشياء المحظورة الى البلاد العربية
لا تخشى رقيباً • ثم جزيرتا قرآن وفرسان فى البحر الاحمر موقعهما
مخيف •

وفى عسير سيطرة الادريسي • وقد ظهر خطر عسير منذ حرب
اطاليا مع الاسف • وان قربه من الحجاز ليجعله مسألة من أعظم
المائل • وحال اليمن محزنة ولا أظن الاتفاق الذى عقدناه مع الامام
يثبت موقفنا هناك فالسيد يحيى يعد أميراً هناك بمقتضى المعاهدة
ويعترف بسلطانه واذا عقد هذا الامام بمقتضى استقلاله معاهدة مع

انكلترا أو فرنسا أو إيطاليا أو اعتدت إحدى هذه الدول على هذه الدولة « المستقلة » فكيف يكون الأمر في نظر القانون الدولي ؟ لينظر .

ومذهب الزيدية في اليمن مسألة معضلة من وجهة الخلافة لأن الزيديين لا يعترفون بالخلافة العثمانية .

ولابد للمحافضة على كيانتنا من ادخال الأمور الذين في وسط الجزيرة كابن رشيد وابن مسعود في سلطاننا أوجدتهم الينا على الأقل وإذا لم يهنا هذا الأمر دخلت هذه الجهات في حماية الانجليز كما دخلت الكويت ثم أصبحنا جيران انجلترا في حدود ولاية حلب أو الموصل

ونحن نعرف ما تتعلل به انجلترا وما تخترعه من الأسباب الواهية للدخول في البلاد واتخاذ المستعمرات فعلينا الحزم والتبصر .

وأقول مرة أخرى ان بريطانيا حاصرت الكعبة المعظمة فحاصرت الخلافة الاسلامية وحاصرت السلطنة العثمانية بذلك ، وان سياسة انجلترا اليوم تصرح لنا بالعدوان . ان الاتفاق مع روسيا أبعد انجلترا من نظرية لورد سيسكونسفيلد فتخلت عن الانتصار لنا والمحافظة على بقائنا . وكيفما كان موقف روسيا معنا فانجلترا والكوكب التابع لهما

فرنسا تتفان معنا هذا الموقف بعينه

وسوريا — اذا لم أكن مخطئاً — قد تركتها انجلترا لفرنسا بدلا وواأسفا قد أفسد مبشر وفرنسا ونصارى الشام الذين يقفون آثارهم هذه الارض المباركة . فالاخلاق فى تدهور ولولا الصلابة الاسلامية لبلغت من الفساد مبلغ بيروت ولبنان . وان لبنان لجبل من الفتنة شامخ ولقد ربط فرنسا به أن له مرفأ على البحر ففرنسا تبذل كل جهدها لتجعل سوريا تونسأ أخرى وتجد هناك أرضاً صالحة لدعوتها والصبغة الفرنسية لها فى هذه الارحاء سلطان كبير . وها نحن أولاء نتضرع الى دولتنا راجين الاهتمام بهذه المسألة العربية .

نحن نعد بيروت والشام وبعض ولايات حلب من سوريا وجبل لبنان وما حوله وهناك ثلاثة ملايين ونصف من العرب

وانا لارجو كل الرجاء أن يتقرب العرب النصارى من الامة العربية اكثر من تقربهم وان يبعدوا من دسائس السياسة الاوربية وتهذب أخلاقهم .

الاوريون يسرون هؤلاء النصارى فى سياسة النفوذ والاحتلال كما يشاءون . وهؤلاء ينتصرون لاستقلال سوريا أو حريتها الداخلية بترية المبشرين والقسس . لانهم يحسبون انهم اذا انفصلوا منا أو

منحوا حرية الادارة وصاروا دولة أو ولاية حرة أمكنهم أن ينالوا المناصب بسهولة لاتهم أرقى من مواطنيهم المسلمين بزعمهم .

ومن أجل ذلك يوغرون صدور المسلمين علينا وينشرون فكر الاستقلال وهم الذين أظهروا مسألة الخلافة العربية . فليعلم السوريون انهم اذا انفصلوا منا لا يستقلون وانما يصيرون تونساً أو مراكشاً أخرى ان نصارى الشام المتنبيين يريدون أن يلعبوا الدور الذى يلعبه الأقباط فى مصر فالأقباط وهم لا يزيدون على خمسة فى المائة يشغلون أكثر الوظائف هناك .

وفلسطين من الممالك العربية الاصلية كذلك . وهى فى حسابنا تشمل لواء القدس والأقضية المجاورة له ، ونابلس وماحولها وفيها نصف مليون نفس . وهى مجال المظامع الاجنبية والاسرائيلية المختلفة . وقد صار لفلسطين صفة عامة دولية لانها أرض المسيحية . ولهذا الصفة شأن عظيم كان سبباً من بعض الجهات لبقاء فلسطين تحت الادارة العثمانية . كل فساد ، وكل فتنة ومكيدة ودسياسة فهو عمل مباح فى فلسطين . وكل دين ومذهب وكل دولة وكل مبشر بل كل فرقة لها مآرب فى الأرض المباركة . ويريد بنو اسرائيل فى هذا العصر الاخير أن يحققوا آمال حزب الصهيونيين بالتوطن فى فلسطين . ان

كل جهة من هذه الجهات تحتاج الى انعام النظر والبحث ولكننا نصفح عن ذلك لانه لا يتصل بمقصدنا كثيراً .

وأما القسم الثالث من العرب العثمانيين فيسكن لواء « الزور » و « ماردين » وولايات الموصل وبغداد والبصرة وذلك ما نسميه العراق العربي أو ما بين النهرين . ونحن نقدر سكان هذه الأرجاء يليونين ونصف والعرب منهم بمليونين . ثم البصرة تحت سيطرة الانجليز الاقتصادية هذه السيطرة التي تمتد الى بغداد . وبين العراقيين قليل من الاتراك والكرد وبعض العرب تابعون لكنائس نصرانية مختلفة قديمة وحديثة . وفي بغداد جماعة من اليهود . ولا ننس العرب الساكنين بایران الذي يقربون من نصف المليون

والجدول الآتي يبين عدد العرب في آسيا (ولا ننسى أن كل

هذا الحساب بالتقريب)

١٠٠٠٠٠٠٠	ولاية الحجاز
٥٠٠٠٠٠٠	اليمين بأقسامها المستقلة وغير المستقلة وعسير وعدن والنواحي التسع
٥٠٠٠٠٠٠	عمان ومسقط والبحرين وحضرموت ونجد والكويت والربع الخالي وعنزة وشمر الخ

٣٥٠٠٠ ر ٠٠٠٠

سوريا

٥٠٠٠ ر ٠٠٠٠

فلسطين

٢٠٠٠ ر ٠٠٠٠

العراق العربي

٥٠٠٠ ر ٠٠٠٠

« العجمي »

١٧٥٠٠ ر ٠٠٠٠

الساكنون في آسيا الغربية

ومن هذا العدد مليون غير مسلم ومليون أو أكثر من الزيدية
أما الدروز والمتاولة فلا يقام لهم وزن . فاذا أخرجنا مليونين ونصف
من العدد السالف كان العرب السنيون في آسيا خمسة عشر مليوناً منهم .
١٢ مليوناً على الأقل في ولاية الدولة العثمانية .

أما المدنية والرقى فيختلف فيهما هذا الجمع اختلافاً كبيراً . فيينا
ترى في الشام العرب الراقين جداً تجدد في العشائر المتجولة بين الشام
والعراق جماعات قد لا تعد في زمرة المدنيين .

وكذلك اختلافهم في الاخلاق والعادات ثم اختلافهم في اللهجات

لا سيما في المنطق

ثم تنتقل الى أفريقية :

أفريقية هي الارض التي يكثر فيها المسلمون وأهلها معروفون

أكثر من غيرهم

١٢٠٠٠٠٠٠٠٠	مصر (لا يعد الا جانب في هذا)
٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	السودان للمصرى
١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	طرابلس الغرب وبنى غازى
١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	تونس (لا يعد الا جانب)
٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	الجزائر (كذلك)
١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	فاس (تقريبى جداً)
٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	الصحراء الكبرى
١٥٠٠٠٠٠٠٠٠	السودان الفرنسى
٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	السنغال وما يتصل به والسودان الأوسط ووداي وبا كرمى وما حواليها
٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	جمهورية ليبيريا
٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠	السودان الانجليزى والنيجر وما حولهما
٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	مستعمرات طوغو والكامرون الالمانية
٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	الكوتنغو والكامب وموزنبىق ومدغشقر وشرق أفريقيا الالمانى وزنجبار

شرق أفريقية الانجليزى وما حوله
وأوغنده

٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠

٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠

الحبشة واريتره وما يتصل بهما

٧٩٠٠٠٠٠٠٠٠

الجميع

وأعظم هذه الجماعات العرب والمستعربون . وهؤلاء لا يمتازون
عن العرب فى شىء . والسود أنفسهم يدخلون فى الجماعة العربية
العظيمة من حيث اللغة والعادات ، وهم يسكنون فى الحبشة والسنگال
وغمبيا وسيراليون وليبيريا والكونغو وأفريقية الجنوبية ، ومستعمرات
ألمانيا الشرقية ومستعمرات انجلترا ومدغشقر وأفريقية الوسطى المظلمة
وأفريقية الغربية ، الفرنسية وقصارى القول انهم يسكنون فى كل
ارحاء هذه الارض المظلمة .

ومن هذا يتبين ان فى افريقية ثمانين مليون مسلم بغير مبالغة
وأن اكثرهم (كما بينا آنفاً) عرب

ولانستطيع ان نبين باليقين أى مقدار منهم يتبع أى الدول .
فان الناس لم يحصوا فى أملاك انجلترا وألمانيا وإيطاليا وباكستان وفرنسا
الأتونس والجزائر وكل ما يكتب فى جداول الإحصاء ظنى وتقريبى .
ثم هؤلاء المسلمون يختلفون فى مدنياتهم اختلافاً كبيراً فينبأ ترى

فى مصر العرب الراقين جداً قد نجد فى خط الاستواء مسلمين متوحشين .

ليست حال مصر السياسية عجيبة فقط بل هي أعجب العجائب . وليست مصر من وجهة القانون الدولى والحقوق العامة الا ولاية عثمانية ، أثبت ذلك وبينه علانية (الميسوكوشرين) فى كتابه العظيم . ثم ليست مصر ولاية ممتازة ولكن الخديوى وال ممتاز . وليس له من حيث القانون الدولى صفة المالك ، بل هو وال وراثى له حقوق كثيرة .

وانجلترا (الحاكمة فعلا) لا تملك أى حق فيها ، وأعجب الاشياء أن هذه الدولة لا تدعى حقاً بأى وجه وهي مستولية عليها بالقوة وقصارى القول ان مصر فى الأقوال ولاية عثمانية ، وهي فى الاقوال ايضاً مملكة الخديوى ؛ ولكنها فى الفعل مستعمرة انجلترا . ومصر احدى البلاد التى للدول فيها نفوذ كبير وادارتها بعيدة جداً من رعاية المصلحة ومن الشفقة ، وخزيتها رهن لاوروبا كما ان كثيراً من أملاك الأهلين فى أيدي المصارف المالية ، وأما الحكومة فتكاد تستبد بها انجلترا ، وكل الدول تنفع من (الامتيازات الاجنبية) فمصر لكل الناس الا أهلها (١) ، وهم الادارة الانجليزية ان تحول دون يقظة الوطنيين ، ولذلك تفسد مراقبة الحكومة المعارف العمومية

أى افساد . وتمنع الأمة أن تفتح أعينها وتشتت الأحزاب الوطنيين وتسلط علي الأحرار أحكامها العرفية . وقد عرفت انجلترا كل المعرفة أن رجال الحكومة عبيد المال فتركت لهم وللخديوى كل حرية في كسب الأموال وسابتهم في ذلك كل قدرة وساطان . وماذا ينتظر في مملكة يتفق عليها ولائها وغاصبوها ؟ من أجل ذلك تضمحل مصر يوماً بعد يوم وأن يظهر فيها بعض الرفاهية فكل ما أسس فيها يرجع لحساب الأفرنج وأسمائهم ، والطبقة العليا في مصر — التي تبعد من أن تكون عربية — ليست الا عقباناً انحطت على رأس الأمة لا تفتؤ تمتص دماءها .

والحمد لله على أن تيقظ الناس في الزمن الأخير بتأثير هذا الضيق فبدأت الحركة الوطنية في مصر وهذه مصر الجديدة تنظر الى الأساليب والقواعد التي كانت سبب تقدم أوروبا وتتبعها في أعمالها بفكر أوربي . ولكن الذي يحزننا في مصر ضياع الأخلاق .

وفكرة اتحاد مصر واتحاد المسلمين — التي تنشر في مصر يوماً فيوماً — ستعيد الى القوم ما فقدوه من أخلاقهم وسجاياهم في اعتقادنا . وليست آمالنا في الطبقة العالية بل في سواد الأمة وهم مخلصون للسلطنة والخلافة أى اخلاص . وليس بينهم عدولها فان يشذ منهم بعض

أشخاص فأولئك هم عمال الخديوى والانجليز الذين يفسحون آمال
الخديوى فيوقدون نار الفتنة والفساد فى القاهرة كل حين

وأما الأقباط فهم داء فى رأس مصر . والأجانب يأكلون
ثمرات هذه الأرض المباركة ويفسدون فيها . وكل المصريين يعملون
من أجلهم . والحكومة الانجليزية تتصرف فى مصر بما يخالف عاطفة
الانسانية وكل موظفى الانجليز هناك من السفهاء ذوى الاثرة الأئمة
المسرفين الذين يعدون مصر مزرعة لهم .

الاسلام يغلب فى مصر كل يوم والطبقة العليا تسير الانجليز بما
عودوه من الرشوة والتحف والمعاش الكثير

تقول مرة أخرى انه لا يرجى خير من علماء مصر وطبقتها العليا
والمستعمرين الانجليز . وان الذين يظهرون مصر فى المستقبل ويستفيدون
من اشتغال انجلترا أو ضعفها هم سواد الأمة . وكأن غيرهم ليسوا الا
ناهيين وغاصبين . أفريقية الشمالية — أو أفريقية الصغرى — تؤلف
مجموعة واحدة تشمل فاس والجزائر وتونس وطرابلس وبنغازى وهى
— وأسفا — فى قبضة اللاتين الآن : فطرابلس الغرب مستعمرة
ليبيا الايطالية ، والجزائر مستعمرة فرنسا ، وتونس أمارة فى حماية فرنسا
ومراكش امبراطورية تحميها هذه الدولة

ومعلوم ان شمالى فاس منطقة نفوذ الاسبان الذين يحتلون فيه
لميلة وسبته ومواضع أخرى منذ القدم وفى شمالى أفريقية من النصارى
طائفة قليلة من الفرنساويين واكثر منهم مالطيين وطيالان . وفيها
جماعة من الاسبان . وقد فسد لسان الفرنساويين والاسبان فى جهات
الجزائر وتغيرت لهجاتهم . ثم لانسى أن فى هذه الارحاء جماعة قليلة
من اليهود

والعنصر الأكثر اجتهداً والأشد غيرة وذكاء بين العرب
أتراك من نسل الرؤساء والفاطميين القدماء . ومعنى هذا ان للترك اليوم
أعلى مكانة فى أفريقية الشمالية . وهم معدودون من الاشراف فى هذه
البلاد بانهم أتراك . يعرب عنهم أسماؤهم وسماهم وان كانوا أضاعوا
غتهم (مع الأسف) (١) ويعد الاتراك فى أفريقية الشمالية كلها أتجب
قوم ويحبون حباً جاً . والخليفة هناك قرّة عين العامة . وباسم الشريف
يخطب فى تونس بينما تحول فرنسا دون ذلك فى الجزائر . وأما فاس
فالأدارة يدعون الخلافة فيها والمراكشيون لا يعرفون العثمانيين وان
كانوا سنيين .

(١) لاندري أيتفق هذا الأسف مع مايسعى اليه المؤلف بتأليف
كتابه هذا أم لا يتفق ؟

بعض مسامى المغرب من البربر . وتريد فرنسا القاء النفرة بينهم وبين العرب . واعادة الامة البربرية واللسان البربرى ، على حين أنهم اختلطوا بالعرب وصاروا معهم أمة واحدة . واكبر مايعنيننا فتنة فرنسا هذه ، ولاسيا محاولتها اظهار سلطان مرا كش فى مظهر الخليفة .

وفى جزيرة جربة وبعض أنحاء أفريقية طائفة من الروافض لا يهمننا كثيراً انشقاقهم .

والطرق العلية القنادرية والسنوسية والشاذلية والتجانية ونحو سبعين طريقة أخرى ، سلطان كبير فى أفريقية ولاسيا فى الشمال والناس أسراء لهذه الطرق فى يد المرابطين الصحراء الكبرى كلها والسودان وخط الاستواء وسواحل المحيط الأطلسى وأفريقية المظلمة وأهل أفريقية يعرفونهم قبل كل شىء . وبعض هؤلاء تابع للحكومات النصرانية وبعضهم عرضة لاعتدائها ولاسيا فى غرب أفريقية الفرنساوى حيث يعد المرابطون فوضويين ويحبسون أينما ثقفوا .

والسنوسيين فى الصحراء وفزان والسودان دلايين من الأتباع ولهم مرا كز وزوايا وحكام على طول الطريق . والطريقةتهم فى مسألة الاتحاد الاسلامى شأن كبير . ورجاؤنا أن يساوا سياسة حسنة ، فلاحه

وأرقى أفريقية الشمالية وأكثرها تهذباً تونس التي تسومها فرنسا
سوء العذاب الى حد لا يمكن قياسه بإدارة الانكايز في مصر .
فالعاملون المجدون الذين يؤدون الخراج هم العرب وخدمهم اذا الفرنسيون
وسائر الاجانب سادة لاغير . وليس لبائى تونس ولا لأسرته شأن ما
وأمثلة المظالم السياسية والمالية في هذه الأمانة كثيرة جداً . ولا بد
أن تقول هنا أن الفرنسيين ظالمون جداً اذا قيسوا بالانكايز بل اذا
قيسوا بالروس أيضاً . فالتاس في نظر الفرنسيين حيوان يباح تعذيبه .
وليس الفرنسيون بمستعمرين البتة (وستفصل هذا الكلام فيما
يأتى تفصيلاً كثيراً) وان اللسان ليعجز عن وصف الوحشية والاستهانة
والخسة التي يرتكبها الفرنسيون في مستعمراتهم الاسلامية . والفرنسيون
الذين أقاموا صروح الحرية والشورى بانقلاب سنة ١٧٨٩ والمعروفون
بعبادة الحرية والعدل في فرنسا كأنهم في خارج بلادهم نخاسون
يتجرون بالأسري . وما يعد فضيلة في فرنسا فهو رذيلة في خارجها :
فحب العرب أوطانهم جريمة واحساسهم الدينى والوطنى ثورة وعصيان
وليس للعرب حتى حق الحياة والملك بله الحقوق السياسية . فأرضهم
تسلب وهم ينزلون من مراتب الرؤساء الى مراتب الخدم حتى لا
يحاكون بالقوانين التي تحكم بين النصارى . وحتى لا يناثون الحقوق
البلدية . وأما الجزائر فمظلمتها أفظع وعذابها أقدم . والطلبان والملاطيون

فى كل مستعمرات فرنسا فوق المسلمين • وينا يعطى اليهود حقوق
الفرنسيين فى الجزائر (لافى تونس) يذل المسلمون ويهانون فى كل
آن • تريد فرنسا أن تطرد العرب الى الصحراء وترى الوحشية
والبربرية أن يعلنوا حبهم بلادهم بينما تعد دفاع الفرنسيين عن وطنهم
وتعلق الالزاسيين بفرنسا بسالة وعلاوهم •

عجيب جداً أن فرنسا التي أرسلت عطاء أبطالها مثل «روشامبو»
و «لافيت» وسفكت دمها من أجل حرية أمريكا فرنسا الجمهورية
التي قطعت صلتها بالرهبان • فرنسا هذه نجدها فى أفريقية فرنسا أخرى غدارة
عصبية ظالمة معتسفة • فرنسا الحاضرة لا تناسب ولا يمكن أن تناسب
فرنسا القديمة العظيمة محبة الحرية • ألا ان سياسة المستعمرات عيب
كبير للجمهورية الفرنسية •

ومسامو تونس كمسلمى الجزائر لهم أخلاق وسجايا والناشئون منهم
يشبون على خلق حسن جداً لكن العطاء فى تونس أكثر ممن فى
الجزائر • وقد أراد الكردينال (كويجرى) أن ينشر النصرانية
هناك بترية أيتام المسلمين فأنتهى أمره الى خيبة مخزية •

وهذا وأمثاله يرينا أن الصلابة الدينية عند مسلمى أفريقية
الشمالية أكبر مما يظن وانها لأمة يقظة متينة الخلق جريئة بأسلة قد

خالط الدم العربي فيها الدم التركي والبربري فأخرجت للناس عنصراً
نجياً .

ولا يكثر المهاجرون الفرنسيون في هذه الجهات لأن سكان
فرنسا لا يكفونها . وتمنع الادارة الفرنسية دخول المهاجرين الطليان
بالسهولة التي كانت من قبل . ولذلك أظن أن المسلمين سيكثر عددهم
في تونس والجزائر ومراكش في حين يقل النصارى عدداً ونسبة .
ويتبع المسلمون هناك مدينة أوربا بخطوات ثابتة وان كانت بطيئة
وتزيد بينهم فكرة اقتباس هذه المدينة فلست أكون مخدوعاً اذا
قدرت أن هذه الأقطار — ومصر معها — ستؤلف في المستقبل
القريب دولة تضم ما بين سواحل الأطلس الى ساحل عمان من جنس
واحد ولغة واحدة وعلى نسق واحد

مراكش سيئة الحال ولكن لها مستقبلاً عظيماً . وستلحق
فرنسا في ضبط هذه الامبراطورية شذائد كثيرة . وان لنا ثقة عظيمة
أن الناس ينتبهون من رقبتهم بما يحدث من هذه الحادثات ورب
أمة لا تعرف نفسها حتى تصاب بمظالم الأجانب . أنظر بولونيا كيف
كانت في نزاع وفساد داخلي قبل أن تقسم فلما قسمت بين الدول
عرفت عصبيتها وسعت الى وحدتها القومية . وكذلك العرب كانوا في
غفلة وشقاق فلما أحسوا تغلب الفرنسيين عاينهم بالآتهم وفنونهم وتدبيرهم

العجيب ورأوا ظاهريهم عن كذب ، أفاقوا من غفلتهم . ولا ، يب أن
مرا كش ستقدم وتنوي باتباع هذا القانون

وقد وكلت أوروبا الى اسبانيا حماية جهات مرا كش على البحر
الابيض — وهي الريف التي تبلغ عشر مرا كش — خوفاً من تحكم
الانجليز فيها حول جبل طارق

وقد استثيت طنجة وستجعل دولية . فماذا تصنع أسبانيا
هناك ؟ لا شيء ! هذا جراب لا نتردد فيه فان اسبانيا في حاجة الى
المعونة وأهل مرا كش لا يهابونها والاسلام لا يبالى بها

وأما ايطاليا فخائفة لا تريد أن تخاطر بنفسها في طرابلس ، وانما
نخشى أن يؤدي ضيق ايطاليا على أهلها الى كثرة المهاجرين فيصبح
النصارى عنصراً في هذه الغلالية . ان مما دعا ايطاليا الى الاستيلاء
على طرابلس ارادتها التحكم في ثغر (بوناب) حتى اذا حصنته مثل
طولون وجبل طارق وبنزرت ومنطقة حصلت ايطاليا والاتفق المثلث
معها على الموازنة في البحر الأبيض فبقى ايطاليا في عداد الدول
العظمى .

ويتهم الاسلام كاتطار السريع بين السود في أفريقية الوسطى
والغربية والسودان والصحراء الكبرى جنوبى أفريقية الصغرى .
ولا بد من يوم يعم فيه الاسلام كل زواجر أفريقية وان تستطيع أن تمنعه

حكومات الافرىج بنصرانيتها وعاداتها وأساليبها . وان الوحشى الزنجى يرى نفسه متمدناً سيداً شريفاً بدخوله فى الاسلام . ان الاسلام يظهر المعجزات فى تقدمه بلا مبشر ولا مل ويعمل بنفسه فى افريقية وآسيا ملا يعمله مبشرو الكاثوليك والبروتستانت والروس فى زمان طويل على استبسالهم وكثرة نفقاتهم . وانه ليوافق الفطرة كل الموافقة ويكفل كل الحاجات البشرية حتى ليظن المهتدون اليه أنهم باعتمادهم قد ولدوا من جديد ودخلوا فى أسرة عظيمة ونالوا السعادة الأبدية وماهم فى ذلك بمخطئين . يضىء نور الاسلام افريقية المظلمة ويمدّن هذه الملايين المتوحشة ويرفع مستوى البشر فى القرن العشرين الميلادى وتنى لأقول ذلك بكل حرية فى الفكر وجراءة فى الخاضع لتعصب قومى أو دينى . وأعتقد أن الأذكاء من علماء أوربا المجتهدين فى مسائل افريقية وآسيا يؤيدوننا بلا ريب

ان مستقبل افريقية اسلامى وسيعم محيط الاسلام حتى الحبشة وسيظهر النجاحات استعداد العظمة والسلطان العام (استعداداه الأفريقى) مبايعاً الاسلام يداً بيد فى العصر الآتى أو أواخر هذا العصر

كل سواحل افريقية داخلية فى نفوذ الاسلام . والتجار الكبار والاعيان فى الحبشة من المسلمين . والمستعمرة الحمراء الايطالية

((١) Colonia eritrea) ونواحي جيبوتي وأوبوق الفرنسية الموازية باب المندب ، وبربرة ، والصومالات الثلاثة (الانجليزى واليطياني والفرنسى) وزنجبار ودار السلام ، كل أولئك مرا كزعظيمة للاسلام وداخل البلاد التى نسميها الصومال الايطالى تحت سيطرة الشيخ وداد ولم يستطع الطليان الدخول فيها

السودان شجا فى حلق الانجليز . والاوربيون فى أفريقية الداخلية يقيسون العذاب الأليم

وانجلترا تعد مستعمرة كبيرة تغنى غناء الهند اذا خرجت من يدها وتريد أن تصل بين القاهرة ورأس الرجاء . والأرض التى بين هذين الموضعين (مع استثناء قسم من الكونغو) تحت رقابة الانجليز . بيد أنا ليس أملنا عظيما فى ان تولد هذه الهند الجديدة . وظننا ان الانجليز اجتازوا طور علائهم ، وأن صلابتهم ومقاتتهم تقصت الى درجة لا تمكنهم من هذا الأمل .

وكذلك الفرنسيون يأملون أن يخلقوا هنداً بين البحر الأبيض وخليج غانه . أسفاً! قد تأخر الفرنسيون فى هذا السبيل جداً! أليس استعمار الفرنسيين للصحراء الكبرى . بينما يستعمار الالمان أرضهم (باريس

وشمبانيا وقوت دازور) يشبه خيالات صاحب العظمة جاك لوبود
الاول امبراطور الصحراء ؟ . وأما حلول المانيا فجدير بالقلق لأن هذه
الأمة التي هي في دور عظمتها تحسن التوطن في البلاد التي تدخلها .
وستدخل مستعمرات بلجيكا بل مستعمرات فرنسا في امبراطورية
المستعمرات الألمانية (قسم مثل الكنفو الذي ألحق بالكامرون)

قد توطن العرب في اتجارهم جزائر الصوند، وجزيرة سرنديب،
وساحل خليج عمان وخليج بنغالة . ومنهم جماعات في سواحل الصين
وفي الهند .

وهم عنصر ممتاز في هذه الجهات لكنهم ليسوا حكماً في أرض
من الارضين التي ذكرناها . فجماعاتهم كالجاليات اليونانية في القرون
الاولى

ولهذه الطوائف العربية أثر عظيم في الاسلام وبهم بعم الاسلام
هذه الأرجاء وتنتشر اللغة العربية . وهم وصلة بين مهد الاسلام وسائر
الجهات . وأكثر هؤلاء العرب تجار .

العرب يسكنون كذلك جنوبي أفريقيا . وشمالها والسودان
المصري والسودان والصحراء وفزان وفي كل بقعة من أفريقيا المظلمة .
وترى في أفريقيا عرباً كثيرين لم يتركوا جنسهم وان صاروا زنوجاً .

هذه حال العرب الآن . وانا لنظن أنا في كتابة هذا الفصل لم نوف
جزءاً من ألف مما يجب أن يكتب في شؤون العرب وأفريقية وآسيا
الغربية فليتفضل أولو المقدرة باكمال تقصاننا !

المسلمون في الحال الخاضرة الأتراك

الأتراك شعب هام من المسلمين بل أهم شعوبهم من حيث
الشان لا العدد . ولو أن الأتراك لم يأتوا من طوران ويصونوا الحرمين
الشريفيين لزال الاسلام من عالم السياسة تماماً بعد اقتراض الدولة
العربية . فقد كانت خدمة الأتراك للاسلام عظيمة جداً جديدة أن
يقدرها العرب حق قدرها . ولو أن سليما الأول لم يستول على الخلافة
لكان الحجاز اليوم مستعمرة لدولة أوربية فما كان للخليفة في زمن
المتوكل على الله من الخطراً أكثر مما (الجلي) قوبله اليوم . وان
عظمة الخلافة التي تعم العالم اليوم من آثار الأتراك وآل عثمان .

ويمتد ملك الأتراك الجغرافى من روم ايلي الى بحر الصين
وتتراعى هذه الأرض الواسعة الى جوار موسكو فى الشمال
روم ايلي والأناضول والفرم والقفقاس وأيدل (حوض نهر
ولغا) وغربى سيبيريا وما وراء بحر الخزر ، والتركستان وآسيا الوسطى وخبوى
وبخارى والأفغان وأذربيجان والتركستان الصينى وكثير من ولايات
جمهورية الصين . كل ذلك يؤلف امبراطورية هذا الشعب .

وكل الأتراك على التقريب مسلمون ومنهم بعض المجوس في
روسيا وكلهم سنيون الا قليلا من الشيعة
كم عدد الاتراك في العالم ؟ يعسر أن نجيب هذا السؤال جواباً
قاطعاً ولكن التقدير الآتي قريب من الحقيقة فيما نؤمن
في روم ايلي وجهات الأناضول والبلقان والولايات العثمانية التي
معظمها من غير المسلمين خمسة عشر مليوناً

وفي ولايات روسيا الأوربية ومنها التتر الذين هم أهم قسم من
الأتراك ، وفي قفقاسيا وآسيا الوسطى وفرغانة وسيبيريا وخيرى وبخارى
خمسة وثلاثون مليوناً لا أقل
واذا قدرنا مسلمى الصين تقديراً يقرب من الحقيقة بخمسين
مليوناً فمنهم عشرون مليوناً من الاتراك في الشمال والشمال الغربى •
وأفغانستان وطن تركى عظيم فالجميع ٧٥ مليوناً

ويذبغى أن لا ننسى هنا ان الاتراك يختلفون الى قبائل وبطون
وأفخاذ • وتختلف لهجاتهم قليلا • ومع ذلك نستطيع أن نقول ان
لغة التركية ثلاثة لغات العالم انتشاراً — اذا استثنينا اللغات التي يتكلم
بها عبدة الأصنام — فالتركية تجي بعد الانجليزية والالمانية وبعد
هؤلاء الفرنسية والاسبانية والروسية (المسكوفية الأصلية)

ويمكن تقسيم الأتراك ثلاثة أقسام : المتكلمون باللسان العثماني
بالاجمال واللهجات القرية منها : وهم الاتراك العثمانيون وأهل
القفقاس وأذربيجان والبلقان والقرم • والقسم الثانى الاتراك المسلمون
بالتتر والقبائل المنسوبة لهذا الشعب وهم المقيمون فى شمال روسيا •
والقسم الثالث أتراك التركستان وآسيا الوسطى ولسانهم جغتاي أقرب
الى اللسان العثماني

وبعض الاتراك العثمانيين تابعون للبلغار ورومانيا وروسيا
وايران • ومن الاتراك رحالون
والأقسام الجنسية التى ذكرناها تشمل اللغة أيضاً • وآداب
لغة الشمال والوسط قد تتفق على مر الأيام مع الآداب العثمانية التى
هى أكمل منها • ولكن اتفاق اللهجات لا يمكن فى زمن قليل وان
اتحاد الآداب ليظهر وحدة الاحساس والأفكار التى هى واحدة فى
الحقيقة

والعثمانيون أكثر هؤلاء الأتراك استعداداً للحكم وقد يكون
سبب زوالهم ميزة الغلبة والاستيلاء • ولهذا القسم التركى فضائل كثيرة
لا تنكر • اننا ضعفاء مغلوبون الآن حقاً ولا نظهر فى صورة كاملة ولكن ينبغى
ألا ننسى ان هذه الأمة جاءت من سهول طوران عشيرة صغيرة
فحكمت أهم أقسام العالم

وبهذه الصفة يشبه الأتراك الرومان في العهد الماضى والانكايين
فى العهد الحاضر شبيهاً كبيراً . وان احدى خواص الأتراك هذه
السيطرة المطلقة . وما عرف تاريخ الدنيا أمة وسعت ما بين سواحل
آمور فى الشرق الأقصى الى سواحل اسكندناوا وما بين قانصو
فى الصين الى ابواب ويانه . ولا يدل اضمحلالنا اليوم على قصورنا
وتقص كفاءتنا فنحن خاضعون لسنة التاريخ . وقد أصيبت أسبانيا
من قبل بهذه العاقبة . وسيشهد القرن العشرون سقوط
انجلترا وفرنسا . لقد أظهر الأتراك صولتهم فى التاريخ بأوضح
صورة

ولست كفاءة الأتراك للحرب والغلبة فحسب . فقد بذل أتراك
الشمال والوسط جهدهم فى السعي والاقتصاد اذ لم يكونوا أمة حاكمة .
والآن تنبغ فى أطراف بحر الخزر وما وراءه وفى سواحل ولغا أمة
تركية شديدة جداً متينة زكية غيور وانها لفأل حسن لمستقبل هذا
الجنس .

الأتراك الأقوم أخلاقاً والأبهى مستقبلاً والأرفع فى طبقتهم
الدنيا هم أتراك الشمال . وهذا العنصر الجديد الذى يقابل بطالة
الروس الحاكمين وفتورهم ستشرق به وجوهنا حين يصبح مثالا

للمرفعة والكمال في المستقبل القريب . وسيبريا الكبرى وآسيا الوسطى والشرق الأقصى الروسى مجال اقتصادى لهذه الامة . وقد كان من انتباههم منذ خمسة وعشرين سنة نتائج حسنة جداً . وليس رقبهم ظاهرياً بل هو أساسى وإنما يعوزهم طبقة عليا وانها تكون الآن شيئاً فشيئاً وبعد ذلك لا يبقى خوف على الاتراك غير العثمانيين . ان هذه الامة لتتقدم بخطوات ثابتة وان كانت بطيئة .

وتربط كل أقوام قفقاسيا الاسلامية بهذا الجنس الرابطة الدينية فلا حاجة الى اطالة البحث عنهم . عدد المسلمين فى خيوى وبخارى وسائر جهات روسيا أربعون مليوناً وإنما يحتاج هؤلاء الاتراك الشماليون الذى سبقوا الاتراك العثمانيين فى الثروة والنظام والاخلاق الى طبقة عليا — كما بينا — وان رجاءنا العظيم فى هذه الطبقة التى تظهر الآن فانها لن تكون فاسدة مثل طبقتنا العليا . وأما الأتراك العثمانية فأمهم فى يد القدر فقد أنهكتهم الجندية والحرب المستمرة والثورات الداءة وتدخل أوروبا وسيطرتها

لم يرب الاتراك العثمانيون على الصفات الوطنية . وقد نالوا الغلبة والحكم بثمن غال . فلا بد من العناية بأن تنشأ هذه الامة على الأخلاق الوطنية وتزاد وتنمى فى كل قانون للإصلاح القومى . فاذ

لم يجد التفكير في مستقبل الأتراك العثمانيين الذين وضعوا سياسة
واجتماعا واقتصادا ووهنت أجسامهم بانضمام بعض الأمراض البسيطة
فليس لهم بد من الهلاك . كل الناس أعداء هذه الأمة البائسة .
وكل العالم يرتقب فناء هذا القوم الحربى . وقد زرعت بذور التفريق
التي يبذرها الأجانب فى المملكة عداوة الأتراك فى قلوب العناصر
الداخلية نفسها (قد بينت أسباب اضمحلال العثمانيين بيانا تاما فى
كتابنا « تاريخ تدييات عثمانية » وكتابنا « مقدرات تاريخية » كما
تضمن كتابنا « شمال خاطره لرى » مشاهداتنا وأفكارنا فى أترك
الشمال)

وأما أترك آسيا الوسطى (الصين والروس) فمتأخرون بالنسبة ،
ولكن أرضهم مضطرب اقتصادى طبيعى لا تراك الشمال فلاشك أن
هؤلاء سيعمرونها . ان ولايات الترك الروسية مملكة واحدة للجنس
التركى فلن يترك الأتراك المتقدمون فيها اخوانهم المتأخرين على حالهم
ولا المسلمين جميعا

ولن ينس التاريخ أبدا هم أغنياء التترو وعلمائهم فى هذا السبيل
فقد رفعوا أبناء ملتهم فى العلم الى مستوى أرفع من مستوى الروس أنفسهم
فى حين أن الحكومة الروسية تضمن على المعارف العمومية بدرهم واحد
بل تعوق التربية والتعليم بكل الوسائل

سينتج أتراك الشمال التركستان بالعلم والتجارة ويؤدى لهم الفوائد
الجليلة ما أنشأه الروس من المصارف المالية والطرق والسكك الحديدية
ويدخل التتر المشرقون كالصبح في آسيا الوسطى دخول الزئبق
بالآلات ووسائل النقل التى أقامها الروس لفائدتهم ثم يقبضون على
تجارتهما ويتبعهم المربون والعلماء (خوجه وخوند افندى) وكذلك
يبدأ القوم تكاملهم في عالم الاسلامية والتركية

وعجيب أن حكومة القيصر على شدة ظلمها لا تستطيع أن تمنع
تكثر الاسلام واهتداء غير المسلمين في مملكتها فالاسلام يتقدم في
روسيا بخطوات الجن كما يسير في أفريقيه ، والاتراك في روسيا أهل
جد وعمل يكفل لهم الغلبة في زحام الحياة . والروس مثل الاتراك
العثمانيين يرغبون في الحكم والأتراك هناك مضطرون للعمل كالأروام
والأرمن هنا ومن أجل ذلك ينتظر أن يصاب المسكوف بما أصاب
العثمانيين .

وأتراك الصين متأخرون بالنسبة لأتراك روسيا ولكن صلابتهم
الدينية والجنسية لم يمسها خلل ما . وأظن أن تبادل الأخذ والعطاء
بين القسمين سيكون سبباً في فلاح مسلمى التركستان الصينى

وأما خانات بخارى وحيوى فلا يرجى منهم خير في السياسة فقد

سحقوا تحت سلطان الروس.

وأما أتراك ازربيجان فيؤسفنا أنهم لم يدركوا تركيتهم الى زمن قريب بما بينهم من الخلاف السياسى والمذهبى ومع هذا فقد ظهرت اليقظة القومية بين هؤلاء الاتراك أبناء الاتراك التابعين لفارس والبالغين مايونين عدداً .

يمكن تعميم اللغة التركية واصلاحها بقليل من الجهد والغيرة ويمكن أن تصل الطبقة العليا من هؤلاء الخمسة والسبعين مليوناً الى مستوى تفهم التركية فيه . ان تكن العربية لسان المسلمين الدينى فالحق أن التركية لسانهم الرسمى لأن الذين يصونون الاسلام سياسة اليوم هم الاتراك علي رغم ما يقال

وقد نفذت الجنسية التركية في بلاد الأفغان فهي الأصل هنالك وشرعت الأفغان تتكامل اليوم بانتباهها وكان وقوعها سداً بين الانجليز والروس سبب بقائها • وهى اليوم تظهر مظهر دولة صديقة للانجليز بعد أن كانت خاضعة لنفوذ كبير

والأمير حبيب الله خان يعد نفسه يد السلطان العثماني في سياسة الشرق ، ونحن معشر العثمانيين — مع الأسف — لانستفيد من هذا

فليس لنا علاقة رسمية بهذه الدولة قوية الشكيمة مع أمها أقوى حكومات
الاسلام في زماننا

في بلاد الأفغان أتراك عثمانيون يساعدون ، وكثير من مواطنينا
في حاشية الأمير بجنون ويجهدون في ترقية الأفغان . وقد رأينا
الأفغان في مصائبنا الحاضرة مرتبطة بنا بأقوى سبب . وإن لحكومة
الأمير حبيب الله خان خطراً يؤثر في أحوال الإنجليز والروس •
فالجيش يقوى يوماً فيوماً ، والصناعات تعم في المملكة ، والأسلحة
وعدد الحرب تصنع في « كابل » والإدارة ينالها الإصلاح ، والتنسيق
من يوم لآخر . ثم سكان الأفغان عشرة ملايين أهمهم أتراك

ان اتقطاع العلائق بيننا وبين الأفغان في حين لنا علاقة رسمية
مع اسبانيا والبلجيك وعدم وجود سفير لنا في الصين التي تحكم خمسين
مليوناً من المسلمين - كل ذلك من المعميات التي يعسر فهمها -

نحن نستطيع أن نتعقب سياسة الروس والإنجليز من كابل عاصمة
السلطنة فعدم وجود عين مبصرة لنا هنالك لا يدل على ان تبصر كثيراً .
إن الحوادث التي تظهر في الأفغان لها ارتباط بمخباتنا ولكن دققت
سياستنا الدولية مسائل الاسلام • ونحن لانفهم كيف لا تهتم المشيخة
بهذه الجهات ؟ أليس لهذا المقام الديني الاتوزيع الجرايات لمستحقها ؟

يجب أن يعلم مقام المشيخة أن القصد من وجوده أن يكون
واسطة تنفيذ الدولة للخلافة وان بها فقط يمكن أن تدار سياسة الاسلام
والخلافة . وبعد فنبعث هنا قليلا عن الاتحاد التركي « بأن تركيزهم »
حق ان الاسلام يمنع تغلب أمة بعينها بين أممه (لا جنسية في
الاسلام) ولكنه لا يأبى تكامل الأمم اذا لم تضر بسائر الأمم
الاسلامية ولم تضع الأخوة الدينية ، بل ذلك يوافق مقاصده

فاتحاد الأتراك اليوم فرض تدعوا اليه الضرورة والحاجة فليفهم
الأتراك قبل كل شيء في رعاية أى دولة كانوا انهم أمة عظيمة
عددتها خمسة وسبعون مليوناً . ان للاتراك سجلاً مشتركة ، وخصائل
وعادات وأخلاقاً وديناً ولساناً وأهلاً كذلك . وانما يرقى في هذا العصر
من يفقهون الاحساس القومى ولا يمكن الرقى بغير هذا لأن الارتقاء
رهين باتحاد الجماعات وتعاونها والكمال يكون للأمة كلها وما كان
لرقى الافراد الى الآن فائدة فى الأمة كبيرة

ولهذه الأهمية يربى السياسيون الأمم ولا نعلم أشياء أخرجوها
من العدم . فإذا ازم رقى الأتراك علماً وأدباً واجتهاداً واقتصاداً فذلك
مشروط برقيهم وهم آتة .

ان الأمم فى زماننا تكون جماعات فى سبيل أية دولة كانوا

وفي أى أحوال اجتماعية عاشوا . وإيطاليا عاشت زمناً متفرقة في أحوال سياسية مختلفة ثم دخلت فيها فكرة الوحدة القومية فظهرت دولة إيطاليا في العالم .

وكذلك كان الألمان فنضم أكثرهم إلى الإمبراطورية ، ولم يبق إلا ولايات الجرمان التابعة للنمسا وولايات البلطيق الروسية وكتون الجرمانية في سويسرة

وروسيا تجمع السلافين جميعاً تحت لواء الجامعة السلافية .

واليونان تجرب اليوم الجامعة الإلينية .

وليست الجامعة اللاتينية مفقودة وإن لم تشبه هؤلاء من بعض

الوجوه

فكيف لا تشجع الجامعة التركية من جهة الفكر والاحساس ؟

نحن لانهم في الخيال فنحاول أن يتبعنا خمسة وسبعون مليون تركي ولكن اذا اجتهد الأتراك في أن يجعلوا تربيتهم على نسق واحد ليعرف بعضهم بعضاً فهل يشكر هذا ؟

والحق ان الأتراك المختلفين تبعية يسلكون هذا المسلك القومي

بمعرفة أنهم أترك . فقد يكون الاهتمام بهذا من حيث اللفظ فقط •

والاتحاد القومي موجود بنفسه حقاً ويكفى لهذا أن يكون الإنسان

تتركياً فان الشخص من هذه الأمة العظيمة يدرك بأول فكر أنه ابن

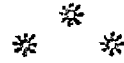
هذه الأمة التي زلزلت الارض حيناً ، وحق له أن يفهم هذا
ان محبة القومية عند الأتراك تسير سيراً مريضاً ، وتعمل عملها في
غير جلبة ولا صخب ، والأتراك غير العثمانيين يتبعون هذا الفكر
ويشاركون فيه على شوق عظيم ، وان هذا الأمل روح سيمياوى
يسخر لأرادته خمسة وسبعين مليوناً ولا يقف دونه شىء . وبعض
العسف والظلم ينفع في هذا السبيل ويزيد احساس الناس بوجودهم ،
وقليل من الشدة والقسوة يزيد هذا الأمل قوة ، وما عرف العالم قوة
تغلب الفكر وتثبت أمام الأمل

ما وجد الأتراك منذ هجرتهم واستيلائهم الكبير وقتاً للتفكير
في أنفسهم والنظر لأمتهم . أما الآن فيخلق فيهم وجدان قومى ، أو
ينجلي هذا الوجدان المستقر في نفوسهم من قبل ، ويصادف الوسائل
لظهوره .

هذا العصر عصر القوميات . ولا يستطيع المسلمون أن يقفوا
بعيدين من هذا التيار . والاسلام رابطة أخوة تكفل ألا تكون
القوميات سبباً للشقاق والتباغض وألا تغلوا الأُم في عصبيتها . الاسلام
كعشيرة واحدة والأسر التي تتألف منها هذه العشيرة هي الامم .
فكيفما كانت منافع العشيرة التي تربط الأسر بعضها ببعض فالمقاصد

لاسلامية العالية مثالها . الاسلام يلعن العصبيات التي يعادى بعضها بعضاً ويجهد في سلب حريته وغصب حقه وازالته من طريقه . وله في ذلك الحق كل الحق . ولكن لا بد أن تنقسم أمة تشمل ثلاثمائة مليون أو سدس البشر الى شعوب مختلفة اذ لا يمكن أفرادها أن يتبعوا عادة واحدة ويتكلموا بلغة واحدة ويتلونوا بلون واحد . ومع هذا (نكرر ذلك) فالاسلام يعد هذه العصبيات في الدرجة الثانية ويجعل نفسه رابطة أخوة فوق الجميع

من أجل ذلك نعد العصبية التركية معقولة مشروعة وضرورية ومنطقية ، علي شرط ألا تعارض الأخوة الاسلامية وألا تعتدى علي حق الآخرين وبهذه الوسيلة وحدها تقوى الأمة التركية ويقوى الاسلام معها . ذلك لمستقبل الاسلام من أعظم المسائل وأجدرها بالعناية .



التفريق بين المسلمين

قد بينا يائنا تماماً أن الاسلام يحتم الاتحاد وأنه أخوة متينة بمعناها التام فالآن نقول موقنين انه لا شيء يعادى الاسلام كالتفريق . وأن تفريق المسلمين قسمين في السياسة أو الاجتماع أو المذهب أو العصبية —

ليس الانسيانا لتواعد الأسلام وان انهزام المسلمين في كل ارض
وتخليهم عن مواقعهم لغيرهم في كل جهة ليس الا نتيجة تباعدهم عن
السنن القويمة التي ذكرناها .

ان أساس السياسة عند الدول النصرانية التي تحاصر المسلمين
وتحل محلهم ، هي القاء البغضاء والعداوة بين المسلمين وكذلك يفعل
الأوروبيون في الصين ويعثون في الأمة الآراء المفرقة ، وذلك أول
أعمال المبشرين النصارى السائحين هنا لك والمقيمين

ومن أمثلة ذلك عندنا أن بعض الحكومات في الزمن السابق
أثارت الارناؤود وأيقظت فيهم أمل الاستقلال بقولها انهم أمة
ابتليت بظلم الاتراك .

وقد حذق هذه الاشاعة والاذاعة رجال خلقهم الدراهم فكان
في الأمة اختلاف كبير . ولم يفتن رؤساء الحكومة العثمانية الى
هذه المعضلة الحيوية فظهر الفساد في الارناؤود . وكذلك لقي
الارناؤود الصعاب قبل أن يفهموا هذه المكائد وكانت عاقبتهم
الامحاء والزوال (ذلك وقد بينا لاولى الأبصار هذه العاقبة الأليمة
في مقالات شتى قبل الحرب بكثير . وحذرنا الأارناؤود فما ارادوا
الاصغاء الى النصيحة !)

تسمى أوروبا بهذا الشرفى كل مكان . فجمهورية فرنسا مثلا
تداهن البربر وتذيع لغتهم وتحبب عصبيتهم لتلقى العداوة بينهم وبين
العرب . وهل يقصد من هذا — عجبا — سعادة البربر أو غلبة فرنسا؟
أسفا ! تجرى هذه الاذاعة نفسها فى بلاد العرب . فالفرنسيون
والإيطاليان والإنجليز يعمرون فى افهام العرب انهم غير الأتراك وان
الأتراك استرقوا العرب كلهم اذ حكموا بلادهم . وقد استمرت هذه
الاشاعة فى سوريا باعمال العرب غير المسلمين فبعض المدارس
والمكاتب والجماعات والصحف والرسائل والكتب تؤيد هذه الافكار
وتسيرها ويستفيدون من كل عجز أو تقصير من الحكومة العثمانية ليفسدوا
ذات البين . يقولون للعرب : ماذا يعمل الأتراك لكم ! !

ثم يأتون العرب من حيث يستفزون عواطفهم ويغمرون بمواضع
الحمية منهم يتقدمون اليهم بمسائل العزة والأنفة وينظمون الاشعار
ويكتبون المقالات لاذاعة هذه الآراء وقصارى القول أنهم يثبون
عداوة الترك جهد استطاعتهم وكم أعانتهم سلامة قلوب العامة وسذاجتهم
ثم هم يوقعون الشبان وطلاب المدارس فى شباكهم بسهولة . وهذه
الحملات تؤثر فى الطبقات العالية على مر الزمان

هلينا أن نبحث فى المسألة من وجوه مختلفة :

واعجبا ! هل تجتهد أوروبا فى اثارة هذه الثائرة القومية لمنفعة

غيرها وهم العرب ؟ لسنا بها الى هذا الحد . كان ملك الجبل الاسود يحى المالىسوريين والارناؤط القارين فهل كان يريد نفهم ؟ كلا ! قد أظهر هجوم الجبل الاسود على الارناؤط بعد اعلان الحرب أن العواطف التى أظهرها الملك « تكتيا » للارناؤط كانت فى أى منزلة من الاخلاص .

وكذلك كانت حكومة النمسا والمجر قبل سنة ١٢٩٣ هـ كانت تحرض فى ثورة البوسنة . فهل كان ذلك ياعجبا لسعادة أهل البوسنة ؟ أظن أن احتلال البوسنة والمهرسك ثم الحاقهما واصابة أهل الصرب بضروب المظالم يبين أن حكومة ويانه لم تكن تريد ذلك . وقد اعانت روسيا أمراء القرم (كراى) وحمت الحكومة العثمانية على الاعتراف باستقلالهم وما أرادت روسيا بذلك صيانة التتر فقط - أظهر استيلاؤها على القرم كيف كان غرض المسكوف

واليابان حاربت الصين من أجل استقلال كوريا وحاربت روسيا لاقاذا كوريا من يدها ثم انقضت عليها دولة الشمس المشرقة بعد أن ابعدت روسيا والصين . وكثير أمثال ذلك .

عجبا ! أيستحسن العرب انفصالهم من العثمانيين .
أظن أنه لامصيبة تكون اكبر من هذا . الحكومة العثمانية تلقى الشدائد فى مدافعة المطامع الاجنبية فكيف تستطيع الدفاع أمانة عربية

جديدة ؟ ان لانجلترا في العراق واليمن وفرنسا في سورية عيوننا لا تغفل
وهذه الدول لا تريد ولايات العرب لسعادة العرب فكيف
لا يكون افتراقنا مع ذلك سبيلا الى الأسر ؟

وبعد ... فهل العرب في الحق أمة محكومة والترك أمة حاكمة ؟
هل الترك أولاد السلطنة العثمانية والعرب أولاد ضررتها ؟ نحن لا ننكر
الفوضى عندنا ولكن هل ظلم العرب أكثر مما ظلم الأتراك ؟ وهل
أبواب الحكومة موصدة في وجوه العرب ؟ ألا ينال العرب في دائرتهم
المحدودة من الحرية والعدل والمساواة ما ينال الأتراك

ان التفرق يحتم حلول الاعداء . فلو لم تفصل منا ولاية مصر
العربية في ادارة محمد علي باشا القولى لعسر على الانجليز أن يخرجوا
عساكرهم الى الاسكندرية منذ ٣٠ سنة
والآن أريد أن أؤاخذ الترك قليلا

العرب عناصر لا تقبل الافتراق من الدولة العثمانية والخلافة
الاسلامية . وهم قوامنا وعماد حياتنا ولهم في الدولة حقوق مثانا .
فيجب أن ينالوا حرية الادارة في المسائل الثانوية . لا أريد الاستقلال
بل الادارة المحلية (Local Government) . فعلينا أن نبادر الى
انشاء هذه الادارة اليوم لتطمئن قلوب العرب وحتى لا نعيد فاجعة

الأرناؤد . ولا بد أن يستعمل اللسان العربي في المعارف الابتدائية والقضاء والأموال المحلية

ثم على العرب أن يظاهروا الاتراك كل المظاهرة ليحافظوا على الدولة والخلافة والرابطة الاسلامية وتكون قوتهم كافية لملاقاة العدو وكنا جريئنا على نصيح الحكومة باعطاء هذه الادارة المحلية للأرناؤد ولكن حكومة ذلك الزمان لم تكن لتدرك هذه الدقائق فطلب الأرناؤد استقلالهم وكانت العاقبة تفرقا وانهزاماً وفناء بعض الأرناؤد وضياح بعض بلادهم ثم الاستقلال !

على أن بلاد العرب ألزم للسلطنة والخلافة من بلاد الأرناؤد كثيراً فان لم تفكر في وسيلة للائتلاف متينة فالعاقبة خسر . يجب على العرب والترك أن يعرضوا عن الأمانى الباطلة وأن يتحالفوا ويتعاونوا ويردوا مكائد الاجنبى حذرين مفكرين في هذه العواقب لابد للعرب والترك من أخوة خاصة بعد الاخوة الاسلامية العامة الترك في حاجة الى العرب والعرب في حاجة الى الترك . وليس انفصال بعضهم من بعض مؤديا الى الفلاح بل هذا التفرق يفضي الى ضعف كلا القوتين

نقص المحبة وفقدان الموالات والاتفاق نزل بنا جميعاً الى هذا

الدرك . فأدنى ما يجب علينا بعد ذلك أن ننتبه ونرجع الى قواعد
الاتحاد الاسلامى • كان المسلمون متحدين فحكموا العالم فلما تفرقوا
حكمهم العالم

المسلمون فى غير المملكة العثمانية كلهم أنصار الاتحاد وهم
ينصحوننا بما ذاقوا من مرارة السيطرة النصرانية فكيف ونحن فى
دائرة الاتحاد نظن رابطة الوفاق زائدة ومضرة بنا ؟ ان فاس وتونس
والجزائر تبكى دماً من ادارة فرنسا والهند ومصر سئمتا سيطرة الانجليز
فكيف لا يكون مسaire فرنسا وانجلترا والتسكين لنفوذها وتريتهما
واحتلالهما فى سورية والعراق — دعوة الى الأسر ؟

الفرنسيون يهتمون فى أحاديثهم وكتبهم وجرائدهم ومحافلهم باحتلال
سورية • وجبل لبنان كله مجال لهذه السياسة وكأنه فى حاية فرنسا
وهى تستميل المارونيين وسائر النصارى بالوعد والوعيد والمداينة
والأموال • ويجتهد فى هذا كل اليسوعيين وطوائف الرهبان حتى
الجماعات غير الدينية فبث بعض الشبان فى سورية هذه الافكار
الغريبة الغريبة دون أن ينكر عليه أحد بينما ترى هذه المهالك بالعين
كيف لا يكون مهلكة عظمى فى مستقبل الاسلام

يجب على رجال الحكومة ان يفهموا هذه الامور مثل السوريين
أو أكثر، فأن سوريا احدى ولاياتنا ذات الدلال تحتاج الى سياسة

عربية تلائم مزاجها . فعلياً ان ننظر مطالب اخواننا هناك بالدقة والنصفة الكاملة.

يقال ان دقة الحساب تبقى المحبة فلتتبع هذه الحكمة ونسع في اقامة أخوة العرب والترك علي أساس متين بانهاء حساب الشكاوى في الولايات العربية .

لا تمنعنا مصائبنا الحاضرة وغوائل اليوم عن النظر في هذا . فانه مع هذه المصائب لم تهدأ فرنسا وقد استفادت من مشاغلنا وسيرت مسألة لبنان ، وأقامته أمامنا مقام المخالف بمرقأين . ولبنان اليوم يعد نفسه دولة وهو لا يملك الا استقلالاً داخلياً جزئياً . وى ! اذا اتسعت هذه الفتنة فشملت سورية كلها .. وى ! واذا استفادت، انكثرتا من هذا بالاتفاق الذى بيننا وبين فرنسا واتتهزت الفرصة فدخلت في جهات البصرة وانحاء اليمن على سبيل المبادلة ..

فى ذلك الوقت تكون قد فقدتا الحجاز كما فقدنا بلاد الارناؤد واذا فارقنا الحجاز جغرافياً فقد انفصلت السلطنة من الخلافة . وأما عاقبة هذا فانكشاف الاسلام واذا تسعى كل من فرنسا وانجلترا أن تنصب لها خليفة بقوة المال فيكون التفرق العظيم في الاسلام . واني لأرى بنظرى الحسير هذه النقطة السوداء فى تصرف كل ناظر داخلية عثمانى من غير تفكير كما رأيت هذه المهالك فى ندائى بمؤاخذة كل سواى احمق حسبنا بعد هذه الجهالة والفساد ! «يداس أسى المقاصد فى

طريق أحسن المنافع. ان نار الفتنة التي يديمها الارربيون في سورية تهدد بنيان الاسلام . وائتلاف الادريسي مع ايطاليا لاجل ادنا المنافع كان كافيا لهدم الكعبة المعظمة . وذهاب خديو مصر الى الحجاز معتلا بفريضة الحج قد يخرب كل الممالك العثماني كما خربت مصر وكذلك ترك العناية من جانب مكة قد يؤدي الى أعظم خسارة اذا استمرت هذه السيرة فعسى أن تظهر هذه المهالك التي بينها لا في المستقبل البعيد بل غداً أو اليوم . ومن كان يصدق منذ قليل أن روم ايلي تنقلب مذبحه بهذه السرعة وأن تهياً الوسائل لافناء المسلمين بسرعة تدع قصابي شيكاغو حيارى ؟

المسلمون في الحال الحاضرة

الهنود — الصينيون — أهل ماليزيا

الهند والصين وجزائر ما وراء الهند ثلاثة مواضع اسلامية عظيمة .

ونحن نلحق بهذه القطع الثلاث جهات أخرى لتقليل الأقسام فنلحق بلوخستان وبرمانيا بالهند ، ونلحق أقسام الهند الصيني الأخرى بالصين ، وبولينزيا ومقرونيا وسائر جزر المحيط بماليزيا

كل الهند يتبع انجلترا الا يانعون وقاريقال وماها وبوندشيري

وشندارناغور وكلها يتبع فرنسا ويشتمل على ثلاثين ألفاً من المسلمين،
وألا غوغا وديوالتي بها خمسة وعشرون ألف مسلم فهي تابعة للبرتغال
وكذلك نلحق بالهند جزائر سرنديب

وفي الهند ٧٧٠٥٩٠٤٦٢ بالنظر الى احصاء سنة ١٩٠١ . ولكن
هذا الهند أصغر من الهند الكبير الذي ذكرناه آنفاً . واذا راعينا
أن برمانيا وبلوخستان وسرنديب خارجة من هذا الحساب ، وأن هذا
الاحصاء كان منذ ثلاثة عشر عاماً ، وأن المسلمون في الهند يكثر
كثرة غير معتادة ، ويدخل في دينهم كل سنة نحو نصف مليون من
المجوس ، اذا راعينا كل هذا أمكننا أن نقدر مسلمي الهند بخمسة
وسبعين مليوناً وهو تقدير أقل من الحقيقة لا أكثر .

ومعظم هؤلاء المسلمون سنيون حنفية ويزنهم قليل من الشيعة .
وفي الهند هيئات اسلامية مهمة كحكومة حيدآبار الاسلامية التي تحتوى
خمسة عشر مليوناً

وفي الصين مملكة اسلامية عظيمة . والمسلمون ينزلون بكل
أرجائها ومع هذا يمكن تقسيم الولايات التي يكثر فيها المسلمون قسمين:
التركستان الصينى فى الشمال ، وكل أهله أتراك وفى الجنوب أمارتا
يون يان وقان صو — وكون هذه الكلمة تركية جديدة بالنظر —
وهؤلاء من الجنس الصينى . ثم فى كل جهات الصين وفى بكين نفسها

جماعات مسلمة عظيمة تحافظ على الدين الحمدي كل المحافظة
كم عدد المسلمين في الصين ؟ هذا سؤال يقتضى سؤالاً قبله
وهو كم عدد أهل الصين ؟ الجغرافيا والاحصاء تختلف في هذا اختلافاً
كبيراً . وليس يعلم إلا الله سكان مملكة ياجوج ومأجوج والذي في
أيدينا من الاحصائيات مثل « غوطه » و « ستيت منس ياد بوك » ،
وجغرافية * اليزرقاو ، وبعض النشرات الألمانية ، كل ذلك يخالف
بعضه بعضاً * فالمسلمون في حساب غوطا ثلاثون مليوناً ، وفي حساب
السائح عبدالرشيد افندي ابراهيم مائة مليون * ولكن بحثنا وتوقفنا
يرينا أن في داخل الحدود الصينية ومنشوريا ومغولستان ، وفي قامبوج
وآنام وقوشان شين التابعة لفرنسا في الهند الصيني ، وفي مملكة سيام
وفي الامارات الاسلامية التابعة لانجلترا في شبه جزيرة ملقا ستين
مليوناً من المسلمين على الأقل (مثل الجواهر) . وقد قدرنا أقل تقدير
رعاية للاحتياط وتوقيا من المبالغة

وأما ماليزيا ففي جزائر « صوند » سبعة أثمان الأهالي أو أكثر
مسلمون . وجزيرة جاوا مركز اسلامي عظيم * وفي الارض التي تسمى
الهند الشرقي التابعة لهولندا مثل صوماترا وسليس وصومبادا ومادورا
وغيرها ، وفي جزيرة بورنيو التي يتبع انجلترا بعضها ويتبع هولندا
بعضها وبعضها في سلطة بورنيو المحمية بالانجليز ، وفي جزيرة تيمور

التابعة لهولاندا والبرتغال مناصفة ، وفي جزائر فلبين التي دخلت في
سلطان الولايات المتحدة اليوم ، وفي جزائر المحيط الهادى الصغيرة
العديدة ، في كل أولئك على الأقل سبعون مليون محمدي أكثرهم من
العنصر المائيزى وأقلهم من العرب

وخلاصة ما قدرناه في هذا الفصل

٧٥٠٠٠٠٠٠٠٠	الهند وما جاورها
٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠	الصين والهند الصينية
٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ماليزيا والأقيانوسية
١٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠	

ومكانة مسلمى الهند في العالم الهندى عظيمة جداً . ومن الخطأ
الكبير أن يظن أن المسلمين والمجوس في الهند في منزلة واحدة .
والحق ان المسلمين في الهند فوق غيرهم من حيث السعى والعمل
والثروة والسجايا والأخلاق والعلم والعرفان ، وان كانوا أقل عدداً
وهم مخلصون للخلافة العثمانية كل الاخلاص . وهم الذى يكونون أقوى
ظهر لنا في سياستنا . وقد تنبه المسلمون والمجوس في الهند علي السواء
والمطبوعات الهندية الاسلامية ، والصحف التى ينشرها مسلمو
الهند باللغة الانجليزية حقيقة بالاهتمام . وبريطانيا تخاف من المسلمين
وتعنى بآرائهم وأفكارهم ولكن تسر خوفها وتكتم ما تسمعه من

كلامهم وأنهم يستطيعون أن يلاعبوا دورا كبيرا في العالم الانجليزي .
وأن شأنهم وعظمتهم في زيادة مستمرة . فعلى حكومة إنجلترا ان تحسن
سياسة المسامين جدا فبهذا فقط تستطيع أن تحفظ تاج الهند . ان
الدب الشمالى تشخص عيناه الطامعتان الى الهند فان لم يحسن
حكام الهند الحاليين سياسة الهند استطاعت سياسة الروس أن تظهر
أعمالها في جهات « غانغا » . وان لم يسلب الأنكاييز حق الهنديين
واختاروا لهم سياسة مريية صالحة فلا ريب أنهم يستطيعون احباط
سياسة الروسيا بحق . ومن أجل هذا يستطيع المسامرن أن يلاعبوا
ادوارهما في الاستقبال بل في الحال

ادارة المستعمرات الانكليزية سيئة جدا . والانجليز بعد قناة
السويس غير الانجليز كل همهم المنفعة . وهم يعدون المستعمرات
مزارع حقيقية ويحسبون اهل المستعمرات حيوانا بعضه ارقى من بعض .
فلذلك ترى الانجليز الذين يتركون أوطانهم الى الهند (رجل هؤلاء
من أهل البطالة الذين لاخلاق لهم) يعبدون الدراهم حتى لايبالون
بشرف إنجلترا في معاملتهم . وهمهم الوحيد جمع اكثير مال في اقصر
زمان والعودة الى بلادهم . واحتقار الانجليز لرعيتههم لايبين عنه لسان .
الانجليزى (ولو من الافاقين) فوق أكبر هندی . ومحلات الاوربيين

في المدن ممتازة عن محلات الهند فكل مدينة قسبان : مدينة الهند
ومدينة الاوربيين

وقد عمت الرشوة في الامبراطورية الهندية وبلغت انفاية واستحكم
التحط الشديد

وقد مات في أثناء حرب القريم خمسون مليون هندي من الجوع .
والمعارف العمومية أعدى اعداء الانجليز في الهند فقد ايقنت حكومة
لوندرا أنها لا تستطيع الحكم الا بابقاء عبود الاهالي مغمضة واتبعت
هذا في سياستها

ان ادارة الهند لشبهة جدا بادارة مزرعة تتصرف فيها شركة
مساهمة . ألم تملك انك ترا الهند بشركة في الحقيقة ؟ فاذا انعمنا النظر في
هذه المسألة عرفنا سر الجنايات التي لا تكف انك ترا عن ارتكابها في الهند
لقد أحزنت هذه الفظائع اكبر شعرائنا عبد الحق حامد بك حتي
في أيام حدائته فالف كتابه الخالد « دفتر هندو »

نعيد القول وننادي بكل جرأة أن انجلترا لا تعرف مصالحها
وقد ايقنت حكومة سن جيمس منذ عهد بعيد أن سلطانها في الهند
مؤقت . ولكن واذا سعى الانجليز الآن في تربية الناس التربية اللائقة
وتهذيب هذه المملكة الواسعة من غير غرض ولا عوض تمكن حكمهم
في الهند والسند زمنا آخر طويلا ولكن يقيني أن الانجليز هموا وضعفوا

عن فهم هذه الحقيقة فهم يتوسلون للمحافظة على الهند بوسائل غير
طبيعية فتجدهم مثلاً يداهنون روسيا التي هي اطمع الناس في الهند فقد
اقتربت انجلترا من الاتفاق المثنى (اتفاق فرنسا وروسيا) لارضاء
الخطر الروسي جهد الطاقة ثم تقربت من روسيا بعد حادثة (هول)
فيكان الاتفاق المثلث وهو اتفاق مصطنع كاذب . وان عداوة
الانجليز والروس كالنار تحت الرماد

الروس ينتفعون بهذا الائتلاف ويرونه ملائماً ليضمدوا جراحهم
التي فتحتها حرب الشرق الأقصى ويسووا حساباتهم الأخرى وانما
أمكن أن تعلن حرب البلقان بهذا الاتفاق فقط . ولكن روسيا بعد
أن تنجز أعمالها ستترك الاتفاق المثلث ولا ريب وتسيل على الهند
اذالم تصبحا ضربة المانيا والجامعة الجرمانية وذلك منتهى أمل الامبراطورية
الروسية البين.

وانجلترا تخاف ألمانيا جداً حتى تلتجئ الى الائتلاف الروسي
كيفما كان . وذلك باعتراف الانجليز أنفسهم تدير مؤقت ومرهم
للجرح ولكنه ليس علاجاً شافياً

قد أناخ الهرم على الجنس الانكليزي فلا يستطيع أن يسعى لآمال
ومطامع جديدة . وكل همه المحافظة . اين الانجليز أولوا العزم المدبرون
الذين صالوا على الهند وفتحوها بأموالها ورجالها دون ان يريقوا دماء
الانجليوسا كسون أو يضيعوا أموالهم

في الهند من كل الطبقات الانجليزية مائة الف لا غير يحكمون
أكثر من ثلاثمائة مليون وأنا لا أظن أن هذا العدد من الانكليز
يستطيع أن يسوس ثلاثمائة مليون من الدجاج • وإنما بفضل الانجليز
القدماء تحكم شرذمة من الانجليز ضعيفة مهذاً بشرياً عظيماً كالهند •
ولكن قد اختلف هذا الاستعداد الاداري فالיום نرى في المطبوعات
رذائل جديدة ومخازي حديثة في ادارة الهند . ثم التجارة الانجليزية
تسقط هذا السقوط

وأمام هذا تفتح أعين الهنديين يوماً فيوماً ويحيا فيهم احساس
قومي ويتواد المسلمون والمجوس ويبحث شبان الهند عن أسرار نجاح
أوربا ويحرصون على احتذاء انجلترا بعد أن عرفوا كيف باغت ماتريد
وقد استقر الأمن في الهند بالمحاكم والشرطة والادارة الانجليزية
وحصلت رفاهية نسبية فكثرت اصحاب الثراء وهذا قال حسن . لا بد
لأنوال كل أمل قومي من المال والنظام والمحاكاة والثبات ، وان ذلك
ليحصل الآن في الهند

الناس في الهند قسمان : غني جداً وفقير جداً . وبهذه الوسيلة
أراد الانجليز أن يثبتوا حكمهم ففتحوا على الراجات والمهراجات وكل
الرؤساء من أبواب الكسب ماشاءوا (كما في مصر)

وهؤلاء حصروا قوتهم في اجهاد الناس وسلبهم فلوكوا أموال
قارون وبقي الفقراء يكتعون (١) ويموتون من الجوع • وان يرق
هؤلاء الأمراء والأغنياء الى مستوى محبة الوطن ويفهموا الفكر
الهندي الوطني وتقصدا الاتحاد الاسلامي وغايته فيشاركوا غيرهم
تبدل الحال تبديلاً تاماً

ان تذبذبه الأهالي يزيل مسكنهم وفساد أخلاقهم وسوء سجاياهم
فالهندو الساكتون المستكينون منذ القدم يثورون اليوم ثورات
عسى أن تقاب العالم . ويرتكبون الجنايات السياسية • وقد كان
أهالي بنغالة معروفين بالمسكنة والذلة التي لانهاية لها أما اليوم
فينبع هنالك أكبر الأحرار وأعظمهم . وانه لتيقظ جدير بالتبع .
وانه لتنبه يتجلى في صورة حسنة كاملة . ولكننا (مع الأسف)
لا نرى في مطبوعات أوروبا ما يبرنا فليس في كتب الغرب
ورسائله مسألة هندية حتى ان اجناية السياسية التي أصابت
والى الهند السابق كانت في أوروبا مسألة عادية . ولكن لهذا جهة
داخلية : هي أن نهضة تبتدى في الهند من حيث لا يشعر بها الناس
وانه يمهء في الهند لعصر اقبال جديد كما ينمو الفرخ في بيضته .

(١) كنع كفرح ييس وتشنج وتكنع الأسير في جلده تقبض

أليست الهند في الحق مملكة التناسخ (Incarnation) ؟ ألم
ينج (ايزيوس - كريستنا) الذي هو خالف عيسى المسيح بلاد الهند تسع
مرات يدخل بطن عذراء ويولد منها ؟ (*)

وكذلك المسلمون في الصين يمتازون من السكان الأصليين وقد
صرفوا همهم إلى العمل والكسب وسبقوا مواطنيهم المجوس إذ لم
يكونوا عنصراً حاكماً

وقد ثار المسلمون مرات كثيرة على حكومة فغفورية وكانت
حرب داخلية مريعة وإن يكونوا قد غلبوا وهزموا فقد علموا الناس
أنهم عنصر متحد مخيف قوى جداً

كانت هذه الثورات في الشمال والجنوب وبها نال المسلمون في
أرض الصين مكاناً عظيماً

ولما قبلت جمهورية الصين المعلنة في العام الماضي قاعدة المساواة
زادت في لوائها الجديد علامة خضراء رمزاً للمسلمين ونحن لا نوقن
الآن بما تتبعه الجمهورية في سياستها مع المسلمين لأنها لا تزال في طور
النشوء ولكن سير الأحوال يدل على أنها ستكون المسلمين من النشوء

(*) قلنا حاشية من كتابنا (حقوق الدول) تتعلق بسياسة الهند
والمستعمرات الانجليزية وجعلناها ذيلاً لهذا الفصل

والنموا أكثر من حكومة الامبراطورية

ثم صلابة مسلمي الصين ومثابرتهم عظيمة . وعبد الرشيد ابراهيم افندى الذى ساح في هذه الأرجاء منذ عهد قريب يعيب في رحلته التى نشرها مسلمي الصين سواء في التركستان الصينى أم في سائر الولايات ويزعمهم في معادلتهم الدينية والقراءة وغيرها . ويزعم أنهم يخطئون الصواب في أداء القرآن ويسيشون التلفظ به . ويرسلون شعرهم مثل سائر الصينيين . ونحن نظن أن الأستاذ مخطئ في هذا وأن من العبث أن يتعرض الانسان لتلفظ مسلمي الصين . فان الانسان لا يكون مسلماً بتلفظه . والأترك وأترك الشمال الذين ينتسب اليهم ابراهيم افندى وكثير من الأقوام المساميين لا ينطقون بالعربية نطق قريش ، ونحن العثمانيين نتلفظ بأغلة القرآن في صورة تضطر العربى الى الضحك . وأما مسألة الشعر فنحن — بالعكس — نرى في هذا أمراً عظيماً . ذلك ان مسلمي الصين متفقون مع مواطنيهم من جهات كثيرة ولهذا الاتفاق شأن عظيم في مستقبل آسية . والذي يوجب سرورنا أن الستين مليون مسلم الذين في الصين أشداء في المحافظة على احساسهم الاسلامى الاجتماعى والسياسى ، يعدون أنفسهم من الأمة المحمدية العظيمة ، ويمتنعون على من يريد تمثيلهم ، ويعدون من نفوذ المبشرين كل البعد

لا يمكن أن يتخذ أهل الدين الواحد عادات واحدة وعرفاً
واحداً في كل بقاع الأرض . وأنا لنجد بين الكاثوليك خلافاً في
العادات ، ونعرف بين البروتستانت الحديثين فوارق كثيرة جداً
وقصارى القول ان مسلمي الصين جماعة شديدة متفقة متحدة
وانهم في انحطاط كبير مثل كل الصينيين غير أنهم يفوقون مواطنيهم
مدنية وعلماً ، ولهم مكانة عالية في التجارة . والاسلام يتقدم في الصين
يوماً فيوماً . وهو لا يعرف هنالك كما لا يعرف في الهند وأفريقية التفاضل
الاجتماعي بين طبقات الأمة ومن يسلم من أهل الصين فقد بلغ من
الشرف والفضل مستوى فوق أهل طبقة

وهؤلاء المسلمون تظهر في أحوالهم بعض الغرابة لبعدهم عن مراكرز
الاسلام ولهذا أدعو الى كثير الأواصر بيننا وبينهم . فان يبدأ
بين مسلمي الصين طور نهضة كالذي نراه بين مسلمي روسيا فهناك
ينال الاسلام كثيراً من أمانه في زمن قريب جداً

واتا لا نأثي أمراً نكرأ اذا أرسلنا الى الصين بعض المعلمين
بدلاً من هؤلاء الشحاذين المخادعين الذين يذهبون اليها من الحجاز (١)

(١) يريد المؤلف الذين يذهبون من مكة الى مسلمي الصين
يأخذون منهم الأموال ليحجوا عنهم . اهـ

وحسب أهل الصين أن نرشدهم إلى الطريق فيتقدموا من تلقاء أنفسهم
ويكفي في ذلك تنبيه المعلمين قليلا بينهم

ثم رقي المسامين في الصين الواسعة وتبلى وحدتهم الدينية في
صورة أوضح يفيد الجمهورية الصينية أيضاً . لأنهم (أولاً) عنصر
عظيم في الحكومة الوسطى ورقى عنصر كهذا عدده مئتان مليوناً
معناه رقي الصين كلها . ولأنهم (ثانياً) ليس لهم غير المقاصد الدينية
العالية ما رب تضر بالجمهورية الصينية

لا يجوز أن يفرق المسامون وغيرهم في الصين في عصر فتحت
فيه أوروبا العالم بل لا بد أن يحكم تسلط أوروبا واتساع سلطانها على
المودة والوفاق بينهم

وكذلك نتمنى رقي الجمهورية الصينية لأنه على قدر ذلك الرقي
يرقى المسلمون . ولكن على شرط أن تسوى هذه الجمهورية في
معاملتها ولا تعد المسلمين أمة محكومة وعلى شرط أن تمنحهم الحقوق
الطبيعية والملكية والمدنية والسياسية سواء ، ولا تتعرض لحريتهم في
الدين . ألا ان مستقبل الصين من أكبر المسائل التي تشغل الأفكار
في هذا العصر

وان ارتباط هذه المسألة بمسألة آسيا كلها بين جداً

ومن المعلوم أن آسيا كلها في يد أوروبا الا شبه الجزيرة
الباقيتين بيد الدولة العثمانية في الغرب ، والا الأفغان في الوسط .
والصين واليابان في الشرق ، وسيام في الجنوب الشرقي

آسيا ملك أوروبا ولو لم تطالع عليها دولة الشمس المشرقة في
المحيط الكبير ، وأمكن أوروبا أن تتفق لكانت الصين اليوم نهياً
مقسماً ، ولأصبحت هنداً ثانية . ولكن زوال اختلاف الأعيان
قوى شوكة الامبراطورية أعني الميكادية فظهرت في العالم آسياء عظيمة
تحب التجديد وترغب في الحياة . وانها ليقظة حيرت أوروبا ولاسيما
امبراطور الألمان ، وكأن اليابان طردت أوروبا من تلك الأرجاء

وقد تعرفت طالعها باعلان الحرب على الصين (مع الأسف) .
ثم أناخت على روسيا وسلبتها كوريا ، وبعض منشوريا ، وشبه جزيرة
لياو - طونغ ، وبور آرثر ، ونصف جزيرة سخاين . وفي ذلك زوال
الروسبا من الشرق الأقصى

ثم تنهت الصين وبدأت تلم شعثها وتجمع شملها ، وهجرت
الاساليب القديمة ، وأرسلت الطلبة والبعثات الى دور الفنون في
اليابان وأوروبا ولم تحجم عن أن تحتط لنفسها سنة التجديد ثم ثارت
ثورة كبيرة وطردت أسرة (مانجو) المملكة فضولا ونادت بالجمهورية

وان الصين لترى التهلكة كما تراها اليابان وترى كيف فعلت أوروبا بإيلادها
بعد ثورة البوكسر وتعلم أن انجلترا بسطت نفوذها في السواحل وتولت
الاعمال وسيطرت على المرافئ واستحوذت على منابع الثروة . ولذلك
تشتد عداوة الصين لأوروبا وتزداد ضعفتها على الاوروبى والنصرانى
ومعنى هذا ان الصين تستيقظ من نوم أهضت فيه آلاف
السنين . وماهى فى اعتقادنا بضعيفة بل ازدادت قوة باستراحتها
هذه العصور التي لا تعد كحقل بعد عهده بالزرع . وان تبعد من
نفوذ أوروبا والمبشرين وتتجل وحدتها القومية فما أعظم ما تفعل فى
تاريخ العالم

انا من الآسفين جد الاسف للحرب الاخوية التي وقعت بين
الصين واليابان . وقد وقعت مثلها بين بروسيا واستريا ولكن بسمارك
رأى بنظره الثاقب وخبرته بالطبائع وعرفته العلل والادواء أنها حرب
قد تنجر على الجنس الجرمانى أوخم العواقب فوقف الحرب قبل
الاستفادة منها وبهذه الخطة اصبحت المانيا واستريا متفقتين اليوم
وهو اتفاق أعظم من المشاركة السياسية المعتادة حتى ليصح أن يقال
ان الدولتين الجرمانيتين صارتا دولة واحدة بالمعاهدات الرسمية
والاتفاق القومى

فلو أن اليابان اتبعت هذه الخطة المجيدة الحكيمة لكان اليوم مستقبل آسيا وضاء متلاًئلاً . لقد أضاعت اليابان بالحرب ولاسيما أخذ جزيرة فرموزه شيئاً كبيراً جداً : هو قلب الصينيين

ولكن لا يأس ولا قنوط . فان منافع اليابان في موادة الصين وخلاص الصين في الاتفاق مع اليابان . وان هاتين الدولتين لشبهتان بالسويد والنرويج فما يصيب احدهما يصيب الأخرى . ولقد كانت حكومتا الترانسفال وأرانتري في أفريقية الجنوبية كذلك وقد زالتا مرة واحدة

فاذا تركت هاتان الدولتان في الشرق الأقصى التنازع من أجل الحياة وتعاونتا لأجل الحياة على ما تقتضيه نظرية (دارون) الثانية فهناك تستطيعان الوقوف أمام أوربا . وظنى أن الضرورة ستلجئهما الى هذا الاتفاق مع ما كان بينهما من الخصام

اذا انضم عقل اليابان وقوانينها وتجارها وفنونها الصناعية الى كثرة الصين وسعتها ومعادنها فقد اجتمعت قوى لا تستطيع أوربا أن تبرز لها

أيما حل الانسان في آسيا يجد روحاً وأخلاقاً غير روح أوربا وأخلاقها . فالأخلاق ألين والطباع هناك شىء آخر ، والمدنية أقدم

عهداً وأكثرعديلاً ورحمة وإنسانية . وتلك حال تلفت النظر في اليابان كما تدعو إلى التبصر في تركية والهند والتركستان والصين . نريد أن نقول ان اتفاق آسيا أقرب من اتفاق أوروبا وانا نرجو أن يعم الأمل المشترك حتى يربط أقوام آسيا بعضهم ببعض . وإذا ائتلف اليابانيون والمسلمون - وذلك قريب وهو الوسيلة لفلاح المسلمين ودولة الشمس المشرقة - فقد بدأ التاريخ طوره الجديد

يجب أن تسير آسيا إلى هذه الغاية المدنية حتى تخجل أمامها أوروبا الأذنية عابدة المنافع . ويجب أن تنظم حياتها القومية كذلك حتى يكون لها قانون معظم غير قانون (الحكم لمن غلب) . آسيا تكاد تكن أم البشر . وكل مدنية ولدتها آسيا . ويقول لويس جا كوايو (آه ! ما أسعدنى إذا صار ماضى الهند مستقبل فرنسا) حق ان لمدينة الهند القديمة ومدنية الصين والمسلمين جلالاً طبعياً خاصاً . وان هذه المدنية لم تضع ولا بد أن يعيد قوتون الوراثة هذه العظيمة يوماً ما . لم تمت آسيا ولكنها نائمة . كل الأعمال العظيمة والوقائع التاريخية العامة بدأت في آسيا وانتقلت على مر الأيام إلى أوروبا . ونحن الآن في دور تحول وانتقال . وقد أوشك نوم آسيا أن ينتهى في آخر القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين

انتباه اليابان العمل ، وبدء الصين حركتها ، وإطلاع الهند علي الحقائق ، يهيء للتاريخ دوراً عظيماً . ولا بد من يوم تهب فيه آسيا فتطرد المستولين الأوربيين كما طارد (كلفر) الأصنام الليلية في قصة سويقت . وإذا استطيع الاسلام أن يقوم بالأعمال العظيمة • لأن في آسيا وجزائر ما وراء الهند فقط أكثر من مائتي مليون محمدى وهؤلاء المحمديون أعقل عنصر في الدنيا القديمة

يجب أن يضع رجال الاسلام هذه الحقيقة نصب أعينهم ، وألا يغفل أرباب البصيرة منهم عن هذا المستقبل وهذه الحركة وذلك الأمل في أى وقت

وليست هذه الغاية أملاً مخيلاً . وإذا سئل أى سياسى في اليابان رأيه اليوم يجيب بأن هذه الفكرة تملك قواده ؛ وإذا استطاعنا رأى ماندرينات الصين علمنا أنهم متفقون في هذا الشأن . يجب أن تتجهز لهذا في مستقبل الاسلام ، وأن تحول الأفكار والعواطف الى هذا التيار •

الهند الشرقى الذى يسميه الجغرافى (أليزرقاوى) تحت الهند (أنسولند) أعنى الجزر التي وراء خليج بنغالة والتي تشمل صوند وفلبين وسائر الأرخبيل كلها منابع اسلامية عظيمة • وحكومة الفلانك

تغلوف في ظلمها وتشدد • ولست أظن دولة اعتادت من العنف في مستعمراتها ما اعتادته هذه الدولة • وقد لقيت الأهوال حيناً من حكومة آجين الاسلامية التي في شمال صومطرا • وليس الباحث عن حقوق الرعية في هذه الامبراطورية الا عابثاً كالباحث عن حقوق الحيوان الأعجم • وليس للوطنيين في جاوا حقوق الرعايا العثمانيين، لا ولا حقوق المسلمين الذين في رعاية الدول الأوروبية • وقد سعى (أرستاركي بك) سفير الدولة في لاهي كثيراً لاسترداد هذه الحقوق وأظن أن عمله لم يأت بأية فائدة • ثم جاوا مطمح نظر اليابان سياسة كما انها في سيطرة التجار والمرايين الصينيين اقتصاداً

وكذلك موقف فرنسا في الهند الصيني مخوف بالآخطار وسيأتي يوم تهجم فيه اليابان على الهند الصيني كما انحطت ايطاليا على طرابلس • وقد عرفت فرنسا هذه الحقيقة فهي لا تهتم بنفقات الهند الصيني الآن وإنما استولى « جول فرى » على هذه المستعمرة بعد حرب ٧٠ — ١٨٧١ ليحفظ شرف فرنسا فقط فلما سكن الهياج الوطنى أيقن الفرنسيون أن انفاق الاموال وازاقة الدماء في هذه البلاد عبث كبير وقد تحسر محب الانسانية « بيرلوتى » في كتابه « أنغ قور » وصرح بان الخلط كل الخلط أن تذهب في الهند الصيني عبثاً دماء الجنود الذين ربوا للدفاع عن مجد فرنسا !

ان جزر الشرق الاقصى ، والهند الصيني ستكون مجال النفوذ الياباني في المستقبل وقد تكون سيام معها وانما بقيت جزائر الصوند في سلطان هولاندا الان اوروبا لم تلف وسيلة لحفظ الموازنة غير هذا وكذلك تبقى الكنفو بلجيكا ، علي حين لا تملك هولاندا ولا بلجيكا قوة تدفع بها عن امبراطورية هذه المستعمرات الكبيرة

ولا ريب أن هاتين الدولتين كمستعمراتهما ليس بقاؤهما الا مظهرها للموازنة الاوربية فاذا أصابتهما غير السياسة عما قليل فستذهب جزر ماوراء الهند الى اليابان وتستولى المانيا أو انكلترا علي الكنفو

اليابان في عسرة مالية وسكانها كثيرون وأرضها ضيقة . وهي مضطرة بعد أن تنفجج الازمة المالية أن تفتش عن مستعمرات للشعب Colonie de pauplemant, . وان تكن منشوريا مستعمرة طبعية لها فهذه الامة البحرية ستسارع الى جزائر الاقيانوسية أي مسارعة

اليابان ترسل كل عام آلاف من ابنائها الي أمريكا والصين تضطر مئات الآلاف من عمالها الى المهاجرة الى أمريكا واستراليا وجنوب أفريقية . وهؤلاء الصفر لا يقر قرارهم في ممالك الانجلوساكسون -

ويرون المذلة والمهانة ومدنية تخالف مدنيّتهم كل المخالفة فما احوج هاتين المملكتين كثيرتى السكان الى المستعمرات .

ستتجه هجرة عامة نحو المحيط الكبير وسيقوم الاسلام فى هذه الهجرة بعمل عظيم . ولا بد للعنصر الاصفر أن يأتلف مع المسلمين . وأظن أن هذا الائتلاف يمكن الصين واليابان والاسلام من العمل . ويجب ألا ننسى هنا أن الاسلام يستطيع أن يكون وساطة كبيرة بين هاتين المملكتين . وانه اذا رغبت اليابان فى الدين الاسلامى فكأنها فتحت قسما عظيما من آسيا وحينئذ لا يبقى دون اتحاد آسيا الا خطوات قليلة :

وعسى أن تتخذ آسيا مستعمرات فى سائر القارات كما استعمرت أوروبا آسيا وأفريقية وأمريكا والاقيانوسية فتصبح فى مدرج الخطار زيلندا الجديدة وطسمانيا واستراليا التى تؤلف جمهورية واحدة مستقلة تحت اشراف التاج البريطانى .

قد يعجب بعض الماديين (!) مما ذكرناه . عجبا ! لو قيل لاحد كهنة البراهمة فى الهند أو لماندرين على كرسى عظمتة فى الصين قبل ركوب البرتغاليين والفرنسيين البحار البعيدة « ان أوروبا ستستولى يوما ما على قسم عظيم من آسيا وعلى أفريقية كلها تقريبا » فماذا كان يقول هؤلاء ؟

استطراد

(جملة تتعلق بسياسة المستعمرات الانكليزية من كتابنا « رأي في القانون الدولي » من صفحة ٤١ الى ٤٤ .)

انكثرت التي ترضى هذا الجور وسفك الدماء في مستعمراتها ، قد ربت في المستعمرات التي يقطنها الانكليز والعناصر الأوربية أمما علي الحرية والحق والعدل . وأخرجت للناس الاقوام الانكليزية الجديدة وجهاعات الانجلوساكسون الحديثة فان يكن ابقاء المستعمرات الاخرى في ربة الأسرعاراً كبيراً ومسبة أية مسبة فترية هذه الانكثرت الجديدة على حب الحرية ، ومنحها حرية غير محدودة لا تقل عن الاستقلال في شيء ، جدير بالفخر والمباهاة . وهذه الانكثرت الجديدة يسكنها الانجليز والفرنسيون والبوير المتولدون من أصل فلمنكي ، وقد تألفت من هذه المستعمرات ثلاث دول في شكل حكومات متحدة لها مجالس نيابية منفصلة مستقلة عن انجلترا تماما : وهي دولة كندا وجمهورية أستراليا . واتحاد جنوب أفريقية .

وكأن علاقة هذه المستعمرات بانجلترا علاقة معنوية فقط . وكل من ملك التاج البريطاني فهو بالطبع سلطان هذه الدول أعني رئيس

قوتها المنفذة . وهذا الذى له الحق فى تصريف هذه القوة (ملك بريطانيا العظمى واراندا والاراضى المتراصة فى كل ارجاء البحار ، وامبراطور الهند) يكتفى بان يرسل واليا كأنه رئيس جمهورية لتنفيذ هذه القوة ، وهذا الوالى مستريح فى قصره لا عمل له الا تكليف واحد من زعماء الاكثرين بتأليف الوزارة اذا وقعت أزمة وزارية والا اقرار النظام الذى ترتضيه القوة التشريعية ثم افتتاح المجالس فى مواعيدها ولا ريب أن المستعمرات التى تحكمها انكاثرا مثل الهند وبرمانيا وسراييون وغمبيا وسرنديب .. الخ ليست فى مستوى كندا وزيلندا الجديدة وليس لاهلها كفاءة كبيرة .

ولكن انجلترا التى قامت بهذه الاعمال الكبيرة فى التجارة والصناعة والعلوم والفنون والمدنية والتى خلقت من العدم هؤلاء الاقوام الذين ذكرناهم لم تكن تستطع أن تعلم مستعمراتها الجاهلة ؟
الم تكن قادرة على أن تسوق فى مهيع المدنية علما عظيما مثل الهند؟ وليس يرتاب أحد أن الذى دعا انجلترا الى منح بعض مستعمراتها هذه الحرية غير المحدودة هو درس العبرة المرالذى تلقته حين ضاعت أمريكا من يدها . فلنقل بكل صراحة : ان انجلترا لو لم تمنح هذه الحرية الواسعة لقام فى كندا « لافايت » وفى كندا « واشنجتون » وحرر

البلاد أو شغلوا إنجلترا مدة طويلة علي الأقل وهكذا نبهت إنجلترا
هذه المخاوف

إذا لم تأبه إنجلترا اليوم لهذه الوسوس ، فربت خلق المستعمرات
كلها تربية صحيحة ، وحرصت علي تكاملهم تدريجاً ، وفتحت لهم
سبيل المدنية ، وعزمت أن تمنحهم حقوقهم الطبيعية والسياسية وحقوق
الحرية إذا فعلت إنجلترا هذا فإعجاباً ألاتنالي تاريخ المدنية شرفاً حقاً
أكبر من الشرف الموهوم بامساك ثلث البشر في أسرها ؟ وألا تسمى بحق
ناشرة المدنية ؟ وهل تخسر تجارتها العظيمة بهذه الخطة ؟ لا ! هل تضع
سلطانها الذي يلزم أن يكون معنوياً وفخرياً فقط (كما في كندا وأستراليا
وأفريقيا الجنوبية ؟ كلا ! علي أن سياسة العالم لا بد أن تكون قد تغيرت
قبل ذلك الزمان الذي ترقى فيه المستعمرات. وإذا لم تسر إنجلترا هذه
السيرة فلا يشك أحد أن ثلث البشر رعايا الانجليز سيمزقون دولة
هذه المستعمرات

ثم أهالي المستعمرات إذا رأوا إنجلترا تهذبهم وتحافظ عليهم
فكيف لا يرغبون من صميم أفئدتهم أن يدفعوا العدو الخارجي عن
أملك الانجليز كلها ؟

مثلاً إذا سر الهنود من فعال الانكيز فهل لا يكونون سداً من

الحديد أمام هجوم روسيا . وإذا أسخطهم ظلم الانجليز فما لا
يعدون الروس — صواباً أو خطأ — مخلصين ومنتقذين فيمهدوا لهم
سبيل الفتح والظفر

المسلمون في الحال الحاضرة

الجماعات الصغيرة الاسلامية

قد ذكرنا في الفصول السابقة الاقسام التي يرجع اليها المسلمون :
العرب والترك والهنود وأهل الصين وماليزيا . ومن المسلمين
جماعات صغيرة ليست من هذه الاقسام ولا هي تشبهها في اللغة ولا في
الانس ، وإن طيل الكلام في هؤلاء ، ولكن نذكر طرفاً من أخبارهم
حتى يكون كتابنا عاماً

من السلاف جماعة مسلمة ولكنهم لا يعدون أنفسهم سلافاً
ولا يعرفون الا الاسلام

وفي البوسنة من المسلمين أكثر من نصف مليون من السلاف والصرب
بغتهم العنصرية لكنهم لا يرون أنفسهم من السلاف بل يعدون
أنفسهم من الاثراك وأما متانتهم فكما ينبغي . ومن السلاف
« البومناق » الذين يتكلمون بلغة البلغار وهم لا ينتسبون لغير التركية .

والاسلام ونحن لا نعرف عددهم . وفي الشمال جماعة مسلمة في بولونيا
ولتوانيا من نسل الفاتحين التتار ، وقد دخلوا في الجنس البولوني .
وهم الذين حافظوا على دينهم على قريتهم من الغرب وتعودهم كل
عاداته وآدابه ، وأظن أن عددهم أكثر من مائة ألف

والأرناؤود ليسوا من جنس الأتراك ولا السلاف ويقال انهم
من نسل «البيلاج» وقد أصابهم ضرر كبير بما تفرقوا واختلّفوا ولكن
انتباههم مرجو ويقدّر الارناؤود جميعا بمليونين منهم نصف مليون مسلم ،
وطريقة البكتاشية تنتشر بينهم

وفي روسيا ولا سيما في قمة آسيا وعلي جانبي جبال اورال جماعات
اسلامية صغيرة يخطئها العد . وبعض هؤلاء ينتسب للشعب التركي التتري
العظيم . والجراكسة والكرج وجماعات قريية منهم يعدون أقواما
مستقلة .

وفي أنحاء المملكة العثمانية أقوام آخرون مثل الكرد واللاظ
ومهاجري الجركس وغيرهم ولا نعرف عددهم يقينا .

ثم لا نعلم اقواما في ارجاء آسيا وأفريقية لا تنتسب للعناصر
الاسلامية الكبيرة التي عددناها آنفا

ونحن مضطرون هنا الى اجتناب التداويل لان خطتنا لا تتسع

لتفصيل الكلام عن هؤلاء، ولكن أبين آرائى العامة في هذه الجماعات الصغيرة الاسلامية.

لا تقدر واحدة من هذه الجماعات أن تحافظ علي نفسها بقوتها وتذود عن قوتيتها، ويمكن أن يجرفهم سيل الجرمان والسلاف والانجلو ساكسون عما قليل من غير عناء كما كتسح الارناؤود أجناس الروم والسلاف والفرنج. ومن أجل ذلك نرجو أن يبقى هؤلاء في الجامعة الاسلامية ويتقربوا جهدا استطاعتهم الى احدى الجماعات الكبيرة لو أن الارناؤود صادقوا الترك في الزمان الاخير ما أصيب احدهما بهذا المصاب الكبير. فيجب أن تتمسك الجماعات المختلفة في الممالك العثمانية بالعصية التركية كل التمسك. لم يبق في الارض مكان للدول الصغيرة فكيف تمكن الاقوام الصغيرة من الحياة. فمثلا ينبغي أن يتفق الكرد والأتراك اتفاق الانجليز ولاسكتلنديين وكما يكون أنتساب «باسق» (١) و «برووانسال» و «والون» الى الفرنسيين. يجب أن يحكم اللاظ والجركس وغيرهم رابطتهم بالأتراك بمجمل قومي متين.

(١) شعوب صغيرة في جنوب فرنسا كان بينها وبين العنصر الجرمانى في فرنسا نزاع ثم اندجت في الامة الفرنسية. اه ترجمة

المسلمون في الحال الحاضرة

الشيعة والایرانيون وغيرهم

الاتحاد معنى الاسلام الحق . والاسلام واحد لا يقبل التجزئة .
ولكن يا أسفا قد أدى الجدل الكلامي الواهي الى الاختلاف
فانقسم المسلمون أولا الى معتزلة وأهل سنة ثم تفرق المعتزلة شيعاً لا
بمحبيها العد .

واختلف أهل (١) السنة في الاجتهاد فصاروا أربعة مذاهب
والحمد لله قد زال المعتزلة اليوم ، والخلاف والخصام غير متصور
بين أهل المذاهب الاربعة

هذا الاختلاف الاجتهادي صار بعد آلة للاغراض السياسية
فجاء مذهب الشيعة

ونحن لا نريد التعرض للجدال الديني أو نصر مذهب علي آخر
فقد قلنا في مقدمة كتابنا مراراً ان قصدنا الكلام في الاسلام من
حيث الاجتماع والسياسة لا من حيث العقيدة

ان مباحث علم الكلام لا تنتهي ، وهذا الفن العجيب المسمى

(١) لا يجوز أن نذكر اختلاف الأئمة في الفقه مع اختلاف

المعتزلة وغيرهم فشتان ما بينها — ترجمة

(سكولا ستيك) قد دفن في جامعات أوروبا وكانت العاقبة رواج
الفنون الجديدة التقنية فابتدأ الرقي

لندع جانباً علم الكلام والتصوف وجدال المذاهب واختلاف
لائمة فهذه مباحث لا تعنى قدراجت في عصور السفسطة التي لم تكن
اقد تقررت فيها العلوم العقلية (Sciences rationnelles) -مباحث
لا يمكن الخلاص منها تدلى فيها كل فرقة بحجج واهية حتى لا يتبين
غالب ومغلوب . ويجب علي الانسان أن يكون فوق هذا كله ولا
يتحيز الى فئة حتى يستطيع فهم الحقيقة

وكذلك لا يجدينا الخلاف في المسائل الدنيوية أعني الحقوقية
وقد قلت في الفصول الاولى ان من الاجتهادات السالفة ما لا يصاح
لعصرنا وانا في حاجة الى اجتهاد جديد وقانون جديد ومدونات
حقوقية جديدة . فالحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية مذاهب
جديدة بأن تترك جانباً ذلك والاختلاف الذي هو أضر من كل هذا
وأجدر أن يصينا بمصائب مادية ونفسية وسياسية واجتماعية وقومية هو
اختلاف الشيعة وأهل السنة حتي ليفرض الدين فرض عين أن نسارع جميعاً
الى ازالته

لنفكر منصّنين ولننظر الحقيقة ونرجع الى أوامر النبي وكنه

الاسلام ونعرض على أفكارنا المصائب التي اتنابتنا منذ عصور

ما هذه المجادلات المذهبية ؟ ألم يكن المسلمون مسلمين قبل ان يولد اصحاب المذاهب وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم والعشرة المبشرون والاصحاب والانصار والمهاجرون علي مذهب أبي حنيفة أو كانوا جعفرية؟

انا لا أعرف الا الاسلام الذي بينه صاحب الرسالة والا المذهب الذي دونه . أما أصحاب المذاهب المختلفة فقد كانوا بشرا مثلنا ، وما كان أهل الفضل مثل الامام الاعظم والائمة الثلاثة الا حقوقين رباهم الاسلام . فمن العبث الاهتمام بهذه المذاهب

ثم الشيعة : ينبئنا التاريخ أن الذين أرادوا الانتفاع بمخالفة الشيعة رجال من أهل السياسة فقد اهتمت ايران بالتشيع جد الاهتمام لتظهر مظهر المخالف وترى نفسها أداة مستقلة منفصلة حتى تحافظ على نفسها من حيث لا تعلم نيتها . وقد أخذ مذهب الشيعة من عادات الفرس القديمة ولو كان لهذا كله فائدة ما اضمحلت ايران اليوم لا بل هو مذهب ضار جدا : فرق العجم المسلمين فرقتين شرقية وغربية وحالوا دون الاتحاد الذي هو مقصد الاسلام الاقصى ولو أن الشاه اسماعيل الصفوى لم يبرز بشيعته أمام السلطان

سليم ياوز لكان للمسلمين اليوم ولا ريب امبراطورية من مسكو الى رأس الرجاء ومن بحر الصين الى سواحل المحيط الاطلسي وما استطاعت امبراطورية نصرانية قط أن تقف أمام هذه الكتلة المتحدة

نرجع مرة أخرى الى الدستور الذي وضعناه : الاتحاد روح الاسلام القويم والتفرق عدوه . ولو لم يختلف المسلمون سنين وشيعيين لكانوا اليوم جماعة سياسية متينة . لا جرم أن من أقوى أسباب الضعف هذا التفرق وأن ايران لم تستفد منه فقد اضمحلت علي مر الايام وأضاعته مجدها وكيانها بين مخالب شره الانجليز والروس

وقد تمزقت ايران وذهبت في الحقيقة، دع ما أبدته من تجارب الدستور وتغيير الجالس على العرش . فان الانسان ليكنه أن يجد في كل أمور العجم مثالا للفوضى . فلا ادارة ولا نظام ولا مال ولا جند.. هذه المملكة ذات العشرة ولايين مؤلفة من عشائر مختلفة مستقلة فان كانت دولة في ظاهرها فليست في الحق الا (Confédération) عشائر متعاهدة والشاه رئيس العشائر . ونظام المقاطعات مستحكم في البلاد علي مضراته و (خواصه) المختصة بالشرق فقد باغ الفساد غاية؛ وانهزت روسيا الفرصة فرفعت علي ابواب طهران أعلام ظفرها . وستباغ ايران في هذه السبيل مبالغ أمارات خيوى وبخارى . فالروسيا تحل ايران

باهوالها وسككها وامتيازاتها ؛ وانجلترا تحذو حذوها في الجنوب ؛
ويأتى يوم لا يبقى فيه للايرانيين حبة واحدة في ايران . وان تصور
هذا السقوط في هذا الوطن المبارك الذى أخرج الفردوسى وسعدى
وحافظ والأنورى لما يذيب الفؤاد

من أجل هذا يجب على الانراك والعجم أن ينبذوا خلافات
المذاهب من فورهم ويرجعوا الى الديانة المحمدية الأصلية بكل طنطنة
وفخار وعظمة . فانه لا يعرف شىء مهلك كمنارعتنا معشر المسلمين
بعضنا مع بعض على حين كل العالم عدونا . لقد آن لنا أن نعرف أن
من الاختلاف كانت كل مصائبنا

أنحن قبل كل شىء مسلمون أم علوية وحسنية وحسينية
متعصبون ؟ كيف تفرق المسلمين مجادلات ، الاشراف وأشباهها من
الامور الحقيرة ؟ وكيف تجعل الاخ اليوم عدوا لاختيه بعض المآرب
والاهواء والمسائل الشخصية واختلاف ظهر منذ أكثر من عشرة
قرون ؟ عجايب هل يرضى الروح النبوى بهذا الخصام ؛ وهل هذا الاختلاف
الاخوى يوافق الحق والعقل . وهل هو (نسير الى النهاية) موافق للمنفعة ؟
انا ادعو جهد استطاعتي الى صلح رسمى واتفاق على فان ازالة
الخلاف بمثل هذه المعاهدة العلنية يدل على يقظة العالم الاسلامى ويوحى

الى أوروبا أن تخطط لنفسها في الظلم خطة أخف من هذه على قدر
الامكان .

وانى لأرى هذا الالتباء عند عظماء تركيا وايران علي السواء وكل
آراء الرجال الذين قابلتهم ترمى الى هذا الغرض

والايرانيون يطيعون علماءهم ومجتهديههم كل الطاعة فما أحسن ما
يعملون اذا أمر وافي هذا الشأن أمراً يتفنون به مرضاة النبي !

ستمع انجلترا وروسيا وفرنسا معهما هذه الحركات جهد قوتهم
وسيسعون سرا ليجعلوا المجتهدين طوع امرهم ولكني اظن أن الضربات
التي توالى على رؤس الاتراك والعجم تعلمهم كيف يحذرون مكائد
الاجانب . أكثر المسلمين غير السنيين علي وجه الارض يقطنون
ايران وبعدها الهند والفقاس . ففى ايران ستة ملايين من الشيعة أو
سبعة ، وكل مسلمي الهند سنيون الا قليلا من الشيعة لا نعرف عددهم
يقينا ، وكذلك الفقاس . فاذا جمعنا هؤلاء كان عدد الشيعة
اثني عشر أو ثلاثة عشر ما يونا لا أكثر

وفى أفريقية جماعة من غير أهل السنة يقال لهم خمسيون . وفى
جزيرة حربة التابعة لتونس فى البحر الابيض جماعة من الرافضة .
وليس هؤلاء أى شأن سياسى ولا يعنيننا مخالفتهم . فهم يكادون
يخفون مذهبهم

ويزداد التشيع في الممالك العثمانية ففي الاناضول يكثر العلويون
وأصحاب الرؤس الحمراء وأشباههم من ذوي المذاهب الممقوة
المتولدة من الشيعة ، وشيعية العجم تقطع المراحل في بغداد ، وهؤلاء
آثار تفسد الاخلاق . فان يكن شرط حرية المذهب الا يصادم
آداب الدين أو يعتدى على الامن العام فرجاؤنا الى الحكومة أن
تمحوا هذه المذاهب التي حدثت في الاناضول لانها تجاوزت
هذا الشرط .

و « المتواليه » في سوريا ولبنان نوع من الشيعة
والدروز يعدون خارجين علي الاسلام من بعض الجهات
والزيديون في اليمن رافضيون تماما
والوهابيين صبغة مذهبية تخصهم
والزيديون ليسوا من المسلمين ولا ريب
وطريقة البكتاشية انحرفت عن الطرق العلية ونهجت طريقا
يكاد يبيح كل شيء وأساسها يشبه الشيعة وربما أشبهت مذهب
الحلول الفلسفي
والمولوية قرية من هذا
وتجب مراقبة هاتين الطريقتين فانهما عسى أن يكون لهما
شأن سياسي .

وان للطرق لشأناً عظيماً . فقد كان مرجعها التعرف ثم صارت آلة في بعض الحركات السياسية وهي في الوقت الحاضر كأنما عملها حماية بعض المترفين المتنعمين ولكن يمكن الانتفاع بها في السياسة ولا سيما في الهند وأفريقية فيجب التفكير في هذه الطرق التي لا يمكن استئصالها مرة واحدة كيف نستفيد منها في الاجتماع والسياسة

وأما مسألة الدراويش في أفريقية فهمة جداً . ولعل السنوسيين يلعبون في المستقبل دوراً عظيماً في الصحراء الكبرى والسودان . انظر كيف أخرج دراويش السودان انجلترا مرات كثيرة . وقد تقوم أفريقية وطن المهديين ببعض الانقلاب باسم هذه الطرق وقد تصير أمريكا الأسلام كما قال سليمان بك تظيف .

فوضى المسامين

إذا أنعمنا النظر في أي أمر من أمور العالم الاسلامي فأول ما يروعنا فيه الفوضى . وتلك حال نجدها في الهند وفي أفريقية ، وفي روسيا وفي تركيا ، الأغنياء والفقراء ، والذين يخالطون الأوروبيين والبعيدون عنهم كلهم له في الفوضى نصيب كثير أو قليل .

وهذه الفوضى تظهر في الآراء والأفكار وفي الأخلاق والسجايا
كما تلفت نزار الأسف في إدارة المنزل وفي المطبخ وفي مخزن الفحم
قد عم الخلل الإرادة كلها ، فالحياة عبء لا يحتمل ، والعيش
كلفة شاقة . ان الاستسلام للقدر أدخل الأمور أيما اخلال ، وان
المسلم أكثر الناس توكلا واطاعة وقد تمكن في سجيته الرضاء
بالقضاء (١)

آه يا مذهب الجبر ! بينما أهل السنة يشنعون على الجبريين سرت
الجبرية في دمائنا . هذه الخصال السيئة أفسدت الجماعة الاسلامية
عصراً فعصراً ، وأفسدت فيهم الثبات والصبر واللهى المطرد والاجتهاد
والتفكير

ان المسلمين في ضعف وأخطا ط اذا قيسوا بسائر الأمم وقد

(١) لا ريب ان المؤلف يريد بالتوكل هذا المعنى الذى يفهمه جهالة
المسلمين . أما المعنى الذى عناه الدين وذكره فى الآية « فاذا عزمت
فتوكل على الله » والحديث « لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كما رزق
الطير تغدو خفاصا وتروح بطانا » ذلك المعنى ليس الا اعتماد الانسان
على نفسه وان يكون ارادة مجسمة لا تعرف التهقيرى أو تبلغ الغاية ،
ارادة ك ارادة الطائر

صار رأس المسلم بعد لا يفكر . ذهب باستعداد الفكري انهما كـ
واكباه على المنقولات . ليس التقليد في الفكر والاجتهاد فضيلة ،
بل هو ذليلة . ونحن تتبع ما ارتآه غيرنا منذ عصور ، ولا نعيد عن
هذا الطريق ، ولا نمان أن أبا حنيفة والشافعي وأمثالهما من المجتهدين
المفكرين منذ ألف سنة كانوا بشراً مثلاً ليس لهم أكثر من استعدادنا
كيف تقف هكذا صغاراً أمام الماضي ، وكيف ننتظر من أجدادنا
كل شيء ، كمن ينتظر الميراث ليعيش به ؟

هكذا أدى بعد الجمعية الإسلامية عن الحرية والتفكير الى
الاستبداد ؛ وأدى الاستبداد الى الفوضى

ان حكومتنا مثال للفوضى المنظمة ، وما نعيشنا وآداب معاشرتنا
الا صوراً من هذه الفوضى ، وان الفوضى عدو النظام وضده . ومن
أجل هذا لم يبرز المسلمون والترك في الزحام التجاري بنظام أوروبا .
ليس لكلمة نمط (Methode) مرادف في اللغة التركية ، وانا لنمل
العمل ونسأم ولا نستطيع أن نسير الفكر فيه الى النهاية وكذلك
يصعب ترجمة كلمة (Discipline) (١) الى لغة المسلمين . كلنا

دولع بالرياسة في الكثير والقليل علي حين لا نستطيع أن نعمل ما
تعمله أوربا ثباتاً ودأباً بغير فتور ، حتى لا نعرف امساك الدفاتر . ولا
نحب التقليد أيضاً ، وننفر من تقل أساليب الغرب الينا وليس في
أفكارنا اطراد ، ورؤسنا خراب كثركية ؛ وليس لأفكارنا أصول
ومعلوماتنا أوزاع محشودة . نغتر بالعلم القليل بينما لانسع العلوم والفنون
في صورة تطبيقية منطقية كالأوربيين ، ومنا من يتعلم للسمعة
والأبهة فقط .

ما حاجتنا الى هذا التفصيل ونحن اذا تقدنا أي حال من أحوال
المسلمين ألفينا هذه الحقيقة ، وأن قياس العالم الاسلامي بأوربا ليجلى
لنا أسباب هذا الانحطاط ودواعيه .

انا ليسرنا أن هذا الكابوس يزول عن المسلمين شيئاً فشيئاً وان
هذا الكسل وهذه العطالة لا تقي على كثرة التماس بالأوربيين ومع
شدة الحاجة الى الاجتهاد في معترك الحياة . ثم ليسرنا ان هذا
النوم الذي أمضى فيه المسلمون عدة عصور لم يقتدهم سجاياهم
الاسلامية .

بعد هذه المقدمات نضع للنقد احدى المسائل :
ماذا ينبغي أن نعمله الارتفاع من هذه الاخلاق الاسلامية

وعاطفة المودة والاتحاد حتى تنتهى هذه الفوضى التى يتقلب فيها العالم الاسلامي ؟

تربية العقل تربية منسقة ، وتكثير الاحتلاط ، من المسائل الثانوية - فى اعتقادنا - وأنجع الوسائل لانهاء هذه الفوضى - ولا يكن قولى عرضة للسخرية - أن نطلب ازالتهما ؛ الارادة أكبر وأنفذ القوى النفسية وإنما يكون تنسيق التربية والتعليم نتيجة لهذا لاغير . لاجرم أن التربية العامة لا تثمر الا اذا كانت ترمى الى غرض .

أمة الارمن كانت تتخبط منذ عصور فى الظلمات بين الاقوام الشرقية الجاهلة وكانت ذات نصيب من هذه الفوضى نفسها وما كان بينهم وبين الاتراك فارق . ولكن العاطفة القومية تيقظت فى العصر الماضى فاستجمت الامة فكرها واجتمعت كأنها رجل واحد وعقل واحد . ثم نظرت الى حالها فحجبت ولم تر نفسها لائقة بالمزبلة التى تتقلب فيها فكان من وراء ذلك النهضة العظيمة الجديرة بالتفكير واتبعت أمة الأرمن أوروبا وأمريكا فى مدينتها وعملوا على أساليب الغرب وقوانينه فلهم اليوم فى الشرق منزلة سامية فى الاقتضاء والفكر سواء

وكذلك كان الروم فى درك سافل قبل وقائع موره وكانت الامة

تجهل نفسها . ثم تألفت الجمعية الوطنية (أتنيكي أنريا) فأحيت في الناس
ميت الآمال ، ونفخت الروح في الامة فبدأ الروم في مدنيهم وقطعوا
المراحل في التجارة . وكان من وراء ذلك الوقائع العظيمة لاستقلال
اليونان

وان تعميم أمل المسامين وأعنى أمل الاتحاد الاسلامي لكفيل
بهذه الامنية . فعلىنا جميعا أن نعرف هذه الغاية ونخصها بقوة ايماننا
جهد الطاقة ، سواء في ذلك الزنجي المقيم في خيمته على شاطئ نهر
النيجر والبلد الساكن في قصره في (بك أوغلي) وأن الممارسة في
هذا الشأن مهلكة ، نحن في عصر القويات ؛ يجب ألا ننسى ذلك
أبدا ويجب أن تثبت في الواح قلوبنا بخط لا يمحي أننا من أمة
عظيمة لها ما من مجيد عددها على الارض ثلاثمائة مليون . وان هذه
الامة في حاجة الى الايقاظ

يتبع هامش صحيفة (١٤١)

ينطاق في صباحه لا يملك الا عزمنا ماضيا و « توكلا » موقنا ،
فيلتقط الحب بين المهالك لا يبالي أن يتبع من شرك الموت —
فذلك توكل الاسلام والمسلمين وتلك المزيمة التي تشرق كالنجم
لا يحول شيء دون غايته اه ترجمة

بالتوجه الى الغاية نرى الفوضى التي نعيش فيها ونجد الدواء لها .
قد شد نابليون وثاق المانيا وخطمها بخطام الذل . ولكن أمة بروسية
عرفت أسباب ضعفها بعد هذه الضربة ، وبالأمل بدأت تنظم عملها .
فلم يمض نصف قرن حتى فرقت فرنسا شذرمذروا أعلنت الامبراطورية
في قصر ورساي (يراجع ذيل تاريخ تدييات عثمانية)
وكانت بولونيا قبل التقسيم في فوضى تفتلى على قوميتها ،
وكانت حالها لا تقبل الاصلاح وجسمها كلجرح الفاسد فلما محت
الدول الثلاث اسم بولونيا لم يبق مجال للخلاف بين الامة فهب البولونيون
أمة عزيزة ، وقامت اليوم في أرض بولونيا أمة لم تعرفها ولم ترها . منذ
القدم وانما أحيا هذه الامة أمل الخلاص

(يراجع الفصل المختص بهذا في « مقدرات تاريخية »)

يسهل جدا الاكثار من هذه الامثلة . ولقد كانت هذه الحال
في كل جمهوريات أمريكا ؛ ولكن امل الوقوف في وجه انكثارا
واسبانيا والبرتغال أوجد أمريكا من العدم

ان فكرة الاتحاد تتضمنها العقيدة الاسلامية . وانا لفرحون
بان هذه العاطفة عاطفة الاتحاد لم ينالها أى وهن ، بل قويت وازدادت .
على مر الايام بله تذكرها والاحتفاظ بها ، وهذا الذى يعيننا حقاً

وبعد هذا يجب تنبيه المسلمين حتى ينجلوا من حالهم وقوضاهم . فإن دخول هذا الفكر في عقل المسلم مرة واحدة خطوة كبرى الى الامام «وانه ليدخل الآن» . وأن حال البيئة الاسلامية الآن يصاح جدا لانتشار هذه الافكار . لقد كان المسلمون في جهالة كبيرة قبل . ولم يكن لهم هذه الصفات التي نراها اليوم فقد نبغ في عدة ممالك اسلامية رجال يفهمون أوروبا . فإن ينصر العلماء كلهم هذه الآراء فسيكون في العالم الاسلامي حركة فكرية مذهشة . وان عقول المسلمين في حال طيبة تقبل هذه الافكار النافعة فوراً وبغير جدال . وان رؤوس المسلمين التي لم تضعفها ضرورات الصناعة وغيرها ولم تتعبها النظريات الفكرية زهنا طويلا لا تكاد توجه الى هذه الغاية حتى تسير اليها وقد ابتدأ هذا السير بين مسلمي روسيا وفي الهند ومصر ، وفي تركيا قليلا ولم تبلغ الصين وما لزيا هذه الدرجة وأما في جهات افريقية المظلمة فلا سلام عمل آخر . فعنى الاسلام هناك التجدد والتعالي والتكامل والاسلام في كل يوم يتقدم بنوره في جهة أفريقية السوداء . ويميط عن الزنوج أوساخهم وأقذارهم . وبينما تسير النصرانية هناك بالخمور والزهرى ، ومطامع التجارة ، والمظالم فتنزل السود الى درك البهيمية . السافل يحبي الاسلام هؤلاء السود انقسمهم ويرفعهم الى مستوى المدنية .

من أجل هذا يجب أن نميز أفريقية عن سائر القارات من جهة الاسلام ، فالذى يحتاج الى الانتاذ هو الاسلام فى أوربا وآسيا والاقيانوسية لا الاسلام الذى فى أفريقية . قد ضعف المسلمون وانحطوا فى عدة جهات ساعدت أفريقية المظلمة أما اهل الاقاليم السوداء فيخاصمون من وحشيتهم وورذائلهم باهتدائهم الى الاسلام

استطراى الانحطاط الدينى

(فقرة من كتابنا « تاريخ تدييات عثمانية »)

بعد طور السلطان العربى فهم علماء الاسلام دينهم فهماً غريباً عجيباً وأدخلوا فى الدين كل شىء ، وجعلوا المعاملات الدنيوية تحت نفوذه الشديد ، ووا أسفالم يفهم العلماء المتأخرون الدين واسعاً سهلاً كما عرفه المتقدمون ، فظهروا الدين الذى جاء لسعادة الانسان كأنه مانع للحرية من جهات كثيرة .

كل الامم الشرقية ترى الدين شيئاً غير القوة التى تسد الحاجات الوجدانية فهى تحتاج لارشاد الدين فى الاخذ والعطاء والحركات والسكنات وأصغر أمور الحياة (١)

(١) وما بأس ذلك اذا كان الدين كفيلاً بالسعادة والفلاح وتهذيب الناس فى كل صغيرة وكبيرة كما يشهد المؤلف للاسلام ؟

الاسلام وهو المثل الاعلى لدين موسى وعيسى عليهما السلام قد
فرق بين الاحكام الدنيوية والاخروية بما تضمنه من الاحكام الرفيعة
ووضع كثيراً من القواعد تيسيراً على الناس في معاملاتهم ولكن لم
ينتفع العلماء المتأخرون بهذه الاحكام

(وقد أثبتنا في بحث طويل من كتابنا «اسلامه وجوب تجدد»
انه يمكن تمييز الاحكام الدنيوية من الاحكام الاخروية بالرجوع الى
نصوص شرعية كثيرة . وأثبتنا أن ترك التفريق بين هذين النوعين
من أكبر أسباب الانحطاط الاسلامي)

وقد تباعد بعض الجلاء من أصل الاسلام الفلسفي في العقائد
كما بعدوا في المعاملات . وسرعان ما نسو معالي هذا الدين المنافية
للجمود مع انه جاء من أجل الإصلاح والتجديد .

فكروا مرة كيف فهم الاسلام المعالي ومعضلات الفلسفة وكيف نزه
الالوهية من أساطير الاولين ، ثم قيسوا ذلكم ببعض الخرافات التي
دخلت عقول كثير من المسامين

قد اختار العلماء سبيلاً ضيقاً حرجاً وسدوا على الاجتهاد كل
طريق ، واشتدوا في جزاء الباحثين المفكرين الاحرار فكان عاقبة
هذا استبداداً دينياً شديداً . ويؤسفنا أن أمة الترك لم تذق كثيراً
طعم الحرية الفكرية فما كان من علمائها رجل كابن رشد يفكر

بحرية كاملة ثم يقول ويكتب ما يرى جريئاً كل جرأة
ذلك الاستبداد أدى الى ظهور بعض المذاهب الملحدة لان
الاستبداد يوجب الرجعة أحيانا ، وهذه المذاهب (التي كان لكل
منها جمعية خفية وأندية ذات أسرار كأسرار الماسونية) صارت على
مر الايام في ايدي الجهلاء واصبحت في حال مضحكة . وما أشد
أسفنا اذا تذكرنا ان الاستبداد الديني والتعصب هما اللذان خلقا
هذه المذاهب

لقد بقيت هم علمائنا وقفا على تقاليد المجتهدين الكبار في كل
صغيرة وكبيرة ؛ فلا هم وفقوا للاجتهاد ولا هم رخصوا لغيرهم أن
يفكروا في دائرة الحرية الفكرية . وبذلك فترت العقول وضعفت آلات
الدماغ عن الفلسفة والنظريات العقلية

ولهذا لم ينبغ فينا شاعر أو كاتب أو مفكر يقول ما يمليه عقله
وذلكاؤه غير متبع لتأخر ولا متقدم ، مستقلا بآرائه وأفكاره ، على
حين قد نبغ في أوربا كثير من أصحاب الفكر الذين أعدوا الأمم
بآرائهم للانقلاب الفكري الاجتماعي العظيم ، مثل كنت ، وبيقون
ولا ينينج وفلثير وأمثالهم وأظن أن الاستبداد الذي امضى فيه
المسلمون عشرة قرون جعلهم عاجزين عن التفكير

بقى الناس فى جهل وتصلف ، وعجزوا عن التفكير فصدقوا
كل ما يقال وعظموا المقولات ، ومن لا يستطيع التفكير يصدق كل
شئ ، فكما رويت قصة أو سمع رأى موروث أخذ شكلا آخر واختلط
بالخرافات وأصبح كالنصوص الشرعية

وبعض الآراء والجلل الرمزية التى اخترعها أصحاب الطرق
أساءت فهمها الأفكار الجاهلة ، ودخلتها الخرافات ثم صارت هزيانا
لا ينتهى الانسان فيه الى غاية

والنتيجة : أن الاستبداد الفكرى لم يدع مجالا لحرية الرأى وقتل
الفلسفة والحكمة والآداب وعلوم الاجتماع والنفس ومنع الأمة أن
تفرق بين المعادلات الدينية والأخروية فانهت الى هذا الجمود
والانحطاط المدهش

قد سد علماء الاسلام الضعفاء باب الاجتهاد اذ لم يأنسوا فى
انفسهم قدرة أبى حنيفة والشافعى ومالك وابن حنبل ومحمد وأبى
يوسف وزفر

لا نستطيع أن نتصور عملا جاهلا ، جاهلا جدا وغير معقول مثل
سد باب الاجتهاد . فنحن كل يوم محتاجون الى اجتهاد جديد . لان
الاحكام فى تجدد مستمر . وكل قانون مهما كان محكما فانما وضع

مرأعة ليئته وزمنه بل لساعته ، والحاجات تتغير يوما بعد يوم .
يعجبا هل نستطيع أن نطبق اليوم قانون صولون ومانو أوقانون رومية
تلك القوانين التي كانت صالحة كرامة في وقتها . وهل يمكننا أن نبعث
قوانين بنى اسرائيل بعد موتها وتقييمها مقام القوانين التي تسيطر على
العالم اليوم . عجبا ألا تتف حركة أوروبا المدهشة اذا ألغينا قوانينها
الحاضرة وجئناها بقانون مضى عليه الف سنة بينما تتغير حاجاتها وتكثر
وتختلف معاملاتها على مر الايام ؟

فكيف يحرم علماءنا الاجتهاد الذي يوجب لنا الفوز والفلاح ؟
وكيف يحيلون اجماع الأمة الذي هو من اكبر قواعد الاسلام وأحد
أسباب رجحانه وفضله على الشرائع السالفة ؟ أيا ما كان العلماء الذين
منعوا حرية الفكر واعتزوا بظلمة السلاطين ، والذين سدوا باب الاجتهاد
فحالوا دون اجماع الأمة — فاعلموا انهم هم الذين أواموا بأبطال
الاسلام وجعلوا المسلمين ضعفاء لاحول لهم ولا قوة في معترك الحياة
هكذا كان أسر الفكر ، والنخاط بين أحكام الوجدان وأحكام
المعاملات اكبر مؤثر في تأخرنا واكبر مؤد اليه ! كل شيء فيه
الدنيا ينال بانتصار الحرية . فان سلبت الحرية ولا سيما حرية الفكر
فان يحصل أى تقدم ولا أى رقي ولا أى اصلاح .

ان اول ما يجب علينا اليوم من الاصلاح — استنادا الى بعض النصوص الشرعية كما بينا — هو أن نترك الامور المتعلقة بالوجدان للوجدان ، والامور المختصة بالمعاملات للقوانين التي تقبل الاصلاح والتغير كل حين. ثم ايعلم المسلمون ان الدين وسيلة لتسكين الشبهات الوجدانية فقط. وانما خلصت أوروبا من سلطان البابا اذ فهمت الدين على هذه الوجهة ، فكسرت شوكة الرهبان وفصلت الحكومة من الكنيسة في جهات كثيرة (١٧٨٩) وكان من وراء هذا الرقي المادى والمعنوى. ولقد وضع فقدان الحرية الفكرية في الممالك الاسلامية اقدار الرجال وذهب بالنبوغ . فلم يعرف فى الافراد من اتسعت معلوماته أو عمت مواهبه وشمل الداس عقله ونبوغه .

(١) لانزال نعترف للمؤلف بالاطلاع والخبرة والبصر بالأمور حتى نجد له مثل هذه المقارنة فتهم عقولنا ثم نهمها وليكن لانستطيع أن نقره على قياس الدين الاسلامى الذى هو دين وفلسفة ونظام. حكومة ودستور اخلاق الخ كما يقول — بهذه الاشكال التى كانت للكنائس فى القرون الوسطى . فان يكن نظام الكنائس كان يمنع أوروبا أن تسير فأين فى الاسلام مثل هذا النظام واين عقولنا وأين التاريخ وأين الانصاف ؟

فى الصين أقدر الناس على القراءة والكتابة يكون أكبر موظف (ماندادين) . وكذلك نحن فأكثرنا علما بالمنقولات وأقدرنا على تعلمها وتعليمها فذلك أكبر رجل عندنا . وتلك سيرة جعلت رجالنا فى الزمن القديم لا يعرفون الا فنون العربية وقليل من تاريخ الاسلام والعثمانيين . فبقى الشرق بعيدا كل البعد من الأفكار الغربية . وصار الشرق من جهة العلم والمعرفة عالما لا يشبه العالم الغربى فى شىء (شتان بين مشرق ومغرب) ولكن الغرب لم يترك الشرق فى عزله بل خبره وعرف جملة وتفصيلا فاستطاع أن يجعله فى سلطانه وقهره وكأن العالم العثمانى كان يعيش داخل سور محيط الى زمن السلطان سليم الثالث . وكأنه وهو فى العصور الحديثة وفى مائتى أوروبا وآسيا عالم بقى من القرون الوسطى أو نقل من أواسط طوران .

من وقف فقد تأخر . ومن أجل ذلك درست وعفت على كرجديدبن محافل العلماء والمدارس التى كانت زاهبة زاهرة فى العهد الاول ، وأصبحت داعية الى الضحك والسخرية . ودخلت المدارس التى خربت العلماء والعطاء الكثيرين فى عداد دور الكسالى (تنبلخانه) . وأما أوروبا فقد ظهر فيها شأن الجامعات التى بسطت العلوم والفنون وكثرتها . لقد افترق الغرب والشرق بعد نكبة الاندلس

وتباعدة على مر الأيام وقطعت مرا كز أوربا العلمية علاقاتها بالمنقولات والجدل والسفسطة فلم يبق أمامها ما يمنعها الرقى وبعد (غاليلو) و (تيكوبراه) تحكم العلم والفن في الاساطير والظنون كل التحكم . فانتقلت المنقولات والاساطير الى التاريخ . ونزعت المكاتب من ايدي الرهبان . واما نحن فعلى عكس هذا بقي طلابنا جاثين في زوايا المدارس يتغنون بجمل وعبارات عربية على شرط ألا يفهموا معناها بينما تكشف العوالم الجديدة لأفكار البشر جامعات صوروبون ، وكلية فرنسا ، وأكسفورد ، وكمبردج ، وهيدلبرغ ، وينا .

يلزم الطالب عندنا مدرسته عشرين سنة ثم يأخذ شهادته لا يفقه شيئاً ! وفي أوربا بما اتخذوا من الاساليب النافعة ينال الطالب في

يضع سنين أعلى درجات العلم والفن

بينما يفحص الأورويون التركيب الكيماوي للأجرام السماوية

ويكشفون اشتقاق أجناس الحيوان والنبات ويقرأون الخط المصرى القديم والخط الأشورى المسمارى ، فى الجامعات ، ومحافل العلماء ،

والجمعيات العلمية ، والمعامل ، وحجر اشتغال العلماء ، بينما يعملون هذا

يجمع علائقنا كل ما وجدوا من خرافات ترتبط بعصر السعادة ويحشرونها

فى « محمود السير » ويظهرون المقدرة العظيمة حين يكلفون أنفسهم

تممحيص « الفتوحات » و « الفصوص » التي لم يكن محيي الدين بن عربي يستطيع فهمها بعد أن كتبها ! واأسفًا مائة ألف مرة لقد وكلت المعارف العمومية عندنا الى عجز عباد المنقولات وتقصيرهم . ولم تحول المكاتب الابتدائية الى حال مرغوبة فبقيت المعارف الابتدائية في سيرتها السيئة ، واذا لم تحل مشكلة التربية والتعليم كما ينبغي فكيف ينتشر الرقي والكمال في المملكة ؟ لا بد أن نرفع كابوس المنقولات . ان المعلومات المنقولة قيدت ايدينا وارجلنا وافكارنا وعقولنا فلم تدع فينا طاقة للتحرك .

قد قبضت المنقولات بمخالبها عقل الشرق وذهنه وضيقته عليه . كالخلق العجيب الذي يسمى « غريفون » (١) في أساطير الاووين فلم تترك مجالاً للخلاص

وهذه المعلومات قد امتصت دماء رؤسنا مثل « الغول » الذي يشرب الدماء . ثم شربت كما وجدت من ماء الحياة حتي القطرة الاخيرة . فيجب علينا قبل كل شيء أن نحارب غول المنقولات هذه حتى ننقذ الملة من ورطتها . وتقتاع أصول المنقولات عندنا : وذلك مرتبط بتنسيق المعارف الابتدائية فقط . ونحن لا نستطيع أن نقطع مايربطنا بالماضي من العلاقات المتينة الا اذا نشأ نشء جديد هو أهل للنظر

(١) حيوان خرافي صدره صدر نسر وعجزه عجز أسد .

والفكر كالأوربيين يتولي مستقبل الأمة . نهوضنا متوقف علي قيام
انسال جديدة لقيادة الأمة ، فان نزع الخزانات المتأصلة في الرؤس
القديمة امل يكاد يكون مستحيلا . وانما يرى الانسان سجيته بالافكار
والعواطف الجديدة في ابدان نشأته، ولهذا الحكمة يتوسل اعظام الرجال
في الدول الحرة مثل فرانسوا الى تخليص المعارف العمومية من ايدي
الرهبان قبل كل شيء

اصول الاستعمارات الاروبى

— آراء الدكتور جوستاو لوبون —

الدكتور جوستاو لوبون يعيب بكل شدة اصول الاستعمار
الفرنسى في كتابه « روح السياسة » وانه لمصيب جدا في آرائه الهامة .
ونحن نلخص نظريات جوستاو لوبون نفسها وننقدها حتى لا يكون
عيب هذه الاصول من جانبنا .



لا ريب ان النزاع الاقتصادى بين الغرب والشرق سيكون اكبر
مشاغل القرن العشرين ويستلزم بالضرورة من سفك الدماء اكثر مما
سفكته الحروب القديمة ، وستاعب المستعمرات دورا كبيرا حين تتصادم

هاتان المدينتان المتقابلتان وجه لوجه .

اصول الاستعمار الاروبى تقوم على اساس ثابت سهل جدا .
وكان يلزم ان تكون هذه الاصول التي اتبعتها النجارب مشتركة بين
الدول جميعا ، ولكنها اختلفت باختلاف الدول والامم ، ولهذا يمكن
تقسيم دول اوربا قسمين ، فرنسا وسائر الدول .

تريد الدول ماعدا فرنسا من اتخاذ المستعمرات ان تستفيد منها
فائدة مادية مع المحافظة عليها . ولكن الفرنسيون لم يلتفتوا الى هذا
الغرض فاداروا المستعمرات بأرائهم وقوانينهم هم ، وتلك خطة كثيرة
المصائب والمصاعب .

الفرنسيون اشد الامم جهودا وان تظاهروا بانهم احب
الامم للتجديد .

ليس الدكتور جوستا لوبون مبطلا في هذه الدعاوى ، ففرنسا
كما يقال .

« فلا هو في أمره مستريح ولا هو منه أراح العباد »

لم تستفد من مستعمراتها الواسعة ولا هي أراحت الملايين من
اهلها . قد قابلنا كثيرا من اهالى المستعمرات التابعة للدول المختلفة
فوجدنا أشدهم بؤسا واتعسهم حظا اتباع فرنسا . فقد ارتكب الفرنسيون

افش الاغلاط النفسية ، وبدؤا يمثلون الأمم قبل ان يتبينوا هل يستطيعون ذلك اولا يستطيعون ، فكان من وراء ذلك فجائع ومصائب كثيرة . كمن ينفق آلاف الآلاف ويقوم باشق الاعمال ليحول مجرى نهر الطونة قبل أن يعرفوا هل يمكن تحويله أولا يمكن ، ثم استمر النهر سيرته الاولى ولم تتحول قطرة واحدة منه الى غير مجراه .

لم ينتبه عظماء فرنسا بهذه المصائب المتوالية ولم يغيروا خططهم . حتى انتصر لهذه الخطة بعض كبار الاقتصاديين مثل مسيو « لوروا - بوليو »

الجزائر تتسع اتساع فرنسا ولكنها قليلة السكان جداً وفيها ستة ملايين مسلم مخلصون لقوانين فرنسا وآدابها كما يقول التقرير الرسمي الفرنسي ، ولكن حكومة فرنسا « كما قال مسيو لوبون وأجاد » تضط أن ترسل ستين ألف جندي للمحافظة علي هذه الصداقة والاخلاص وذلك قد رما تبعثه انجلترا للمحافظة علي أكثر من ثلاثمائة مليون هندي بينهم ستون مليون مسلم أشد واغلظ من الجزائريين !

وفي الحق أن قسما عظيما من مسلمي الهند عرب - مثل الجزائريين - وهم جماعة مهمة في نظامية حيدر آباد .

يعيش بين مسلمي الجزائر ثمانمائة ألف أوروبي نصفهم من فرنسا

ونصفهم من الاسبان والاطاليان والمالطيين وغيرهم. وهؤلاء الاوربيون المختلفون جنسا لا يزاوجون المسلمين ، وسيكون من اختلاط هؤلاء الاجانب في القريب العاجل امة جديدة لا تتفق منافعها مع منافع فرنسا وتعد فرنسا مثرىا ينفق على السكة الحديدية والمصالح العامة ، والصدقات الجارية .

أما المسلمون الذين هم معظم أهل الجزائر فهم احفاد الفاتحين المختلفين نلتهم من العرب والثلاثان من البربر، ولكن هذا الفرق لا يهمنا وانما المهم اتقسام الاهالى الى بدو وحضر .

وقد اعرب « بول لوروا - بوليو » بقلم صادق عن الآراء في فرنسا ، وقصارى ما قاله « تجنيس المسلمين بجنسية فرنسا ! »

ان الخطة التي اتخذتها فرنسا لتمثيل المسلمين واكتساب مودتهم قريبة جداً من الخطة الوحشية التي اتخذها الامريكيون السابقون مع الجنس الاحمر . فهؤلاء التعساء كانوا يحرمون حتي من بيوتهم ويحسن اليهم بان يتركوا احرارا يموتون من الجوع ! (مرحى مرحى ! يا دكتور جوستاو بوبون !)

سيعطي التاريخ هذه القوانين حظها من القشيع
ان من الجدير بالنظر هذه الآراء الآتية للمسيو وينيون

أحد سفراء فرنسا السابقين : قد سنت الإدارة لنفسها طرد الأهالى الى الصحراء حين رأت أن يصادر الولاية أرض العشائر بعد كل ثورة ويمنحوا أجودها للمستعمرين . فالعناصر الأوربية تتمكن هناك ويعظم شأنها بينما يطرد الوطنيون والقبائل كلها من ديارهم وأرضهم التى تركها لهم آبائهم . ان عاقبة هذه الخطة المتبعة منذ ثلاثين سنة بينة جداً ، فالعرب الذين يقربون كل يوم خطوة الى الصحراء لا يبالون باحياء الأرض وعمرانها لانهم موقنون بالحرمان من ثمرات أعمالهم ؛ ثم لم يجد الناس ما يحتاجون من القوت لهم والعلف لدوابهم فقتلت الماشية أو نفقت كلها . ذلك فانهم حرّموا من أرض العشائر الصالحة للزراعة حتى من حق الشرب والمسيل واضطروا الى الأرض الجذباء المقفرة . ثم آلاف المنازل والمشقات أفعمت قلوب الأهالى حقداً وحفيظة على المستعمرين فاستعت الهوة بين الجنسين وكان يجب أن تردم .

ثم مجلس الشيوخ الذى قرر في سنة ١٨٦٣ أن للعشائر حق التصرف فى أرضهم لم يمه هذا (الطرد الى الصحراء) ولكن غير اسم الظلم فسماه « امتلاكاً لأجل المنافع العامة » . وكان لهذه المسألة متبجتان : فمن جهة تعطى الأرض للأوربيين وتزرع من يد الوطنيين

ويعبد المسلمون من أن يكونوا مالكين ؛ ومن جهة أخرى يترك
الوطني الذي سلب أرضه للبؤس والفاقة ، لأن صائب الأرض
يعطى الثمن الذي تقدره المحكمة وهو ستون أو خمسون فرنك
للهكتار فيضطر الوطني أن يبيع بألفين أو بألف وخمسمائة فرنك ثلاثين
أو أربعين هكتارا كانت تقوم بحاجة ورفاهيته هو وأهله ، ثم ينفق
هذا القدر القليل في سنة أرسنتين »

الاستعمار الرسمي من أعجب الخطط المتبعة في الجزائر. فإنه بمقتضى
هذه الخطة أعطيت الأرض مجاناً لطائفة من الحشرات . ثم دفعت
هذه القرى الرسمية التي بناها هؤلاء فالرياح تهب مكانها اليوم . ثم
نتيجة هذه التجارب المفاجئة والنقعات الكثيرة التي اقتضتها لم توظف
الولاية الفرنسيين . فلا يزال الوالى اليوم يطالب خمسين مليون فرنك .
لينزع أملاك العرب من أيديهم ويبنى قرى أخرى مكان القرى التي
ذهبت مع الريح ! فالجزائر ملك للفرنسيين غال ثمنه جداً . وقد
فدت فرنسا الجزائر حتى اليوم بأربعة آلاف مليون فرنك — بعد
حساب الواردات — .

يقول مسيو لوبون عجباً ! هل استطعنا بهذه الفدية أن نقوم ولو
بنشر الأمن في هذه المملوكة ؟ قد اتبعت فرنسا منذ غلبت على

الجزائر قاعدتين في سياستها : مصادرة أملاك العرب وطردهم الى الصحراء ، والأخرى جعلهم فرنسويين بتعميم الآداب الفرنساوية . لم يرض العرب أن يطردوا الى الصحراء ، لأن الصحراء لا تصلح لمعيشة أى انسان ، ولا بد أن تدافع الملايين من النفوس قبل أن تموت جوعاً ؛ وكذلك لم يقبل المسلمون أن يتجنسوا لانه لم يعرف الى اليوم أمة نبذت أخلاقها وآدابها وتمثلت روح أمة أخرى . وقليل جداً من الفرنسيين من يفهمون ان المسائل الدينية في الشرق فوق كل شئ وان الحياة العامة والخاصة ومصالح الملك والسياسة انما تصرفها القوانين الدينية . فالأكل والشرب والنوم واللقاء البذر في المزارع وجمع المحصول — كل ذلك يعده الشرقيون من الأمور الدينية ؛ سواء في ذلك أمة محمد وعباد بوذا وسيوا . ولقد عرف الانجائز هذا وقدروه حق قدره فهم يحبون على رغم الاعتراض الشديد (الباغودات) (١) ويوظفون ويرفهن رهبان سيوا ووشنو ثم لم يروجوا مساعي مبشريهم أنفسهم ؟ كان حقاً علينا أن نحمل الدين الاسلامي ونعتمد على الطرق العلية ذات القدرة وتقوي سلطان علماء المسلمين ولكن سياستنا الحاضرة أضعفت العلماء وكانت عليهم في كل حين .

يريد مسيولورا — بوليو « ألا تراعى عادات المسلمين .

وأخلاقهم وآدابهم ووطنيتهم . وقد غلا حتى قال ان قبائل الجزائر لا تفرق من أوروبا الا في مسألة واحدة وهى « الدين » وادعى أن البربرى كالأوربى نفسه ! والعرب وحدهم هم المحتاجون الى التجنيس وذلك أمر يسير قريب : فإذا ألغيت سنة تعدد الزوجات ... وتصرف الأراضى المشتركة حصل المطلوب

(وهنا يقول الدكتور لوبون بين القوسين : لا أريد أن أعيب تعدد الزوجات ، فلا بد من أسباب قوية دعت الى تقرر هذا القانون . ولا أريد أن أتعق فأقول ان تعدد الزوجات غير المشروع الذى يتخذه الأوربيون خفية ليس أحسن من تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين ومن تكثير الاولاد الذى هو من نتائج الطبيعة) .

حوستا لوبون يقول تعريضاً بلوروابوليو ان العرب ، العرب وحدهم هم الذين عرفوا لنا عالم اليونان واللاتين وأحيوها وقد ظلت جامعاتنا الأوربية ومنها جامعة باريس تستغنى ، ستمائة سنة مما ترجمه العرب وبيّنوه لها فقط . ان مدنية العرب من ألمع وأزهي المدنيات التى عرفها التاريخ وقد ماتت كمات غيرها ولكن الخطأ الكبير أن نظن ان تعدد الزوجات أودى بها وذهب بضوئها ؛ فما كان تعدد

الزوجات من أسباب ضعف الجمعية العربية والمخطاطها

لوروا — بوليو يرى ان تربية اللاتين من أكبر الوسائل الى تقويم العرب ، وقد قبل هذا الرأي كل انسان في فرنسا . ولكن هذه التربية لم يكن من ورائها الا انزال المساكين الى الدرك الاسفل مادة ومعنى بله أحياءهم وتقويمهم — مع الأسف — . وقد حرمت هذه التربية العرب والهنود والشرقيين البؤساء مما ملكت أيديهم . واذا أردنا المحال وعملنا بآراء « لوروا — بوليو » أصبحت الجزائر مع فرنسا كالونديك مع النمسا في الزمن القديم . وارلندا مع انجلترا والالزاس مع ألمانيا الآن .

لقد ناح مؤرخونا حيناً علي ضياع الهند التي فتحتها الداهية « دوبلكس » الكبير . لا ! ينبغي ان لانحزن اضياع الهند من يدنا ، فلو أننا أدركنا هذه الارض كلها كما ندير بوند شيري التي بقيت من الهند في أيدينا ، ولو أننا حكمنا هناك كما يهوى لوروا — بوليو لبقيت هذه الارض القديمة في النار والدم ثم أفقت من أيدينا سريعاً سريعاً . وها نحن أولاء قد شرعنا في ارتكاب الخطأ نفسه في الهند الصيني . ولهذا صارت حكومتنا في المستعمرات لا تستحق العفو والمسامحة ، فهي تخرب هذه الارحاء ، والعمال الذين نرسلهم الى الشرق يسوسون المستعمرات كما تساس مقاطعات فرنسا ، وقد جهلوا كل الجهل طباع

الاهالي وأمزجتهم وعاداتهم وأحوالهم ، فهم لا يكفون عن ارتكاب
مئات أباهم نخوة الاهلين وعزة نفوسهم .

كان ينبغي أن تغل الجزائر لفرنسا كل عام مائتي مليون فرنك
كما يقول مسيو هرمن أحد الولاة السابقين ، ولـ كننا لانزال نرسل اليها
آلاف الجنود وملايين الفرنكات ؛ ثم نتيجة هذا : بغض الاهالي
وعداوتهم لنا أشد عداوة ، وضياح شرفنا ، والمناداة على عجزنا وقصورنا
المحير أمام العالم ، واعلان ضعفنا عن الادارة واننا لانعرف ولا نفهم
عواطف العناصر الاجنبية وأفكارهم ! »

وأنا أقول هنا استطراداً ان في آراء الدكتور جوستاو لوبون
مسائل حرية بالنظر لاجل ادارتنا الداخلية العثمانية ، فلا يزال ملكنا
واسعاً مع ما أصابنا من الجراحات فيجب علينا ألا نختار قواعد الادارة
الفرنسية في سياسة الملك العثماني الذي يمتد من عمان الى القوقاز . لان
ذلك لا ينفع الرعية ولا السلطنة ولا أى انسان .

يقول جوستاو لوبون بكمال الشدة ان من المهلك السعى في تطبيق
أفكار الامم الاخرى وآدابها على أهل المستعمرات ، فذلك لا يمكن
ولم تستطع أية أمة ، وان تربية أوروبا طلاء ظاهري لا يصير الوطني
أورياً . والتاريخ يثبت أن المدينتين المتقابلتين والمفترقتين في القواعد
كثيراً لا يمكن أن تتقيا :

والفائحون الذين استطاعوا أن يثبوا عاداتهم وأخلاقهم بين
المغلوبين هم الذين تشبه مدنيّتهم مدنية هؤلاء المغلوبين، وهذا سرّ وحكمة
نفوذ العرب العظيم في الشرق، فلا يزال العرب ذوى نفوذ في أفريقية
والصين والهند، وقد استطاعوا في كل أرض أن ينشروا قواعد
مدنيّتهم بين الأقوام الذين اختلطوا بهم، وأذاعوا الدين واللغة
والصناعات الحرفيّة، وكلما سكنوا أرضاً استقرت فيها المدنية الإسلاميّة
وثبتت على الدهر، وقد قهر الإسلام في الهند سائر الشرائع، وقد
عرب العرب مصر ملك الفراعنة التي لم يستطع الفرس واليونان والرومان
أن يؤثروا فيها شيئاً.

واليوم يظهر الإسلام معجزته في أفريقية ويفتح هذه الأرض
الواسعة كلها بينما يبوء سعى المبشرين فيها بالخيبة الكبيرة والاختناق
إلّتام. وأينما ذهب الكاشفون الأوروبيون الذين بلغوا أواسط أفريقية
بشق الأنف - وجدوا قوافل العرب أمامهم تنشر الإسلام واللغة العربيّة.

قد تستطيع أمم أوروبا أن تستعمر، ولكن أكثر الأقوام مدنيّة
وأكبرهم نجاحاً في التمدين من عهد الرومان هم المسلمون، والمسلمون وحدهم
هم الذين استطاعوا أن يدخلوا على العناصر الأخرى قواعد المدنية
المهمّة مثل الصناعة والآداب والدين.

ومثل الانجائز من الاوربيين وقتوا الى أن يدخلوا الامم الضعيفة
في سلطانهم بغير عناء ومشقة ، ولكن ينبغي ألا نجادل في أن هؤلاء
الفاتحين بدلوا روح الامم المغلوبة أو لم يبدلوها .

ان المدنية التي تسد حاجات الاوربيين لا توافق غيرهم ، فليس
للشرقيين الف بعميشة الغرب المزورة الداعة الآلام والاحزان ، كثيرة
التقلب وليس للشرقيين عهد بما تقتضيه هذه المعيشة من الحاجات
الصناعية والدأب المتواصل وعيشة المصانع والمناجم وغير ذلك . ان
أثرنا الوحيد في الشرق كان : افساد أهله واذلالهم وتشتيتهم . . . »
لا تظنوا مع هذه الاقوال كلها أن الدكتور جوستا ولو بون يريد أن
يترك الاوربيون المستعمرات ، فانما يرجع تقده الى أسلوب
الاستعمار الفرنسي فقط . وهو يرى عمل أوربا في المستعمرات مشروعا ،
وأظن أن مقصده أن يحض أمته على أن تدبر أملاكها الواسعة على
أسلوب الانجائز أو الفلمنك . وبعد أن اشتد جوستا ولو بون في
التشجيع على المأورين الفرنسيين شرع يتكلم عن الكونغو الباجيكي
وين أن اتباع القواعد الفرنسية هنا رجعت على الباجيقيين بالوبال
والخسران ، وانهم لما عرفوا خطأهم غيروا خطتهم ، وانهم ظلمهم من
المآرب الخفية تركوا الولوع بخدمة الانسانية في الكونغو والتفتوا الى

منفعتهم أنفسهم وأثنى على الباجيقيين من أجل ذلك . ومهما يكن
الدكتور جوستا ولو يون عالماً كاملاً فنحن لا نؤاخذ به هذه الأقوال
أليس هو أوروبياً؟

ثم بحث الدكتور جوستا ولو يون في فصل مهم عن النتائج النفسية
التي ينتجها تطبيق التربية الاوربية علي الشعوب المدنية .
قد جرب هذا العمل في الهند منذ عهد لورد ما كولي وهناك
اليوم أربع جامعات على النسق الاوربي ، ومئة وثلاثون ألف مدرسة
صغيرة يتعلم فيها ثلاثة ملايين طالب و ينفق عليها مليوناً جنيه انجلىزى
يخصص ثلثها بالمكاتب الابتدائية وثلثاها بالمدارس الثانوية والعانية .
وقد كان من هذا نتيجة عملية صغيرة : هى أن بريطانيا تستطيع
أن تجد بلا مشقة ما تحتاج من الموظفين الصغار فى الهند . ولو انها
اضطرت الى استعمال البريطانيين فى مكان هؤلاء لأنفقت مثل هذا
عشرين مرة .

ولكن لم تنتج هذه التربية نتائج أخرى الا أن أفسدت التربية
الاوربية عقول أهل الهند وأخلت توازنهم وعطلت استعدادهم الفكرى .
وحطت مستواهم الاخلاقى .

وتلك فترة جديرة بالنظر من كلام موني وويليام (Monier Williams) الذي كان معلماً اللغة السنسكريتية في جامعة أو كسفورد :
« لا بد أني أعترف هنا صريحاً أني لست مسروراً من النتائج العامة التي أنتجها جهادنا في تربية الهند : فقد صادفت أناساً كثيرين قد فسدت عقولهم وسجاياهم ، وربوا تربية سيئة وعلموا تعليماً فاسداً . ربما عرف هؤلاء الناس أشياء كثيرة من الكتب ولكن أفكارهم لا تسر ، وكثير منهم يهذى بكلام كثير جداً حتى لا يتبين أنهم أصيبوا بسلس الكلام ؛ وليس لهم قوة على الجهاد المستمر وإذا قدروا عليه فهم لا يعرفون القواعد الأولية كأنهم بعيدون عما قلوا وكتبوا .

انهم يتركون عاداتهم التي أيدتها القرون الطويلة ، ولغتهم وآدابهم ودينهم وفلسفتهم وطباع أديبهم ثم لا يقبلون فنوننا أو فلسفة رينيو الطاهرة ولا آراء النصارى وأفكارهم .

ونحن بعد كل ما عملنا قد خلقنا خلقاً يسمى (الوطنى القارى) فلم يفتحوا أعينهم حتي وقفوا أمامنا موقف الخصام ... الخ)

كتبنا في أحد النصول الماضية فيينا ما كان من تعليم البروتستان والكاثوليك والجزويت خاصة ، في بلاد سوريا . وأظن أن مواطنينا نصاري سورية التعساء يشبهون أهل الهند المتمدين الذين صورهم

الاستاذ ويليام. فحال أهل لبنان وسورية، وبعض الأرمين المصبوغين
بصبغة أوربا وأمريكا ويهودنا المتفرنسين أو المتألمين — جديرة
بالنظر والتأمل ؛ فان هؤلاء البؤساء لم يستطيعوا أن يهضموا المعلومات
التي تعاملوها فأصابهم في رؤسهم وقلوبهم فساد كفساد المعدة .

ان تربية أمة على بعد من تاريخها وعاداتها وسجاياها واستعدادها
تأتي بالضرر من حيث تراد المنفعة ، حتى ليصير الانسان قرداً ، فاذا
أنعمنا النظر في نظام هذه التربية ونتائجها لم يكن محالاً أن نظفر بنظرية
داروينية معكوسة

يقول الدكتور لوبون كأن قعر دماغ الوطنى المتعلم على قدر ما
أصيب به من الهديان الذى لا يقبل المداواة . فهذا الوطنى يسأل أول
أوربى يلقاه سؤال مجده غير منتظر جواباً : أى الرجلين أحسن أشكسبير
أم (بونسون دوتراى ؟) أو هل يخرج ملك الانجليز اصيد التمر فى لندرا ؟
وكم عدد زوجاته ؟ ذلك اختلاط وارتباك فى الافكار تحقيق بالحيرة ؛
ان ذلك الوطنى ليرقص فى فكره رقص الجنون ويشنو ومشتري
وتورات ، وبرنس دوغال ، وأبطال اليونان والرومان ، والجمهوريات
القديمة والممالك الجديدة ؛ ويخال ملك الانجليز وولى عهده ورئيس
وزارته أقانيم ثلاثة تشبه براهما ، وويشنو ، وسيوا . وانه لمختل التصور

اختلالاً يقيس معلوماته الجديدة على ما ورثه من الأفكار القديمة في أمته .

هذه المعارف الأوروبية لم تقدر انجلترا أقل فائدة ، لأن الهندي المحتذى آراء أوروبا وأفكارها لا يكاد يترك المدرسة حتى يصير عدواً مبيناً لانجلترا . يدل ذلك على آراء الهنود الحرة والمقالات الشديدة التي تنشرها الجرائد كثيراً ، ونظرية (الهند للهنود !) . ويقول المؤلف ديوك : ليس للطبقة المتعلمة حديثاً شأن كبير في الهند ولكنهم يزدادون على مر الأيام ، وذلك يعرض حكومة بريطانيا في الهند انهلكة كبيرة في المستقبل

هل هذه التربية الأوروبية ترفع فكر الهندي ؟ وهل تستطيع هذه التربية أن تجعله صديقاً للأوروبي أو تقدر على إصلاح أخلاقه ؟ جواب هذه الاسئلة بين : تربية أوروبا تضع المستوى الأخلاقي في الهند وتنزل به الى درك جدير بالحيرة ، وهذه التربية تصير المساكين الأعفاء الهادئين ظلمة أشقياء ، منافقين سفلة أدنياء . وهؤلاء ينتمون للحكام ظلماً وعدواناً علي أبناء وطنهم حتى فيما لا يلبق من الأعمال يقول المستر ويليام ان الهنود الذين لا يكتسبون فضائل الأوروبيين الا نادراً يسارعون الى رذائل الغربيين . والضباط الذاهبون الى

الهند يجمعون على أن الأرض المفتوحة حديثاً لا يوجد فيها غش ولا
رياء ولا شقاق ولا غلظة ولا خسة ولا أشباهها . ثم لا تكاد تهم
الإدارة الأوربية حتى تشغل المحاكم بالجرائم والجنايات التي تكثر
كثرة مدهشة)

لا بد أن نخرج هنا على أحوالنا . فهذه الحال نفسها واقعة في
تركيا أيضاً ، فنحن لا نأخذ مزايا أوربا بينما قطعت شوطاً بعيداً في
بلادنا منذ عهد سليم الثالث رذائل أوربا وادمان الخمر ، والقمار وفساد
الأخلاق ، واتباع الشهوات ، والأمراض الزهرية واحتقار العادات
والآداب وغيره وغيره ؛ وقد قلت مراراً أننا لم نحافظ على صفاتنا
الشرقية ولا صرنا غربيين . وكثير منا أضاعوا في هذا السبيل أخلاقهم
وطباعهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يأخذوا عن أوربا ولو بعض عاداتها

هذه الأحوال نفسها ظهرت في الهند الصينية . والدكتور جوستاو
كلوبون يستشهد التقرير الرسمي الذي كتبه ميسو كلوبوكوفسكى
Klobukowski على أن هذه القاعدة أنتجت هذه النتائج في
كل مكان

وقد بحث المؤلف نفسه في الجزائر وأعظم مستعمرات فرنسا عن
نتائج هذه القاعدة فوجدها بكل خواصها

ويقول مسيو بول دوما : « ان رجال الجندية (توركو) في الجزائر لا يكادون ينجون من الجندية حتى يسرع كل منهم الى ايس برنسه ويسلك السبيل الى قريته . ويأكل (كسكسه) ويتزوج امرأة كما يشتهي وعلى قدر طاقته ثم لا يعرف الا (لا اله الا الله محمد رسول الله) والنصارى كلاب ، كلاب أولاد كلاب ، والمرأة حيوان يركب . هذا الرجل قد تفرج بقدر ما يستطيع ، ولكنه أخذ عنا في هذه الاثناء بعض الأشياء : رذائلنا ، ومن هذه الرذائل شيء لم يكن يعرفه من تلقاء نفسه وهو السكر)

وقد استطاع الدكتور جوستار لوبون في سياحاته العديدة آراء المسلمين بين فاس وأواسط آسيا وتعرف أفكار عظمائهم

وكل هؤلاء اعترفوا بلسان واحد أن تربية أوربا لم تنتج عند المسلمين الا عداوة الأوربيين . وقل علماء العرب ان تربية أوربا لا تصلح الا لافساد أخلاق أبناء دينهم . فلك تربية تولد بعض حاجات كاذبة ولكنها لا تهيب الوسائل التي تؤدي اليها . ومن أجل هذا يصبح هؤلاء المساكين بائسين ساخطين ويظهر منهم عنصر ثورة وعصيان

أقول مرة أخرى ان الدكتور جوستار لوبون لا يريد ترك

المستعمرات لأهلها ويود أن يرى الأوربي راعياً عارفاً منافع الحقيقة الحقيقية
ذا أذن واعية ، ويوجب عليه أن يربى الخروف ليكون خروفاً ، ولا يجتهد
عبثاً ليحمله انساناً مثله . كذلك يريد أن يقول الدكتور جوستا لوبون .
علي أننا لا نرى هذه الآراء المتأخرة . مهما يكن فقد سرى شرف
الاسلام فينا : فلا نريد أن يبقى بنو نوعنا في طفولة مستمرة وتحت
حجر دائم بل نريد أن يكمل كل انسان تدريجاً

....

نحن نرى أن التربية الوحيدة والعقيدة الفذة والآداب المفردة
التي تؤثر في روح الأمة هي التي تناسب عقولها ويسرها وسهولتها ولا
يخل بنظام معيشتها . ويرى الدكتور جوستا لوبون ان الاسلام دين
كذلك : وبهذا فقط يمكن تفسير هذا التأثير العظيم في الاسلام ،
ومن هذه الوجهة فقط نستطيع أن نفهم انتشار الاسلام السريع الذي
يعد في الظاهر تأثيراً سياسياً . هذا التأثير باق الى الآن في الشرق
كانت الملل التي فتحها الاسلام تشارك العرب في الحاجات
والعادات (١) والاحساس فلم يتغير نظام حياتها كثيراً حين دخلت

(١) ان هذا الدين المبين لم يكن مصدره عادات العرب وانما

فى الاسلام ولم يروا نفسم امام مذنفة مخطاة مضطربة ، مهوشة
كمذنفة الغرب

المؤرخون يرجعون تأثير الاسلام المحير فى الاخلاق والافكار
الى القوة المادية ولكن لاسبيل الآن الى هذه الظنون ؛ فان الاسلام
لا يزال يتقدم وينتشر بعد زوال القوى الاسلامية .

ان المسامنين هم وحدهم المدينون الذين استطاعوا أن يشربوا
قلوب الامم المختلفة أساليب تربيتهم الاجتماعية وعقائدهم وديانهم
وصناعاتهم بعد عهد الرومان .

الاسلام لا يتفقر اليوم بل يسير قدماً الى الارض التي لم يلبسها
فى طور عظمته وشوكته المادية ، والقرآن والعقائد الاسلامية — التي
هي نتائجه — أمور فطرية موافقة جداً لحاجات الاقوام الذين لا
يزالون على الفطرة حتى انها تنتشر وتذيع من تلقاء نفسها . وحيثما ذهب
المسامون ولو للتجارة مكنوا لادابهم وعقائدهم حتى لترى عشائر مسامة

هو نظام فطرى تلقته النفوس العربية ديناً طبعياً ثم كان هذا الأثر فى
الأمم الأخرى . ومن أجل ذلك نريد أن نفسر كلام الدكتور بان
(الاسلام دين الفطرة) لا بأن عادات العرب كانت تناسب عادات
الأمم الأخرى اه ترجمة

فى الامكنة السحيقة التى استطاع الاوربيون أن يكشفوها فى أفريقيا:
والمسلمون يمدنون قبائل أفريقية اليوم على قدر الاستطاعة على حين
لا يترك الاوربيون الذين يصرفون الشرق بالفتح والتجارة أى أثر
أدبى وراءهم ولا يستطيعون أن يؤدوا للشرقيين أى عمل مدنى ولا
سيا الاقوام التى لم تمدن بعد .

واليابانيون على ما أخذوا من نتائج المدنية الأوربية لم يبدلوا
قوانينهم الاصلية ولا عقائدهم ولا سجاياهم خاصة . وكأن الياباني الآن
فارس من عهد الفروسية بعث الى الحياة اليوم عارفا كيف يعمل المدفع
وقاطرات البخار ؟ فهل تغير بهذه المعرفة فكره ؟

ما تغير روح اليابان ولكن تغير حياتها الظاهرة اخفى على
الاوربيين ثبات حياتها الباطنة

جوستا ولو بون يتطرف قليلا ، ويرى وصاية الغرب العالية على
الشرقيين جائزة وان لم يرض صبغ الشرق بالصبغة الفرنسية أو الاوربية
واذا كانت طريقة الاستعمار لا تنفع الوطنيين ولا الاوربيين فما
يريد الكاتب اذا ؟ يقول الدكتور يجب أن نقص كثيرا عدد
الموظفين فى المستعمرات ويجب أن يعرف هؤلاء الموظفون لغة
المستعمرات وعاداتها واخلاقها ويحيطوا بها علما . فيا ليت شعرى

ما عمل هؤلاء الموظفين ؟ هل يخدمون أوروبا أو يربون الوطنيين ؟
ان كانوا يخدمون أوروبا وينفعونها بالمال فلا أظن هذا جائزا في منطق
جوستا لو بون وان أرادوا تهذيب الشرقيين فليست أظن أن نظرية
لو بون تجعل هذا ممكنا ، وإذا ؟

بعد ان عاب المحرر أصول الاستعمار الاوربي وخبرها اصابه
اليأس فيقول ماذا جنينا من هذه الآمال الخيالية الا البغض والعداوة
الكبرى والحروب المستمرة ؟ . وإذا ؟

الدكتور جوستاف لو بون خص بعض مقالاته بعيب الاسلوب
الفرنسي ، وبعض كتاب الالمان والنامنك والانجليز نظروا في احوال
مستعمراتهم وتقذوها كثيرا فكانت آراؤهم شبيهة بالآراء الذي اجملناها
آنفا . ونحن نصفح عن تفصيل هذا ولكننا نؤيد رأينا فنختم الفصل
بترجمة كتاب أحد السياسيين الانجليز المعروفين « سيرسكاوين بلانت »
S. Blunt الذي ارسله الى المصريين .

كتاب

الى مؤتمر المصريين الى طنيين

المجتمع في بروكسل بعد ان منع من الاجتماع في باريس
أيها السادة

لا أستطيع أن أعرب لكم عن شكرى على دعوتكم اياى لا كون
رئيس شرف لمؤتمرکم . لقد تلقيت ذلك دليلا على حسن ظن الشبان
المصريين وان كنت انجليزيا . ولقد وددت أن أكون شابا فأخدمكم
بنفسى ولكن السبعين من العمر تحول دون الأمنية — مع الأسف —
كل ما أستطيعه فى هذه الساعة أن أعان مرة أخرى أنى قبلت خطتكم
الوطنية وأن أوصيكم بانفاذها على أحسن وجه جهد طاقتكم . لست
فى القضية المصرية أوريا ولا انجليزيا بل أنا من الوطنيين المخلصين
الذين تنزهوا عن المآرب الخفية .

أنتم تعرفون رأيى فى المسألة المصرية — هذا الرأى الذى تدعمه
تجربة خمسة وثلاثين عاما فى أموركم . وانى لأعرف تماما كيف
تريد السياسة التى يلعب بها المليون أن تمكن الاجنبى من الاستيلاء

علي ممالككم . وكيف تريد هذه المسائل أن تليل أمد الاحتلال
في بلادكم . عرفت مصر في عهد الخديو اسماعيل ، ثم رأيت مصر مرة
أخرى في عهد المراقبة الثنائية . وشهدت ظهور الحزب الوطنى عام
١٨٨١ . وحضرت وضع القانون الاساسى واعلانه ، وكانت لى علاقة
بأكابركم أنصار الثورة الملكيين والعسكريين ، ودافعت عن حقوقكم
أمام الوزراء فى لندره ولكن بلا جدوى ، وتأملت اذ لم أستطع أن
أخبركم بما عزموا عليه من ضرب الاسكندرية بالقنابل ، وقد أكون
الباكي الوحيد بين مواطنى فى فاجعة التل الكبير . فكيف لا يحق لى أن
أعد نفسى وطنياً مصرياً مثلكم أو أكثر منكم ؟

وفى هذه الاعوام الأثيمة رأيت الحزب الوطنى يولد مرتين : فى
سنة ١٨٩٢ اذ جالس الخديو الخالى وكان شاباً ماؤه الحماسة الوطنية
وكان يجمعني أحياناً موضع سره . ولكن ذهب بجرأة هذا التعس سريعاً
أعمال وكيلنا لورد كرومر المنكرة .

ثم فى الحركة الوطنية التى أرشد اليها خليلكم الشاب رفيع الذر
مصطفى كامل باشا . وكنت كلما شرفت بلقائه فى أى وقت عاونته جهده
استطاعتي مع السرور . لكن الهرم ينقص القوة بظلمه ، فقد تركت
السياحة منذ زمن . حتى لست أذهب الى باريس التى أمضيت فيها

زهرة أيام الشباب ، وكان السفر الى باريس نعمة مزدوجة تمكنني من رؤية باريس وحضور مؤتمركم

سأخبركم صريحا برأى في موقفكم السياسي الحاضر : انكم تكابدون شدة عظيمة ، ولكن ليست كالشدة التي أتذكرها . وان ثبات الحزب الوطنى ثلاثين سنة على تحمل ضربات شديدة تذهب بالأخلاق والهمم من دولة كدولتنا — دليل على أن فيه العناصر التي لا بد منها للحياة ، وانه سيبقى بعد هذه المحنة ومحن أمثالها

سيأتى يوم الحرية ، لا ريب عندى في هذا ، ان حظ مصر رهن بجرأة بنينا ورغبتهم الشديدة في الاستفادة من الحرية ، فعليكم أن تثبتوا ولا تهنوا اذا اشتد عليكم حيف الانجاز . فانها شدة لا تدوم طويلا . قد سارت مصر شوطا بعيدا في سبيل الرقي ، وان قربها من العالم المدنى لينجيها مما يصيب ولايات آسية وأفريقية التعيسة . فهناك كل شئ مباح عند عشاق الحكم والسيطرة . وان جديرا بالاسف أن هذه الولايات في يأس من المعونة الخارجية ، لن ترضى أوروبا أن يزيد الظلم في بلادكم . لا تنسوا أن ظفر طائفة مثلكم لا يتاح بغير الفدية والاستشهاد . فعليكم الاستمرار على المنازعة بكل جسارة في

الداخل ، ورفع الصوت في الخارج حتي تستردوا حريتكم . وان لم يكن بد فوطنوا أنفسكم للارهاب السياسي والعقاب في القاهرة فلن يعدو هذا حدود المحاكم ، وتابعوا مؤتمراتكم في حواضر الممالك الحرة فستمحكم أوروبا حكمكم اذا عرفت حكم الانجليز وثباتكم

وأما نحن معشر الانجليز فسنخجل بعد من السيئات التي تقترفها في مملكة ليست لنا ، وسنمل من هذا الموقف الملل جدا ، هذا الموقف الذي تنقص فائدته كل عام ويزيد اخلاقا بشرفنا

الحقيقة هي : ان موقف الانجليز في مصر بعد هذا الاحتلال العسكري الطويل ليس أمينا . نعم ان فرنسا تخلت عن خلافها السياسي في القاهرة منذ ستة أعوام ، وان الدول العظمى قبلت هذا حين سكتت ولم تعترض ، ولكن ليس هذا الا اتفاقا موقوتا غير قانوني لا يزال القانون الدولي الأوربي يعد مصر من جهة السياسة ولاية عثمانية ، ولا شك أن أي ميل منا الى ضم البلاد لن يقابل بالرضى . وما بقيت الحكومة العثمانية فسيبقى هذا المركز ويبقى معه موقف انجلترا في وادي النيل مبهما مربيا

انا أنصح الذين لا يرضون عن رأيي في هذه المسألة أن ينعموا

النظر في خرائط دول أوربا التي على البحر الأبيض المتوسط فسيجدون فيها الأدلة الكافية

سيرون أن موقع مصر الحامية على قناة السويس أهم مواقع العالم وذلك بهم انجلترا وسائر الدول ولكن يضاعف هذا الاهتمام للدول التي في جوار البحر الأبيض ، فلا يصدق من يزعم أن هذه الدول ترضى بأن تجبى إحدى دول المحيط الأجنبية فتسيطر على بحرم ثم تبقى هناك على مر الزمان . فأنهم ان يفعلوا يخلوا بتجارهم ويعطوا لهذه الدولة دائماً مفتاح بيوتهم في الشرق وأبوابهم التي تؤدي الى بحار الهند . لن ترضى بهذا أستريا ولا إيطاليا ولا فرنسا وان تبلغ مجاملتهم هذه الدرجة . ومن الجنون أن يدعي الانسان غير هذا . ولا ريب أن ألمانيا ستتخذ مرفأ على البحر الأبيض . فهل ترضى اذن أن تترك لانجلترا التي تزاوجها في التجارة والتي تدعى التبريز على دول أوربا هل ترضى أن تترك لها موقعا عسكريا يسد طريق دول أوربا الى الشرق ؟ وجدير بالعناية هنا أن الدولة العثمانية القوية في جيوشها والتي تستعيد شبابها لن تترك مصر التابعة لها والتي لا يخفى عظم شأنها من جهة الخلافة . لا ! فان تبقى انجلترا وحدها صاحبة مصر في المستقبل ولن يخلو لها الجو في هذه الأرض أبداً ، وان تنتقل إلينا مصر مستعمرة

أو محمية أو مضافة . هذا هو المركز الذى يراه الخبير من بعد والذى
يقويه المستقبل

ثم أبين لكم سياسة إنجلترا الحاضرة . عندنا رجال يفهمون جداً
أن مركزنا الذى مضى عليه فى مصر سنوات كثيرة مخفوف بالمكارد
والمهالك . يعلمون أن هذا الموقف غير طبعى ولا يمكن أن يثبت .
ويبقى . ولو لم يدخل المال فى هذه المسألة ولم يخش ثورة الأمة
لتركت مصر منذ زمن بعيد

يقول خبراءنا العسكريون والبحريون اذا وقعت حرب بحرية
بيننا وبين أية دولة من دول أوروبا العظمى وكانت الأمة الساكنة على
شواطئ النيل عدوا لنا فى ذلك الوقت صعب البقاء فى مصر جداً
وكانت عاقبته المهالك وانجران . ثم قد ضللت الافكار العامة عندنا
فى المسألة المصرية من عهد بعيد حتى ظن أن وادى النيل كله ، لمكننا
وأن المحافظة عليه من فروضنا فليس هنا ناظر أو رئيس حزب يستطيع
أن يجهر بترك مصر ولو فى المستقبل البعيد ، فان ذلك يقع اسوأ وقع
عند الناس . ولما فقد الناس الجرأة على المجاهرة بترك التدخل فى مصر
وفهم أن الحرب الالمانية يمكن ارجاؤها كثيراً وقع رجالنا فى حيرة . لم
يدعوا الى تخلية مصر خوفاً من متخبيهم ، وعلموا أن بقاءهم فيها محال

فألوا الى طريقة وسطى قد اتبعوها منذ سنتين . ولاجل أن يأخذوا الطريق على العاصفة سعوا الى مرضاة المصريين وتحسين الحال الحاضرة لهم . وكان لورد كرومر « الذى كان رأيه الفائل بحسن ظنه بالايام » يرى أن فى الامكان تأليف حزب انجائزى يبقى فى مصر مدة طويلة ، بل تأليف فرقة تنتسب اليه وتسمى باسمه . ولقد كان فى ذلك جد مغرور . ولقد احسست انه كان الى سنة ١٩٠٣ يريد نظارة السراى فى مملكتكم علي أن تكون ارثا لاسرته . وكان كرومر يحسب أن خلاف الحزب الوطنى ليس الا مكيدة يديرها الخديو وتؤيدها استانبول . وكان يظن أن قلوب المصريين معه . وقد اشتط هذا الرجل فى هذا الرأى الأفنى حتى قال بعد زوال الخلاف الفرنسى من القاهرة بمعاهدة سنة ١٩٠٤ — انه مستعد لاعلان أن لا حاجة الى الجند الانجائزى فى مصر ، وانه يستطيع ادارة الحكومة المصرية بجيش مصرى انجائزى وشرطة انجائزية وطنية . وكان لابد من مشكلة العقبة ليفهم كرومر أن الجيش متحفز للعصيان الفجائى كما لزدت حادثة دنشواى الجنائية الجنونية ليعرف بغض الاهالى وعداوتهم . وكان من وراء هذا خزيه وخيبة الله فتألم المسكين ويثس حتى استقال ولاجل التسلى والتعزى قال ان هذه السيئات مكيدة يديرها

عبد الحميد من أجل الاتحاد الاسلامى

فى مايو سنة ١٩٠٧ كانت سياستنا فى هذا الموقف .
ماذا أقول لكم عن سير ألدن غورست ؟ الحق أن مجيئ
غورست بعد كرومر كان من عمل الملك ادوارد المتوفى ، فقد كان
غورست منذ سنين يقوم بخدمات الملك الخاصة . وإذا لزم البحث
عن سبب آخر لهذا العطف أمكن أن يقال ان الادارة المركزية
كانت فى حيرة من تسلسل الموظفين . ولأجل انتهاء هذا اختارت
ألدن غورست المحبوب فى قصر عابدين . وقد أخطأ الناس فى مصر
فى زعمهم أن الموظف الجديد سيتخذ سياسة جديدة . وكان يقال ان
هذا الموظف مكلف بان يعود البلاد الحرية . وانه قد آن انجاز الوعد
والجلاء . وكان هذا ظنا قريبا لأن الوزارة تغيرت فى لندرا وتولى
غلايستون « الذى هو من أنصار حرية ايرلندا » زعامة حزب الهوم
رول . ولكن كان هذا كله محض خيال . وأنا أؤكد لكم أن
وزارة الخارجية لم تفكر فى هذا الشأن دقيقة واحدة : ولم يكن ما
أوصى به غورست عام ١٩٠٧ الا الاتفاق مع الخديو وخلق الاسباب
لفصله من الحزب الوطنى الذى يطلب الجلاء ، ثم اقتفاء أثر كرومر
وكان يظن أنه اذا أخذ الخديو الى جانبنا سهل أخذ الآخرين فتعيد

انجلترا بالكلام اللين وارضاء الاهالى — سلطاتها الذى فقدته في مصر — ويحبها الناس في وادى النيل . وكان يراد أن يكون الملك ادوارد خلفا للسلطان على أنه حامى الاسلام وامامه وأن يعرف بهذه الصفة في الهند وبلاد العرب وأقوام الشرق السامية لاني مصر فقط فكان هذا يكون خلافة جديدة غير منظمة ، وكان الخديو يحوز لقب أمير المؤمنين من حيث العنوان ثم يكون طوع أمر الملك دائماً . وأما تقرير حكومة شورية في مصر فهذا — تعرفون — لم يكن موضوع بحث قط . حتى لقد أرسل الملك كتابا بخط يده الى الخديو الذى أعلن حبه للشورى يأمره أن يغيض النظر عن هذا الأمل . وإنما كانوا يفكرون في أن يعطوكم شكل « برلمان » صغير بتوسيع العمل التافه لمجلس شوراكم الحقيقى ، ولم تكن وزارة الخارجية التى لم تتقدم سياستها منذ سنة ١٨٨٢ بمنح مصر الحرية . تعاملون ان الدخول المسلح في أموركم سنة ١٨٨٢ كان سببه انكارنا الدستور المعلن في هذه السنة : وان القصد من التداخل كان إعادة حكم الخديو وسلطانه مطلقاً حراً فكيف تغير وزارة الخارجية الانجليزية رأيها بغتة بعد الخيل والمكائد والظلم والعسف ثمانى وعشرين سنة ، وتنتصر للدستور الذى يكون أول عمله طلب الجلاء ؟

ولقد خدع الذين ظنوا في طبع غورست ميلاً الى السياسة الحرة وأنه يسير سيرة تخالف سياسة كرومر في مصر . سيرالدين غورست

لا يكره الشرق ، فهو يتكلم بالعربية ، وهو محبوب وليس عنده غاظة
البريطانيين مثل سلفه . ويرجي منه أن يحسن معاملة الوطنيين معاملة
خاصة به .

ولكن بين هذا وبين تأييد سياسة الاستقلال الوطنى بون بعيد
فهو من أنصار الامبراطورية بادية بدء وقد ورث من أمره لورد
كر و مر كل قواعد سياسته اذ أمضى فى صحبته ستة عشر عاماً . وان
الذين وكأوا اليه أمر مصر ليعلمون العلم كله انهم اذا أرسلوه الى مصر
جعلوا حكومة الاحتلال فى الظاهر على حال أقل تنظيراً ، حتى يمكنوا
احتلالهم فى مصر .

ليس غورست أقل من سلفه عصبية للاحتلال ، وانما الفرق
الوحيد بينها أن هذا يصل الى ما يريد بزخرف القول وخداع الكلام ،
وذاك يؤثر الارهاب والتهديد

انظروا كيف قام غورست بالتوفيق الذى كلف به بعض القيام ،
واستطاع أن يجذب الخديوى ولوفى الظاهر الى جانبه وأن يجمع
حوله فرقة انجائزية صغيرة تظاهره طمعاً فى المآرب الشخصية . وكان
طالعه فى أول الامر سعيداً ، فقد فقد الحزب الوطنى رئيسه العظيم
مصطفى كامل باشا . وكان من هذا بعض الضعف فى جهاد الوطنيين .

حتى كان يستطيع أن يرضى الناس بضرب من الحرية ، ويرجيء المطالبة بالاستقلال الى المستقبل ولم تقع ثورة الاستانة . ومما يوجب السرور أن ثورة الاستانة ونجاح أنصار الدستور من حزب تركيا الفتاة في يوليو سنة ١٩٠٨ قد أنجى مصر مما دبّر لها غورست فإن نوال أمة اسلامية متحدة متينة حريتها دون معونة من الخارج منح جارتها مصر الجراءة والاقدام وكان سبيلا الى رد صدقة الحرية الكاذبة التي تماطل بها انجلترا . أجل ان كل مسلم مصرى نادى بالجللاء فخاب رجاء غورست وسير ادوارد غراى ، فعمدوا الى الكلمات المزوقة والالفاظ الخلابه فما رضى مساهم مصر بمجادلة في بقاء الاحتلال الانجليزى واشتدوا في طلب الجلاء شدة لم تعهد من قبل وكان كل ما عدها مساوئ عندهم .

ولسنا ندرى متى عرفت وزارة الخارجية خيبة سياسة الائتلاف التي تريد ظفر انجلترا وتغلبها . كانت سياستنا في بدء الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ تطمع ان تتال من الحكومة الجديدة موافقة على احتلال انجلترا في مصر ، ومن اجل هذا تقربت الى الصدر الاعظم كامل باشا ، ولكن سقوطه ذهب بآمال الانجليز ، ثم زال نفوذنا كله حينما وقعت ثورة اول سنة ١٩٠٩ ، ففكر الانجليز في وسيلة اخرى

ترضى الناس فى القاهرة بسياسة الاحتلال . ولما رأى غورست أن
الجماعة الصغيرة المحبة للانجليز انقضت من حوله دعاه رأيه السخيف
الى ان يستعمل الاقباط كأنه يحسب ان هؤلاء يستطيعون أن يحفظوا
الموازنة امام عداوة الوطنيين فاجلس بطرس باشا غالى فى رئاسة الوزراء
واعلنوا بكل طنطنة أن هذا الرجل أول مصرى «صميم» تولى رئاسة
النظار . ولم يكن هذا الا عملا خائنا لايقاع الشقاق بين الفريقين
الذين فى الحزب الوطنى ، والا ضربا من تطبيق حكمتنا الباطلة المتبعة
فى انجلترا وهى التفريق بين الرعية لاتمكن من الحكم . وقد نجح
هذا التطبيق مع الأسف ووقع الشقاق والنفاق بين شبان مصر ، مصرأتى
تحتاج اقواها كلها ينهرها الخلاف الدينى فى كل وقت . وكانت عاقبة
هذه السياسة المحزنة قتل بطرس . ولكن لهذا القتل نتيجة حسنة :
فقد تبين منه حقيقة موقف الاهالى ، ووضح أن عداوة المسلمين
لا تزول وتجلت للعيون الهوة التى بين عواطف المسلمين وسياسة انجلترا
الحاضرة . وبعد فقول بعيدين من مهالك الغرور والخدع ان سياسة
حكومتنا فى لندره صرحت بعادوتها للمسلمين ، فهى لا تريد بهم
خيرا لا فى مصر ولا فى استنبول ولا فى بلاد العرب ولا فى ايران

ثم ظهرت مكائد روزفلت وغراى وأنا اسميها مكائدا لانه ثبت

علنا أن وزارة الخارجية في لندره كانت تريد الانتفاع بهذا الممثل
الهزلى الاميركي المنحوس المقوت لاجل تهيئة الافكار الحرة العامة
للدور العكسى الذى سياعب في مصر . اذا اردتم أن تفهمها هذه
المسألة تماما فاذكروا أن المبشرين الامريكيين البروتستانت كانوا من
وراء رئيس الجمهورية السابق ينطقون بسبىء الاقوال لينفروا القلوب
من المسلمين ، وان اصحاب المذاهب المسيحية الانجائز كانوا كهؤلاء
لا يقصرون في تأدية هذا العمل المقوت ومظاهرة سير ادوارد غراى
وهذا يفسر الحكمة فى التجاء هذين السياسيين الى الحياة النصرانية
للدفاع عن انفسهما بعد وفاة الملك حين خابت خيالات ادوارد غراى
فى التغلب على المسلمين . وقد عرف ادوارد غراى خطبة روزفلت
التي القاها فى «منشن هاوز » وارتضاها قبل القاها ، ثم اتخذ ناظر
الخارجية من بيان روزفلت حجة فى الخطبة التي القاها فى نادى العوام
ليثير الناس على المسلمين .

ثقوا أن أمل ادوارد غراى فى هذه الايام لا يختلف عن أعراض
روزفلت ، وبعد فان سياستنا عدو لرقى الاسلام فى العجم وتركيا . وبعد
فلا تعتمدوا على سياستنا . وانى أنتهز الفرصة لأدعو الى اليقظة جماعة
تركيا الفتاة ومسلمى العالم جميعاً لا الوطنيين المصريين فقط . هذا ولى

نصيحة واحدة أنصحها لكم : وأنا أُنصحكم هذه النصيحة آسفاً جد
الاسف لانى انجليزى أحب وطنى ، وان شئت وقبحت السياسة
الظالمة التى تسير بها مملكتى فى الشرق فانى مع هذا انجليزى وطنى
ولكن واجبى فحرم يضطرنى أن أقول لكم هذا خارجاً على العواطف
العامة لاهلى وطنى . وأنتم أيها الوطنيون المصريون اذا ظنتمونا غير
أعداء لكم فلا غاية لحقكم . ان اجماع المحافظين والاحرار على
تصويب كلام ادوارد غراى لبرهان على أن انجلترا ان تتبع معكم
خطة شريفة وان تنجز لكم ما وعدتكم من قبل . قد تركت
المحافظة على الوعد اليوم فلا تترقبوا منا غير سياسة الظلم والعسف
وسياسة الظلم . سنسلبكم اموالكم ونفسد اخلاقكم ونهزل بكم الى درك
الهند التى ابتليت بان تكون تابعة لنا

ليت شعرى هل يبلغ كلامى مسامح صاحب الدولة والنخامة الخديوى
باشا . انى أتمنى أن ألفت نظره فيذكر وطنيته القديمة ، وظالما أريته الحق
البالغة على صدق اخلاصى للمصالح المصرية . وكان اذ ذاك فى ريعان شبابه
وكان يقف جسورا أمام لورد كرومر . أريد أن أقول ايقاظا للجناب
الخديوان عداوة انجلترا لم تضعف الآن ولم تتأثر حديثها اذ اختفت ،
وانها لتغرى بكم غورست وغراى ووزارة الخارجية فسيقعد عباس حلمى
باشا خديويته فى أسوأ حالة وسيرى الخديو خيانة هؤلاء واستهزاء

هم به ثم لا يكون له عرش مملكة حرة ولكن عرشاً كعروش راجات
الهند التعساء الذين يعيشون في ضنك دائم

وأوجه هذا الرجاء الى صديقي القديم الشيخ على يوسف وسائر
المصريين المخدوعين بسياسة الاحتلال ، فانصحهم أن يحذرونا .
نحن لا نريد بكم خيراً ابداً ؛ ولن تنالوا منادستورا ولا حرية مطبوعات
ولا حرية تعليم وتربية ولا حرية شخصية انما نريد ما دهننا في مصر
ان نصرف مملكتكم لمنفعة النساجين في منشستر ، واحياء الامبراطورية
الافريقية التي نتجهز لها في السودان من اموالكم ، وتمكين تجار الانجليز
واليهود منكم اكثر مما كنوا دون اتفاق معكم ولو في الظاهر . ثم
نترككم مصفدي الايدي والارجل امام مطامعنا التجارية . وبعد
فلستم معذورين ابدا ان بقيتم علي حماقة حسن ظنكم بنا . تلك افكارنا
صريحة ظاهرة فلا تستمروا في تخريب بلادكم واحكام اسرها بأيديكم .
وتلك نصيحتي للحزب الوطني : اثبتوا على العداء والمخالفة في
جراءة وصراحة . اتحدوا واتهزوا كل فرصة واسعوا لانهاء الحال
الحاضرة في مصر حتى تقف معكم موقف العدل وتخرج جنودنا من
بلادكم وننتهي عن التدخل في امورك . لن تفقدوا شيئا اذا نهجتم
هذه السبيل . نحن غرباء في دياركم وانتم محقوز في طلبكم وفي مآذرتكم

ان تناولوا حقكم ذكروا الناس كل حين بكل وسائل الشر أن انجلترا
ليس لها حق ان تحكمكم ، وانكم لا تريدونها ابدا ولا تحتاجون اليها
حامين او مستشارين او موظفين . لا تمكنونا ان ندعي غير هذا ،
وصرحوا لنا بالخصومة علانية ولا تهابوا على الثورات التي لا فائدة
منها وتوصلوا بالمعاملات التجارية الرسمية شأن كل الامم التي يحكمها
الاجانب ، ولكن ابعدوا من الاتفاق معنا . عندكم كثير من الاجانب
ليسوا انجليزا فأحكموا الاخوة والمودة بينكم وبينهم ثم عاملونا كما تعاملوهم ،
واقفوا مع كل انسان ولكن لا تفكروا في الائتلاف معنا وحدنا . ان
اضاعة الزمن في هذا السبيل عار ، وان الثقة بشرفنا وانسانيتنا بعد
اليوم لمن المضحكات . لن تجددوا منا الا ازدياد أعمالكم هذه ومساعدكم
لا ! انكم تستطيعون ان تقنعونا من جهة واحدة ذلك أن تفهمونا ان
احتلال بلادكم يؤدي لنا المصاعب والمتاعب في السلم ويجبر علينا اعظم
المهالك في الحرب فان امكن الرؤوس الانجليزية الجامدة ان تفهم أن
الاحتلال لا فائدة له فهناك نعرف بحقكم ونترككم ، وقبل ذلك
لا نظفرون بآمالكم

وبعد فأوصيكم بأن تحكموا المودة (الى الدرجة الاخيرة) مع
الأتراك الذين هم مواطنوكم واخوانكم في الدين . ان السلطان مكلف

بالمحافظة على مصر بانها جزء من امبراطوريته وله الحق في هذه الحماية وهو مضطر أن يدافع عن دينكم لانه الخليفة ، ولكم ضمان الفرمانات لحريةكم الادارية . اتفخوا جهدا استطاعتكم من انكم جزء متمم للدولة العثمانية فلن يكون من وراء هذا أى ضرر لكم . وسيتفق السلطان في المستقبل القريب مع دول أوروبا المسلحة ويدعو انجلترا الى انجاز وعدها ، وهنا لكم تترككم انجلترا مع غض النظر عن منافعها التجارية والمالية ، وعن طامع حزب الاستعمار ، وعن القوة الانجليزية البرية والبحرية . فاذا جاءت هذه الساعة وكدت انجلترا صداقتها معكم وأدت خيراً كثيراً ثم ذهبت

عجل الله هذا اليوم حتى نراه باعيننا
ذلكم الداء الدائم من صديقكم الذى يفديكم .
ديلفريد سقاون باننت

نيوبلدين بليس
هورشم سيسكس

١٣ سبتمبر سنة ١٩١٠

السنة الثامنة والعشرين من اثل الكبير

استطراذ

حق الاستعمار

— فقرات من كتابنا « رأي في القانون الدولي » —
كلمة من كتاب بونفيس :

« تدخل دولة في أمور دولة أخرى لتمنحها حظاً من المدنية لا يجوز ككل تدخل آخر ، لأنه يمثل سوء القصد أمام استقلال الدول . يعارض باونجلى في هذا ، ويرى أن اللام المتمدة حقاً في القيام على القبائل الوحشية والهمجية وتربيتها . ذلك الرأي الذي قد يافت أنظار بعض الناس لا يمكن أن يكون صواباً ، لأنه وسيلة الى الاعتداء على حرية البشر . والحق أن المؤلف المذكور يرى أن يسوس المدنيون غير المدنيين بغير شفقة ولا مرحة . وعلى كل حال فالتدخل السامى من أجل نشر المدنية مقبول :

ولكن ليس في العالم أمة لها الحق في ادخال قوانينها بين القبائل البدوية أو الوحشية كما قال هنتروا صاب . اذا أبيع الدخول في المسائل الداخلية لملوك الزوج في افريقية باسم الانسانية فلماذا يعاب تجاوز أوروبا حدود فرنسا سنة ١٧٩٣ ؟ يجب على كل جماعة وكل فرد يريد ان تراعى بحريته أن يحافظ على حرية غيره . »

قلنا هذه النظرية التي يصوبها أكثر المؤانين لئلا نكون قد
وضعنا قاعدة من تلقاء أنفسنا . لكن العمل يخالف هذه النظرية
تماماً ، وإذا استثنينا النمسا والسويد والنرويج وحكومات البلقان لم نجد
من الأمم الأخرى من ترى أمة لا تقدر على الدفاع في أي أرجاء
الأرض إلا أخذتها في أسرها باسم حق الاستعمار المزعوم . هذا
الأسر كما يظهر في شكل احتلال مملكة وحكمها علانية يظهر في شكل
حماية وقد يجد مظاهراً غير هذين كما في مصر . ولا تعد الدول مستعمراتها
أجزاء من وطنها بل تعدها مالا مباحاً وملكا للوطن . وليس قصدهم
تهذيب الناس في المستعمرات أو إرشادهم إلى طريق المدنية ، فلو كان
الأمر كذلك لرأينا الفرنسيين على مكائهم من المدنية قد ربوا
وأصاحوا على الأقل خمسة أشخاص أو عشرة من الوطنيين في
الجزائر وتونس .

لم يقتصر ما يفعله الانجليز في الهند وأفريقية والمستعمرات كلها
وما تفعله فرنسا في تونس والجزائر خاصة ، وما تفعله البلجيكي في الكونغو
— على الظلم والجور ، فان التلال القائمة من الأيدي المقطعة —
أيدي أهل الكونغو الذين لا يوفون ما يسخرون فيه من الأعمال ،

والقبائل البريئة التعة التي يصرعها المتراليوز ورساعس « دمدم »
في الصحراء الكبرى ، ومحاربة الصين لأجبارها علي قبول الافيون ؛
وغير ذلك وغير ذلك أمور توجب العار والشنار والخزى الأكبر
لبنى البشر .

انا لنستطيع أن نقول هنا في قاعدة لامثنوية فيها ان الاوريين
لم يهدوا الى اليوم أمة متأخرة الى طريق المدنية ، وكذلك نقول في
قانون لا يحده الاستثناء ان الاوريين أخر والاقوام المذكورة كلها
تأخيراً بيناً ، وأخرجوهم مما كان لهم من المدنية .

لا نريد هنا أن نقص الخدمات الانجليزية في مصر فليفضل
المرتابون في هذا بالرجوع الى خطبة صديقنا محمد فريد بك رئيس
الحزب الوطنى المصرى ، وقرارات مؤتمر بروكسل الذى كان مجتمعاً
في عهد قريب .

لانطيل ولا نخرج من موضوعنا . فلنترك بيان المظالم التى يقتربها
الاوريون فى المستعمرات فقد قيل وكتب فى هذا الامر .

انما تكمل أمة بوسائلها هي ومن تلقاء نفسها اذا نالت حقوقها
الطبيعية . نعم ترى فى البلاد المغلوبة على أمرها آثاراً من الاصلاح
والتجديد : فالسائح الذاهب الى الجزائر واسكندرية ويمباى ، وبتافيا

ومانيلا يشاهد أبنية شاهقة ومصارف للاموال عالية ، وتراماً كهر بائياً وشوارع منظمة ولكن هذا كله عمل الاوربيين وملكهم . أما الوطنيون البؤساء فتسلب أملاكهم ويحرمون حقهم في الحرية والملك والسياسة حرماناً لاعادة بعده ولارد .

أراد الاوريون أن يمكنوا لانفسهم ويثبتوا سلطانهم أمام عصيان الأجيال المقبلة فحوا المعارف بادى ذى بدء . يقول المدنيون للضعفاء « كونوا خدمة وفلاحين وعمالا عقلاء هادئين لا يصخبون ولا يريدون الصخب ، ولا تطمعوا أن تكونوا موظفين ولا من أرباب العمل الحر ، فاستم في حاجة الى ذلكم . وان تريدوا المعلمين والمحامين والأطباء الخ ... فنحن نرسل اليكم مافيه كفايتكم »

ان حكومة المالين المسماة (كابتاليزم) لاتعيب فكرها بالاعمال الانسانية أو محبة الحق بعد تكثير أموالهم . ولذلك أثقلوا كاهل الدول وسخروا أهالى المستعمرات تسخير الدواب . ثم ربحوا من عملهم وسعيهم وكدهم ومصائبهم وحرايبهم . وقد ظنوا أن انتباه الأهالى الى حد ما مقدمة لهدم ما شادوه هنالك فاجتهدوا جهد قوتهم في أن يبقوا عيون الناس مغمضة ، وألا يمكنوهم من الحركة . هكذا أودت مدينة أوربا بقباثل الأوقيانوسية وأمر يكلواسترياليا

المتوحشة ، ثم استعانوا بنوع من « الكلاورفورم » لمنعوا الأقوام التي تقرب منهم في المدنية أن يبلغوا درجة تمكنهم من المزاحمة في المستقبل .

وكذلك انحط معظم البشر نتيجة حق الاستعمار المزعوم المشؤم وحرروا حقوقهم الطبيعية والمدنية والمالكية والسياسية

ان هذا البغض ، بغض المدنية الذي يحرك العالم المتمدن وهذه الغاظة والقسوة جنائية للهيئة الاجتماعية الحاضرة التي لا تغفر . أولئك الذين غيروا وجه الأرض وأظهروه في صورة لم تعهد من قبل . والذين تقبوا اتفاق « سانغوتار » و « مونسينز » والخافرون قناة السويس والمغبرون العالم بأسلاك التلفون والتلغراف وخطوط السكك الحديدية ، والمالئون سطح البحر بالدردنوطات وعبارات الاطنطى العظيمة ، والكاشفون ما لا ينتهى « بالمكرسكوب » و « التلقوب » والبالغون هذه الدرجة فى الصناعة والاقتصاد والفنون والآداب والكيمياء والطبيعة والطب والحقوق — الانجليز والفرنسيون والهلنديون والبلجيكيون . ألم يستطيعوا أن يربوا هذا القسم العظيم من البشر الذى ابتلي بأسرهم ؟ .

ليت شعرى كيف نسمى هذه الغيرة الشديدة والحرص من

المتدنين على زيادة تأخير المنحطين ، وهم قادرون كل القدرة على تمدينهم ؟

ما كان لدولة أن تتخذ مستعمرات لها كما قلنا آنفاً ، البلاد لأهلها فقط ليست مالا مباحا ، ولا يمكن أن تكون هذه الملايين التي لا تباع ولا تشرى بضاعة و سلع لتجار أوروبا

إذا ابطالنا اليوم حق الاستعمار كما بطل الاسر الذي كان في القرون السالفة ، وأعيد لأهل المستعمرات حقهم فإن يبقى ما يمنع رقيهم بعد ، ولا بد ينالون نصيبهم من المدنية شيئاً فشيئاً اتباعاً لقانون التكامل وإذاً يتمدين العالم كله وتزول الوحشية والبدوية تدريجاً أثراً لا تنصير لحق علي الظلم .

وقصارى القول ان أوروبا الحاضرة سد في طريق المدنية منيع والعجب انها برقيها المدنى تمنع انتشار هذه المدنية رعمومها .

ان اتيح لدولة أن تستعين بغيرها في طور تكامها فان تستطيع أن تتقدم بغير وسائلها وعزائمها وآمالها . مثال ذلك : اليابان . وهما بذلت دولة مدنية لتعمير بلاد متأخرة ؛ فاذا حرمت أهلها الحرية ومنعتهم اظهار قوتهم وعزائمهم فانهم يظلون في تأخرهم . مثال ذلك أهالى مصر الاصليين

ان التاريخ ليثبت أن دولة لا تدخل دائرة المدنية بإقتباسها وتقليدها عادات أمة مدنية وأدابها وأساليبها وقوانينها . حتى اذا هاجر جماعة من مملكة راقية وتوطنوا ارضا وراء البحار والفوا هنالك جماعة جديدة ، فان مدنيتهم تختلف عن مدنيتهم السابقة ولا ريب . المدنية تختلف باختلاف الجنس والاقليم والزمان والبيئة . وأن الاختلاف بين مدنيتي "الانجليز واميركا" وبين مدنية الفلمنك ومدنية ترانسفال واورانج ، وبين مدنية فرنسا ومدنية كندا - ظاهر جدا لا يحتاج الى بيان من أجل ذلك يرتبط رقى الامة برقى عاداتها واخلاقها وقوانينها وميزاتها . ثم العادات والاخلاق والقوانين والميزات لا تكمل بالوسائل الاجنبية . لامرية أن الناس ينتفعون ويستفيدون من المعارف الاجنبية والمدنية الغربية ، ولكن ليست الوسيلة الى الرقى أن تنسخ هذه الاشياء كما هي . مثلاً : اذا اريد تكميل العالم الهندى فليس يجدى فى ذلك ترك مميزات الهند واخذ قواعد أوروبا وأصولها من غير تبديل ، بل لابد لاجل هذا أن ترقى المميزات الهندية

السياسة الامبراطورية

نظرات في سياسة العالم

— بريطانيا — الولايات المتحدة — روسيا — فرنسا — اليابان —
المانيا والاتفاق الثلاثي —

لا ريب أن أكثر الملوك رعية وأكثرهم تصرفا في أرجاء الكرة
الارضية اليوم هو ملك إنجلترا . الشمس لا تغيب عن املاك هذا
الملك وثلاث البشر تقريبا اسارى الانجليز . واما من جهة المال فالعالم
يأخذ عياره من لندره ، ولندره أكبر مرا كز العالم الآن وكذلك
كانت في التاريخ . وكأن هذه المدينة قطب مدني يجذب كل العالم اليه .
إنجلترا اقوى الدول مجرا والدفاع عنها يسير من حيث موقعها الجغرافي
ولست إنجلترا في المدنية وال عمران دون فرنسا والمانيا . وهي من
حيث « الارستقراطية » في الدرجة العليا

قال شميرلين نصير نظرية (بريطانيا العظمى) في لندره سنة
١٨٩٥ اذ اخذته العزة والعظمة هذه الكلمات :

انا أوقن بعظمة هذا الجنس ومستقبله الوضاء — جنس الانجلو —
ساكسون ، حاكم العالم وأكبر الحكام الذين عرفهم التاريخ — هذا العنصر
الذي لا يغير تأثير الاقاليم عظمته وثباته ، واعتماده على نفسه وتصميمه في

رأيه . ولا ينال من صفاته اى تبدل ابدا . هذه الامة ستكون اكبر
قوة حاكمة فى مستقبل التاريخ ، واعظم عنصر فى مدنية العالم ؛ ولن
يعترض طريقها اى مانع ، انى لوائق لمستقبل هذه الامبراطورية
التي تسع العالم — هذه الامبراطورية التي لا يفكر فيها انجليزى الا
هزته العظمة والكبرياء .

وزعم الامبراطوريون أن امكان انجلترا يضطرها أن تكون
حاكمة العالم ، وهي اما أن تكون اول امة تسيطر على الانسانية واما
أن تصفح عن استقلالها لاعن مستعمراتها فقط .

تلك نظرية « بريطانيا العظمى » — Greater Britain ولكن
ينبغي ألا نخدعنا المظاهر ، فدولة انجلترا وأمتها بلغت درجة الكمال
القصى واجتازت هذه الدرجة وهى اليوم فى طور النزول . قد وجدت
انجلترا فى العصر الماضى كل العالم هملا دسيماً ؛ فاسبانيا والبرتغال
وفرنسا كانت قد اصابها بعض الهرم فاستولت انجلترا على الهند
الكبيرة التي فتحتها فرنسا ويلي امبراطورية كندا بل دخلت جزيرة
فرنسا نفسها تحت تصرف انجلترا بسهولة . وكذلك قامت امبراطورية
المستعمرات الكبيرة فى افريقية .

وقد فتح لها افريقية كلها اطلاق المدافع على الاسكندرية بعد
ثورة عرابى ، وظفرها فى التل الكبير . وقد دكنها لوينجستون في

مواقع كثيرة من القارة السوداء ودخل البحر المحيط الهادى فى دائرة سلطانها يسيراً . وقد استفاد الانجليز فائدة عظيمة من امبراطورية هذه المستعمرات العظيمة واستأثروا بتجاريتها . ولكن تمكنهم من الثروة بهذه السهولة وتنبه أهل المستعمرات قد غير الاحوال .

ملك التجار الانجليز أموالاً عظيمة فشرعوا يحقرون التجارة . ولم يكن لهم من قبل مزاحم فى التجارة ثم ظهر الألمان والاميركان فى المزدحم ، وسيقت الى الاسواق بضاعات كثيرة تفوق بضاعة الانجليز وهم ثابتون على محافظتهم بل على عنادهم حتى لا يغيرون أصناف ما يصنعون . وقد بلغ من أمر الالمان والاميركان أنهم أصبحوا يغلبون الانجليز حتى فى مناقصات انجلترا الرسمية ؛ وجاء الفولاذ من اميريكيا الى انجلترا مملكة الفولاذ . وقد رفع القناصل فى كل الاقطار أصواتهم وأرسلوا التقارير تخبر عن سقوط انجلترا الاقتصادى فى كل أسبوع ولكن هبهات : ما أقدم اصحاب المصانع الانجليزية والمصدرون على اصلاح الامور .

كان التاجر الانجليزى يعمل فى متجره ثمانى عشرة ساعة متتابعة وياً كل طعامه فى ثمان دقائق قائماً على رجله ، وقد خلفه ابنه الآن فى تجارتها . ولكن الشاب صاحب الثروة الكبيرة لا يرى نفسه مضطراً

أن يجتهد اجتهاد والده . وقد جعل تجارته « شركة مساهمة » وتركها الى المدير . أما هو فلا يترك فراشه قبل الظهر ولا بدخن من اللفافات (السجائر) ما ينقص ثمن علبته عن خمسة وعشرين فرنكاً ، ولا يتواضع ليشرب مادون أعلى صنف « برغونيا » ، ويغير زيه ثمانى مرات فى اليوم ، وقد اعتاد أن يستقدم معشوقته من باريس ، ثم يذهب فى كل أسبوع الى متجره مرتين أو ثلاثاً يوقع فيها بعض التوقيعات ثم يفر الى شهواته وملذاته .

وقد نال أهل المستعمرات التى يسكنها الجنس الاوربى حرية الادارة الكاملة وليس لانجلترا هنالك من الحقوق الا ما يتصل بالسياسة الخارجية ، وأهل البلاد هم الذين يديرونها ، وهم لا يفرطون فى شىء من استقلالهم حتى أن انجلترا لا تجد فى المستعمرات سهولة فى الجمارك . فالمانيا مثلاً تعامل بعض المستعمرات الانجليزية أكثر من انجلترا .

والامبراطوريون المتنبهون لهذا السقوط يفتشون عن وسائل مصطنعة تضمن لهم استمرار سبق . وقد استهواهم خيال توحيد المستعمرات وكان من هذا حرب الترانسفال ثم لم يظفروا بأية نتيجة والحق انه لا يكون تفوق صورى مصطنع وان كان فما يكون ذا بال ولا يبق .

من أجل ذلك تهرم انجلترا وتفقد تلك الارادة التي قذفت بها على الهند أول مرة ، فقد أصابها الكبر مثل اسبانيا وفرنسا ؛ وتلك حال يعرفها رجال الانجليز فهم لا يتشبثون بمطامع جديدة في السياسة وانما همهم الوقوف في سبيل الهزائم ، وارجاء الاحتضار بقدر الامكان وقد غير موظفو المستعمرات سجاياهم . فأقصى أملهم أن يكسبوا الاموال ويرجعوا الى لندره علي قدر ما يمكنهم من الاسراع

ولا تزال انجلترا منذ ربع قرن تحارب من أجل المحافظة علي مستعمراتها ، في مصر والافغان وجهات النيجر وبرمانيا وزيلندا ، ومملكة اشانتي وفي السودان والترانسفال . فبريطانيا التي تقف موقف السارق والغاصب تعيش عيشة مزعجة وراء البحار

ثم هي قد اسخطت ايرلندا ، ولا يزال اولاد ايرلندا المنكودين يهاجرون كل عام افواجا الى الدنيا الجديدة فيؤلفون هنالك عناصر جديدة كلها عدو لانجلترا . ومع هذا يظهر للمستعمرات اصحاب يطمعون فيها: الروس يطمحون للهند والامريكان ينظرون الى كندا وقد ظهرت في افريقية مسألة فشوده وعسي أن تظهر حوادث تشبهها كانت الدول الاخرى نائمة بعض النوم قبل وكانت انجلترا وحدها قوية متيقظة . أما الآن فقد استيقظت المانيا وروسيا وامريكا واليابان

وهامى ايطاليا تظهر علامات اليقظة . فبقى جيوش انجلترا وأساطيلها في جولان مستمر .

وعلى كل هذه المهالك لاتزال انجلترا شرهة كلما اكلت زادت شهوتها ، فقد طمعت الى العراق من طريق الكويت ، وإلى اليمن من جهة عدن ، وللمكة المكرمة من ناحية مصر والصين من طريق وای — های — وای . والانجليزى اليوم « رومانى » فهو يحتقر التجارة احتقار الرومانى الذى استغنى .

we are not a nation of shapxykeepers.

« لسنا أمة مؤلفة من أصحاب دكا كين » هذا مثل انجليزى يبين هذه العظمة والغطرسة . قد صار « جون » يستنكف أن يكون بقالا فقد أصبح من أصحاب المتاجر العظيمة . جون يأخذ مرتباً مدهشاً من خزينة الهند بينما يموت ملايين الفقراء فى الهند جوعاً ثم يلعب « بولا » او « تنس » أو يخرج لصيد النمر

الخراج ينقص والنفقات تزيد ، ومن وراء ذلك حيرة عظيمة جداً حتى ليريدون وضع قوانين محافظة مكان قوانين حرية التجارة التى يعيها الامبراطوريون من الانجليز . انجلترا لاتنفق من ربحها ولكنها تأكل من رأس المال ، وقد صرح بذلك كثير من الانجليز منذ سنتين .

من أجل ذلك كله غضت إنجلترا نظرها بعد حرب ترانسفال عن «طامعها في سياستها ورجحت درء المفسد علي جلب المصالح وعزمت أن تقال من أعدائها وتكثر من الأصدقاء ، وقبل عشرين سنة عقد ميسو دلکاسه ولورد لانسداون - الائتلاف المسمى «الاتفاق الودي» (Entente cordiale) الذي كانت نتيجته حرية إنجلترا في مصر وإطلاق فرنسا في مراکش ، وأنه لاتفاق بعيد من حقيقة المودة والائتلاف . تستطيع فرنسا أن تعين إنجلترا بجندها البري ولا تستطيع إنجلترا أن تنزل جيشها للدفاع عن فرنسا وقت الشدة لأنها لاتملك جيشاً برياً

لإنجلترا مزاحمان عظيمان : روسيا والمانيا وكانت فرنسا منذ عصور عدوا منافسا للإنجليز. فلما ساءت حال الدولتين لم يبق داع إلى المزاخمة وعقد الاتفاق الودي وظهر المزاحمان الجديدان .

لما شغلت روسيا في حرب الشرق الأقصى وماتبعها من الثورات الداخلية رأت إنجلترا الفرصة سانحة وسعت في ضم روسيا إلى الاتفاق الإنجليزي الفرنسي ولم تكن حكومة لندره مخالصة في ذلك فان السياسيين في لندره يعلمون أن روسيا لن تنفض يدها من الهند ومملكة آسيا ولكن كانت هـذه السياسة ملائمة للقريقين فتركت

انجلترا روسيا حرة في ايران وفي تركيا عسى أن ترجى مهلكة الهند،
على أن خطر الروس قد زال من الشرق الاقصى اذ مزقت اليابان
سلطانهم كل ممزق بجيشها واسطوها . كذلك سايرت انجلترا سياسة
روسيا . ثم انجلترا تخشى الالمان وتضطّر أن تلجىء الى روسيا دائما
وروسيا تنفع بهذا مادة في كل حادثة

كانت انجلترا حربا على روسيا ولا سيما في الشرق الادنى، ولم
يثبت المضيقتان «البوغازان» امام روسيا الا بسياسة الانجليز فبذلك
ألغيت معاهدة «خونكار اسكاه سي» واشتركت انجلترا في حرب
القريم ومن أجل ذلك دخلت الاساطيل الانجليزية الى بحر مرمر
حين بلغ جيش الفرانكودق جهة ايسطفانوس وشاقت الجيش الروسى
وآذن استازول ثم غيرت معاهدة ايسطفانوس في برلين . ولكن
انجلترا تظاهر اليوم روسيا اعدى اعدائنا على الاضرار بتركية والعالم
الاسلامى ، ولا شك أن انجلترا ستؤدى الهند ثمنا لهذا السياسة ولكن
بعد هلاكنا .

ينبغى ألا نرجو أى خير من انجلترا ، ان سياسة كادل باشا تتبع
قواعد مضى عليها خمسون عاما في حين أن انجلترا نفسها تغيرت منذ
نصف قرن لاسياستها فقط وقد تغير كل شيء ولم يجمد الا كامل باشا

قد اعلنا هذه الحقائق لأمتنا حين كان كل انسان يعبد انجلترا
لا ينتصر لها فقط ، وقد صدقتنا الحوادث تصديقا مؤلما .
الخلاصة : أن انجلترا لا تأتلف مع تركيا والعالم الاسلامي وانها
تربص بنا الدوائر ، يؤيد هذا كتاب السير اسكلون بلانت الذي
نشرناه آنفا

يظهر في اميريك لاوريا مزاحم نشط سريع ، فالولايات المتحدة
التي التقت عن عنقها نير الانجليز بكل ازدياء تنزل اليوم في السياسة
منزلة سامية، والاميريكان الذين يرون انفسهم اكثر من أوروبا
شبابا وكفاءة وعزيمة يحسبون العالم قد خلق من أجلهم

كل شيء في اميريك يسير سريعا ، وهؤلاء الانجلو — ساكسون
الذين تختلف آمالهم كل اختلاف عن آمال الانجليز — قد حاربوا
اسبانيا فأنزلوا مدرعات الاميرال «جرووران» الى قاع المحيط ثم
اجتازوا جزر كوبا وبورتوريكو واستولوا على جزائر فلين وارخبيل
هاواي الذي لا يتصل باميريك اى اتصال جغرافى ؛ ثم زادوا أنهم
بسطوا سلطانهم فى فنزويلا وبناما ونيقاراغوا فى اميريك الوسطى
والجنوبية اذ وجدوا الجو خاليا ، وهام اولاء يتمون القناة بين المحيطين

الذين ذهب فيها آمال الفرنسيين ادراج الرياح
«العالم للأميريكانيين» هذا شعار الامبراطورين الاميريكان
الذى ينتسب اليهم روزفلت

ليس الاميريكي جنديا ولكنه تاجر وهو يطمع أن يفتح العالم بتجارته.
والتجارة في اميريكا عظيمة ككل شيء هنا لك بل هي اعظم
الاشياء . ان سكان اميريكا قد سبقوا الالمان كثيرا وبلغوا الغاية
في السعى والجد والذكاء والاقدام والثبات ، والحياة تتجلى في كل
انسان وفي كل مكان ، والعمال ينتجون مالا تنتجه أرض أخرى .
بهذه العظمة وهذه الرفعة يريد الاميريكي مكانة في النظام الدولي تمكنه
من التحكم في شؤون العالم وأوربا وجلة من هذا وقد اضطربت أوربا
الخائفة البالية حين سمعت بمجيء الاسطول الاميريكي الى ارضها وضربه
ثغور اسبانيا في الحرب الاميركية . وكذلك تقلق اوربا من تدخل
اميريكا في امور تركية وقد اهمها جدا تجول الطراد الاميريكي في
جوار جنات قلعة وما اشيع من غزم اميريكا علي أخذ مركز بحري
في البحر الابيض

وان قبول فرقة أمريكية في الجيش الذي ساقته أوربا على الصين لدليل
علي اعتراف الدنيا القديمة بسلطان الدنيا الجديدة

ولكن ليس منهي امل الامريكان البندقية والمدفع وانما بحاربون

بالتجارة ومن اجل ذلك تزيد الولايات المتحدة ما تنتجه كل يوم وقد شادت المصانع العظيمة وازالت التنافس والعداوة وقطعت المراحل الكثيرة فى طريق الاقتصاد فحلت الصناعات الكبيرة محل الصناعات الصغيرة واتحدت المصانع التى فى الداخل والفت الشركات الكبيرة واستولت على المواد الخام والمناجم . ان لا ميركا خزائن ثروة لا تنفق ولا تنقص . ومع ما لها من الثروة العظيمة فى اجتهاد السكان وكفاءتهم فارضا واسعة جداً غنية محتاجة للايدى المعمرة حتى لتطلب من الوسائل اكثر مما فيها .

شرق أمريكا مزدحم بسكانه كأوربا وغربها كالحسن مستعمرات أوربا يعوزه العمران والمال والرجال . وبجاراتها كالبهار وانهارها اوسع الأنهار ، وهي وحيدة فى ثروتها المعدنية ، ولا تخرج مملكة ما تخرجه من الفحم وهي تمد العالم بثلاث محصوله الحديدى ، ثم المنسوجات وسائر المصنوعات فى هذه الدرجة . وليست أمريكا محتاجة فى الاقتصاد الى اى ارض اخرى ولا تعتمد فى نجاحها وسبقها الاقتصادى على دول غيرها مثل انجلترا بل هى تعيش بنفسها ولا تحتاج للاجني ولكن الاجني محتاج اليها . يقدر الخبراء أن الولايات المتحدة ستخرج من الفحم سبعة الف مليون طن ، وهذا المقدار أكثر

من خمسة اضعاف ما عند المانيا وهو كاف لحاجات مصانعها قرونا وليس في امريكا خوف القحط كما في الهند ، فالحصول يفضل كثيرا عما يلزم ، وينتظر الخبراء العارفون أن تغرق امريكا عما قليل أوروبا بقمحها . فقد جاوزت امريكا في الاقتصاد موقف الدفاع الى موقف الهجوم وشرعت تسيطر على الممالك الاخرى .

قد دخلت المكسيك في ساطان الولايات المتحدة اقتصادا وتجارة . وقد آذنت هذه الولايات المزاحمين من الألمان والانجليز بحرب في امريكا الجنوبية وظفرت عليهم ، ولا بد من يوم يكون البر الجديد كله لامريكا . افريقية تأخذ ادوات السكك الحديدية من امريكا ولكن أوروبا تؤدي اثمانها ، وسيمد الامريكيون في الصين عما قليل كثيرا من السكك الحديدية . وتلك مستعمرات مثل كندا والهند واستراليا ترجع الى المتعهدين الامريكان اكثر من صناعات الانجليز .

لم تكن أمريكا قبل راغبة في التجارة البحرية ولكنها اليوم ضربت فيها بسهم وقد أخذت امريكا شركات سير السفن الانجليزية والالمانية او ابتاعت سندات حصصها

والامريكان هم المسيطرون فعلا على جمهورية بناما الصغيرة ومن وراء ذلك يحكمون قناة بناما ذات العظمة السياسية والتجارية

والعسكرية . وستوحد المحيطين فى زمن قريب فتنتقل اساطيلها سريعا من محيط الى آخر غير مضطرة الى اجتياز رأس هورن .

يقول الامر يكون سيأتى يوم تتحكم فى العالم اسواقنا ومحل نيو يورك محل لندره ، ويقول ايضا ليس بعيداً ولا صعبا ان تتحكم فى الدنيا القديمة ونضطرها بالجووع الى اطاعة أمرنا بعد أن تتعود أخذ محصولاتها وتشتد حاجتها اليها . واعتقادنا أن طبع أمريكا وخلقها كفيل بهذا . يجب الانسى امرى كافى مباحث السياسة الامبراطورية فان واجبنا أن نعرف مكانة اعداء هذه الأمم التى اسرت العالم الأسلامى اليوم وور بما يتفق تكامل المسامين مع تكامل الأمم الأخرى التى تسير معهم الى الرقي . وور بما تقرب هذه الحركات المتوازية المستقبلى تقرىبالا يخطر ببال .

* * *

قد باغت حكومة روسيا الغاية فى سياسة الامبراطورية . وان يسأل أى روسى وأى مسكوفى من رجال الحكومة فجوابه أن غاية أمل الحكومة أن تحكم العالم !

الروس أمة فتية . وهم يثبتون رشدهم وينظرون الى مستقبل زاهر مضىء على حين تنطفئ شعلة اللاتين ويبلغون النهاية — ويبلغ الجرمان آخر درجات رقيهم

هذه الأمة الأسيوية — تحاكي صناعات، أوربا بل تقلدها فيه
آداب المعاشرة وأقول حقا : ان روسيا أمة سعيدة محدودة فإن امراء
المسكوف الذين أعطوا الجزية لأمرء التار (خانات) محوادل التار
جميعا وازالوا بولوندا ثم انزلوا الى الدرجة الثانية دولة السويد التي كانت
احدى الدول الكبرى، وقهروا تركية ملكة الشرق حتى اصبحت
لا تطيق حرا كما ، وتلك ايران تمد عنقها لسيف الروس ، وقد اتقادت
لهم التركة ان كلها ، ولو لم تطالع فى الشرق الاقصى دولة الشمس
المشرقة التي وقفت الدب الشمالى عند حده فى موقدن وجوشيا —
لاصبح شمال الصين جزءا من مملكة الروس

روسيا تعرف كيف تعمل ، وترى فى شدتها وظلمها وتعصبها فائدة —
وفى روسيا أرض واسعة ، ومنابع ثروة لا تغيب ، وخزائن مدفونة ،
وهى متاع خام والحكومة تستخرج بالاساليب النافعة ما فى هذه الخزائن
وقد ظهرت روسيا بين الناس بيد فرنسا والمانيا وهى الآن تشكرهم
وتعان أنها استغنت عن معونتهما وتسعى فى عمران أرضها الواسعة يوما فيوما
وهى تنظم جيشها بعد ما دهاها من هزيمة الشرق الاقصى والاضطراب
الذى تلاها .

وسياسة انجلترا تدهن الروس لترجىء الخطر الروسى المقبل

وليس ذلك بضائر روسيا فهي تجمع قوتها وتنحط على الارض التي
تبذلها انجلترا بدلا عن الهند . ثم لا يتغير أملها في المستقبل ، وبعد
خمس عشرة سنة تجتاز بامير والبنجاب وتتوطن السند وغانغا

ان تكامل الروس يدع العقول حائرة ، فهي تنهي حساب الماضي
مسرعة وتتجهز لمستقبل عظيم ، ورجالها يرون الادارة المطلقا أحسن
وسيلة تكفل انفاذ هذه الخطط كلها . روسيا مرتبطة في السياسة
بالاتفاق الفرنسي وبهذا الاتفاق منعت الموازنة الاوربية أن تميل
عليها ، وبهذا الاتفاق أيضاً تدفقت أموال فرنسا الى روسيا فاستغنى
الاعيان والكبراء ونظم الجيش وظهرت في العالم الصناعة الروسية

لقد أيقظت الامة الروسية وسائل التربية التي يتوصل بها رجال
الامة ، فتحوط الصحارى والسهول المترامية الاطراف الى مزارع
وازدحت ضواحي المدن بالمصانع : ينسج في موسكو وولاديمير القطن
الذي يزرع في الارض الواسعة الممتدة من بحر قزوين الى التركستان
وقد صارت بولونيا مملكة صناعة ، وستصبح برينسك وبالكوت وكرج
يوما في صف كروزو وبودمنجهام او بتسبورغ .

ويقدر الخبراء الفحم المكنوز في أرض روسيا بألف مليون
طن ، وكذلك مناجم البترول في قفقاس ، ومعادن البلاتين في اورال ،

ومناجم الفضة في آلتاي ، وخزائن الفحم في طومسك وشعاب الذهب في منشوريا — كل ذلك كثير المقدار عظيم الشأن .

ولما رأت روسيا انها جاءت ميدان المدنية متأخرة اجتهدت كل الاجتهاد وحرصت علي تدارك ما فات

وهي تسير في تنسيق الجيش وتنظيمه سيرها في الاقتصاد . وقد كانت تعبئة الحرب المنشورية سبيلا الى مجد الجيش الروسي مع ما أصابه من الهزائم وما اقترفه من المآثم . ان مصانع المانيا وفرنسا يواصل ارسال السلاح وعدد الحرب الى روسيا ؛ وستندم اوربا يوماً ما على تسليح روسيا وتجهيزها الى هذا الحد

ليست روسيا كإنجلترا مستعمراتها متباعدة ولا ياتها مترادية ، بل أرضها متصلة متلاصقة من حدود ألمانيا الى بحر الصين ، والهند التي هي معامح نظارها مستعمرة تتصل بأفلاكها . حيثما حلت روسيا شرعت تنشئ الطرق والسكك الحديدية ، وان خط سبيريا لأثرشاهاني أعظم به من أثر ، والمسكوف يمشون الناس ولكن الاتراك والمسلمين يقفون في طريقهم سداً من الفولاذ

التمثيل غاية أدل الاستعمار الروسي وهناك يجبر الناس جميعاً بأمر القيصر علي أن يكونوا روساً أرثوذكساً ، وتنتشر اللغة والقانون

والمذهب رسمياً اجبارياً بين الاهالى المحكومين ، ان الموجة السلافية
تعلو وتمتد كل يوم ، فتمتصل بها موجات صفار جديدات . والروس
لا يرون أنفسهم غرباء ، فى البلاد المفتوحة لأنهم اسويون ، والولايات
الروسية الجديدة تشبه فى التمثل قلب المصنوعات فى المصانع ، فبينما
تصادف فى ولاية جديدة قرية لاشية فيها من الروسية تجد فى جوارها
قرية أخرى دخلتها الروسية قليلا وظهر فيها اللسان الروسى ، ثم تلى
ثالثة قد تمثل أهلها قليلا طمعا فيما يلوح من المنافع التى تمنهم بهاروسيا
ثم تلى رابعة صارت نصف روسية ، ثم تمر فيما وراء ذلك بقرى وبلاد
صارت روسية كلها

الروس خطر دائم أمام الانجليز والجرمان والاك . وقد يكفى
الاتلاف الروسى الانجليزى المؤقت لاجتياح تركية ، ولكن روسيا
سترتقى على الهند بقوة عظيمة فى المستقبل . وربما يمنعها طلوع
اليابان فى الشرق الاقصى من الاتساع هناك ولكن كيفما كانت الهند
أرضاً موعودة للانجليز وهى فى يد فرنسا والبرتغال فالهند الآن فى يد
الانجليز فلسطين للروسيا

لا ريب أن أعظم القوى فى أوربا قوة الجاهعتين السلافية والجرمانية
وعسى أن تصطدم هاتان القوتان أشد اصطدام بل أستطيع أن أقول

انه اصطدام محتوم وان ظفر دول البلقان الذى هو علامة ظفر للروسيا
لمن أكبر المهالك للجامعة الجرمانية ، فقد هزمت هذه الجامعة اذ
اتصرت الصرب هزيمة اخطرتها حتى الى ترك قاعده
« drang Nach os ten »

ان تقدم السلافيين وتجنيسهم شبه الجزيرة الجنوبى مسألة
حياة أو موت لحكومة النمسا والمجر من الوجهة الداخلية ، وهى مع
هذا لألمانيا مسألة بقاء أو زوال . الحق أن النمسا خدعت فى هذا
اللاعب ككل انسان ولكن يعجباً هل تصطبِر حكومة ويانا وحكومة
برلين تبعاً لها — لهذه الضربة ، وهل لاثتقال فى المستقبل القريب
لاخذ الثأر والدفاع عن نفسها ؟ ان الاهتمام بالتسليح فى هذا الزمن
الأخيريين اننا لم نخطيء الصواب فى رأينا .

لا يتجلى المستقبل الا بعد صدام الجامعتين الجرمانية والسلافية .
أما انجلترا فقد قدرت لها الهزيمة من قبل ، وانما يعيننا تصادم ألمانيا
وروسيا فى المستقبل

(وقد خصصنا لتقديم روسيا فصلاً طويلاً ليكون عبرة لنا فى كتابنا
« مقدرات تاريخية » كما ذكرنا معلومات سياسية واجتماعية تتعلق
بالروسيا وفصلنا سياسة السلاف والجرمان تفصيلاً فى كتابنا « شمال
خاطره لرى » وكذلك ذكرنا بعض المسائل التى ترتبط بسياسة الروس

«مذكرة لمؤتمر الاتحاد والترقي
الاجتمع في سالانيك سنة ١٣٢٧ هـ» فابرجع عند الحاجة الي هذه الآثار
الثلاثة الصغيرة لزيادة الاطلاع)

...

فرنسا ذات المستعمرات الكبيرة يهددها في اوربا الخطر الالمانى
وهى مع ذلك يحجن جنونها بمسألة الالزاس واللورين . وقد عقدت فرنسا
مع روسيا الاتفاق الثنائى بعد معاهدة فراتقفورت لتحفظ الموازنة
وتدفع عن كيانها . ولا ريب أن فرنسا وروسيا كلاهما قد انتفع بذلك
فماضرب لهذا الامر البرنس بسمارك الذى سارع الى الاتحاد مع العدو
القديم مملكة النمسا والمجر . وقد سعت ايطاليا الى الدخول فى مثل
هذا الاتفاق الدولى لتعد من الدول العظمى ، فكان من ذلك الاتفاق
المثلث امام الاتفاق الثنائى .

فرنسا لها جيش عظيم راق جدا ولكن امام هذا تظهر المانيا
الهائلة بعددها وعددها وجيشها وأسطولها وشبابها ونظامها . لا يزيد
سكان فرنسا على تسعة وثلاثين مليوناً بينما سكان بروسيا وحدها
أكثر من أربعين ، وسكان ألمانيا كلها يتجاوزون ستة وستين ، وكل
شئ بين الدولتين والامتين على هذه النسبة ولكن فرنسا قد ضعفت

وخارت قواها . سكان ألمانيا في زيادة مطردة وحكومة برلين تفكر في وسائل تمكنها من المستعمرات علي حين لا يزيد سكان فرنسا ولا يكترون ، وقد هرمت الامة وضعفت ؛ وانحطت الاخلاق العامة وكذلك التجارة ولا سيما تجارة البحار تنزل في فرنسا الى هوة هائلة ، وانما يمسك فرنسا اليوم ميراث فرنسا القديمة وعظمتها وشهرتها . فرنسا تديرها حكومة المالين ، وفرنسا تشبه تفاحة عفنت في باطنها . السجايا ضعيفة جدا وقد ظهرت علامات الزينة والسقوط التي ظهرت بين الرومان ابان انحطاطهم ففرنسا كمرأة عقيم . ومهما يكن من الافكار والمذاهب الضارة المودية بالجماعات البشرية فكل ذلك قد توطن فرنسا . والخلاصة ان هذه الامة قد أصابها الشال . ولعل بعض ما أصاب الطبقة العليا التركية من الفساد مرجعه اسراعنا الى تربية فرنسا وعادتها

ليس لفرنسا رأى في السياسة الامبراطورية ، وقد لا يفهم الفرنسيون ما القصد من المستعمرات : وكان لسياسة فرنسا منذ عهد قريب غاية صغيرة وهي فاس . وقد باغت هذه الغاية فان يق لها غاية بعيدة فتلك سورية . فلنعلم ذلك !

ثم فرنسا في حيرة من الهند الصيني ، والسودان الفرنسي عرضة

الممالك الداخلية ، وخطر الاسلام في أفريقية يذهب بنوم وزراء
المستعمرات الفرنسية حيناً بعد حين
وإذا جرت المانيا عما قليل كلاكلها على فرنسا لسبب مافلاريب
أنها تسلبها أكبر قسم من مستعمراتها
وظني أن القوة التي تمسك فرنسا الآن هي عاطفة الوطنية المتغلغلة
في نفوس الاهلين ، ورجح الاموال المرسلة للممالك الأخرى وعودة
انجلترا واتفاق روسيا اللذين نالتهما بهذه الوسيلة .

ولكن الضعف والزوال قد قدراً لهذه الامة الظريفة الخليعة ،
فقد كبرت وبطل استعدادها للتوليد من كل جهة ؛ وجداول الاحصاء
تسطر هذا السقوط من يوم الى يوم ، فستعيش فرنسا في المستقبل تحت
سلطان الآخرين . وظني ان فرنسا التي كانت أولى دول أوربا في
زمن نابوليون الثالث ستقف وقفة اسبانيا التي كانت احدى الدول
العظمى في العصور الماضية .

وقد رأيت جملاً تتعلق بفرنسا لاحد المعلمين الالمان في كتاب
للدكتور جوسناولوبون وهأنذا اتقاها كما هي لخطرها :
« ندع النياصرة جانباً فالتاريخ يثبتنا ان المماكة اذا اخلتها
الثورات الداخلية ظهر فيها امثال هؤلاء النياصرة ، احياناً باسم «سلا»

وأحياناً باسم بونابرت . لا تشكوا كثيراً من حياتكم تحت سلطان حكومة نصف امبراطورية لانكم كنتم تسرعون أمام القياصرة في أطوار الانحطاط لتتقدوا أنفسكم من الفوضى التي توضعون فيها، ستدخل مملكتكم عما قليل في عهد الثورات العسكرية فتعلمون أن الخضوع لامبراطور يبايعه كل انسان كالذي عندنا (يعني امبراطور ألمانيا) خير من اتباع القياصرة الذين تخلفهم الفرص شأنكم في كل حين وان ترضوا فلهم لنبحث عن الحادثات الاقتصادية الواقعة الثابتة التي لفنت نظركم في سياحة « كوت دازور »

تدبعت تكامل الالمان منذ الحرب وكانت سني تعيني على هذا فعرفت كما تعرفون أن عموم التربية الصناعية ، و بعض السجايا والمزايا هي أسباب رقي الالمان في الصناعة والتجارة ، وأن ذكاء مواطني الكليل لم يؤد في هذا الشأن عملاً كبيراً ، وانما نالوا صرامهم بالتنسيق والتنظيم والاساليب « ميتود » . هذه الصفات والتربية الجيدة والتعليم الصحيح يكفل النجاح في الحياة أبداً . لم يبق أثر للألمان الخياليين الذين عاشوا في العصور الماضية ، فقد أصبح الألمان لا يضيعون وقتهم بمجادلات الفلسفة ، وقد شادوا المصانع والمصارف المالية والمرافى وكل ضروب المنشآت واستغنوا سريعاً . قد عرفت الألمان أزمان كانوا

يعيشون عيشة الفاقة ويعدون اللحم من الكماليات ، ويسافرون في الدرجة الثالثة دائماً ويسكنون دوراً لا نوافذ لها . واليوم قد استغنى هؤلاء الألمان فهم ينفقون بسعة . الألمانى غليظ متكبر ككل حديث عهد بالنعمة ، وبحق يشتكى منهم عمال السكك الحديدية على حدودكم ، وأنا اعترف أن الألمانى غليظ لا يعرف ما تقتضيه المدنية المقبلة .

هذه تقائص حقاً ، ولكن لا تخل بكفاءة الألمان ابدأ ، والآن ترى الألمانى اينما حل وثق بالسبق والغلبة بتربيته الصناعية ونظام أمته وتبريزه في الجد والعمل والآلات التى فى يده ، وهو ينافسكم منافسة لا تستطيعون الثبات لها حتي فى عاصمتكم ، فقد احتكر المواد الكيماوية وادوات الفتوغراف والكهرباء والآلات القاطعة وكثيراً من الصناعات وسيتبع هذه الأشياء ما بقى لكم من صناعتكم : وانه ليسعى للخلاص من رسوم الجمرى القديمة فيجىء الى بلادكم معشر الفرنسيين ويستوطنها ويشيد فيها مصانعه وعما قليل لا يجد جركم شيئاً يحميه

وسترون فى امكنة اخرى ما رأيتموه وعرفتتموه فى « كوت دازور » سنستعمر فاس كما استعمرنا ساحل فرنسا على البحر الابيض الذى سيصبح كله لنا . ومن استحوذ على تجارة ممسكة وصناعتها فذلك هو الحاكم فيها حقاً . ومسألة فاس — التى لم تفهم صحفكم منها شيئاً —

كانت يسيرة جدا ولا ريب ، ما كنا نريد فتح هذه الارض
التي تكثر نفقاتها ولا ترجى ثمراتها ، وكنا نريد أن نترك لكم مع
الاخلاص شرف هذا العمل ونفقاته ، ولكن على شرط ألا تفسد
هذه البلاد ادارتكم الاستعمارية التي لا تمكن المستعمرات من الحياة .
هذه الادارة المظرة جدا حتى بكم انفسكم . وكان منتهى أمل الالمان
أن تحسنوا سياسة فاس وقد ظفرنا ظفرا تاما من هذه الوجهة . وما
كنا ننحاربكم من اجل هذا فقد كفانا التهديد ، وما كانت مصلحة
المانيا اذ ذاك تتفق مع اعلان الحرب . اذاشتت شملكم وفرق جمعكم
الاشتراكيون والسلميون والجنود المتمردون وغير هؤلاء ، واذا نحن
من قلوبكم احساس الوطنية الذي هو عماد قوتكم — فهناك نفكر في
الحرب وهنا لك نصل الى كل رغباتنا بمجهود قليل يسير .

ما كانت مملكتي تريد الحرب قط وما حان زمان الحرب مع
صديقتكم انجلترا . نحن لانخشى الانجليز في التجارة والصناعة وانهم
ليخشوننا ، ولا بد أن نحاربهم ولكن حينئذ يكون الخطب أجل من
مسألة فاس . هامبورج ضاقت جدا ولا بد لنا من ثغر تجارى عسكري كبير
وليس في جوارنا الا انفرس . وقد أكثرنا من المصارف والمتاجر
والبضاعة البحرية هناك . ولكن ذلك لا يكفينالان هذا الثغرة قريب

جداً من انجلترا يجب أن يذهب بالغلبة العسكرية والتجارية . والبلجيكيون يعرفون هذه المطامع التي يتفق عليها الألمان جميعاً . و بعض المصورات الجغرافية نشرت هــ ذا الفكر في كل ناحية . وقد قرأت الخطبة التي ألقاها في البرلمان « آدمون بيكار » أحد أعيان البلجيكين وهــ مشاهير رجالهم السياسيين . وانها لصيحة استغاثة محقة ولكنها ذهبت أدراج الرياح فالأم لا تفر مما قدر لها . واذا اتحد البلجيكيون والفلانك فقد يرجئون هذه الهلكة ولكنهم لا يفتقرون أن لن يبق في العالم مكان للام الصغيرة .

ومن الطبيعي أن أكبر المصاعب التي تمنع انفاذ ذلك هي عداوة انجلترا ومخالفتها ، ومن أجل ذلك كانت الحرب أمراً مقضياً ، ولا ريب أنكم « الفرنسيين » ستفقون مع الانجليز في ذلك الوقت ، ولكن ستكون قوتكم أقل مما هي الآن ، فسيكون الدور الوحيد الذي تلعبونه نفقات الحرب التي تبهظكم

وقبل ذلك اليوم ستنوء بكم وتنهكم المعارك السياسية والمذهبية اتم تظهرون القسوة في كل أمر ، وقد تعودتم الظلم حتى أجمعت الأمم على انكم لا تليقون بالحرية وأن ظلمكم وعسفكم الذي أربى على كل ما اجترحه الظلمة القساة هو كتاب سيئات لا تعد ولا تحصى

وانما يجمع للعرض والحساب . ولقد يعرف ان الطمع والاستكلا ب
هو الاحساس الاخير الذى بقى فى نفوس اللاتين .

انكم لتشبهون هذه الحشرات التى ترى فى مستنقع يجمع بعضها
على حبات تفهة ويهجم الآ خر عليه غير ناظر الى ماحوله من الغذاء .

قد بقى الفرنسيون فى اعلى الدرجات مدة طويلة ولكنكم
تسرعون الآن هويًا الى دركات أسفل الامم . وقد اصبحتم امة
بأسها بينها شديد ، مثقلة بأعباء الضرائب تحفظ حياتها بالاقتصاد

والحرمان — امة صغيرة بلغت بها الخسة انها لا تربي اطفالها .
انكم لاجل ان تصعدوا فى السلم الذى نزلتم منه يلزمكم ان تصفحوا
عن مآربكم السياسية ومذاهبكم « وذلك ظن بعيد جدا » . وأن

تبدلوا أساليب تربيتكم التى استمسكتم بها عبثًا . وبعد فانتم فى حاجة
الى شيمة المعاونة التى لن تنالوها ابدا . قد بقيتم امة ظرف وفنون
جميلة وهذه المزايا التى كانت كفيلة بالرفعة فى القدم اصبحت لا تجدى

شيئًا فى صناعة العصر الحاضر واقتصاده وعلوه . انما تدار
الدنيا الحاضرة بالصناعة وكيفما نظرنا فى الحرب او الصناعة رأينا الفن
يفتقر الى الجسد والثبات قبل كل شىء ، وهذا يرتبط بالسعى المستمر

والاسلوب المنظم والجلد الذى لا تملكونه . سيقى فقدان الجسد

والمثابرة أكبر عيوب اللاتين أبداً . قد بحثت عن بعض الصناعات ذات المنافع العظيمة التي أخذناها منكم بحسن أساليبنا وأدواتنا وآلاتنا . وقد صرقتم أبصاركم عن المراحة منذ بضع سنين وكذلك تهمقرتم شيئاً فشيئاً في ساحة التجارة البحرية . قلبوا جداول البورصة تروا أن شركات سفنكم تنزل الى أسفل منزلة على حين في شركاتنا جداً وتوزع على المشتركين ربحاً عظيماً

ان براهين الصالحين والانسانين « أومانيتور » لها مكانة عظيمة في منطقكم حتي دؤلاء أعظم قوة للاشتراكيين . ولكن ما عسي أن تكون جدوى هؤلاء أمام الحاجات الاقتصادية التي تدبر العالم الحاضر ؟ لا بد أن يكون غناؤها كما يفعل أهل نابولي اذ يستهزئون بجبل النار فيحاولون اطفاء « ويزوف » بالأدعية والرقى ولكن البراهين لا تنطفيء بالكلمات . الحاجات الاقتصادية وحدها هي القوة غير المفكرة التي تحرك الأمة . أتم لا تجدون من النسل كفايتكم بينما يزيد نسل الألمان على حاجاتهم . هذه المملكة تحصل من الأشياء أكثر مما يلزمها وهي مضطرة أن تصرفها مهما كلفها ذلك . وستجد هذا محالاً عما قليل فان الدنيا ضاقت جداً . وقد أفلت منا الشرق الأقصى اذ فتحت اليابان . فكان لا بد أن

تلتفت لأقرب جيراننا بالاقتصاد ثم بالحرب ؛ فتقذف عليكم فضلة
محصولاتنا ومتجاتنا ثم ترتقب اليوم الذى تذهب فيه الفوضى بقوتكم
ويضعفكم الاختلاف الداخلى فتعجزون عن الدفاع ؛ وما ذلك
اليوم بعيد . ان قوانين التاريخ لم تغير منذ اتقدم فخط الضعيف أن
يزول أمام الغالب أو يبقى دائماً فى خيبته ، ولا يكون الترقى بغير
هذا وان الحكم القاسى الذى حكم به الهرم « برنوس » « ويل
للمغلوبين » هذا الحكم الذى صدق منذ ألفى سنة قد صار اليوم
أصدق مما كان »



فى النصف الأخير من العصر الماضى طلع من أواسط البحار
امبراطورية جديدة ولو أن الأوربيين فهموا كفاءة اليابان من قبل
وقدروا استعدادها للتكامل لأضعفوها ولأرب مثل تركيا ولكن
جديراً بالسروور أن الشمس المشرقة طلعت قبل أن تبرد أوروبا وقتاً
لفهم الحقيقة . وكيفما كانت إنجلترا فى طور تكاملها فاليابان اليوم
مثلاً . وقد جربت سيفها مع الروس والصين حتى رغبت إنجلترا
المعروفة بالاعتزال السياسى فى الاتفاق معها

اليابان مملكة ضيقة مزدهجة ، وفهمها كثير جداً يقدره العارفون

باربعائة الف مليون طن وكذلك ذهبها ونحاسها وحديدها ولا سيما
البتروال الذى يجرى كالانهار . وقد زادت المسبوكت جدا وصارت
«اوزاكا» مركزا للمنسوجات عظيمًا ، وعلى قدر ذلك تقدمت العلوم
والفنون والجامعات فى اليابان . واءدت السكك الحديد فى كل جانب
وكان جناب «شوغون» فى اليابان يمنع انشاء السفن التى تجتاز المحيط
واليوم تفوق سفن التجارة اليابانية تجارة فرنسا البحرية كثيرا وقد بلغ
الجيش درجة الكمال وكذلك الاسطول . ومن الناس من يشبه اليابان
بانجلترا وفى ذلك بعض الخطأ ، فان يكن لانجلترا اسطول قوى فليس لها
جيش كجيش اليابان ،

ولكن أوروبا تدع اليابان فى عسر مالى شديد . اليابان عدو أوروبا
وأوروبا عدو اليابان . ومع هذا فستجد الشمس المشرقة الوسائل وتستمر
فى رقيها . ان اليابان التى قطعت فى ثلاثين عاما الطرق التى سارت
ففيها أوروبا الى كمالها عصورا طويلة — لا بد أن تجد الوسيلة الى المال
قنزول شدتها . ويرتها الاقتصادية

وقد يعز على اليابان أن ترى لها مزاحما فى الشرق الاقصى فهذه
الارحاء ملك مباح لها . وكذلك لاتستطيع الدول الاخرى أن تقف
ملا عناء أمام اليابان فى المحيط الكبير . وأن اليابان الفتية — كما يننا

سالفاً - ستنزل على الهند الصيني وعلى منشوريا ومنغوليا المفتوحة أمامها في الصين ، وعلى جزائر ما وراء الهند وجزائر فلين وولايات الروس البحرية في ساحل « عامور » وقد تستولى على جزر ميلانيزيا وبولينيزيا ومكرونيزيا . وليس الخلاف بين اميريكيا واليابان مما يتعذر حله .

أوروبا تخشى أن تضع اليابان لآسيا قاعدة كقاعدة « نرو Monroe » التي وضعتها أميريكيا للعالم الجديد فتمنع تدخل الغرب في شئون آسيا وان زالت عما قليل المنافسة والمنازعة مع الصين فاروبا بتتغير جاف - تلحق أصبعها (١) ويفتح في التاريخ فصل جديد وتضطرب المدنية أن تغير مراكرها . ان احوال الصين جديدة بالعجب ولكن بحثنا ومطالعنا وشاهدنا في هذا الصدد ليست كاملة فنحن مضطرون أن نمسك القلم عن الكتابة .

كان الناس قبل اربعين عاما يحسبون ألمانيا امة جامدة غير مهذبة لا تسطيع الرقي . ولكن بسمارك كان يعلم علم اليقين أن الحق غير هذا فلذلك افترى الاكاذيب وأعان الحرب على فرنسا فزفت الالزاس واللورين الى ألمانيا بجهاز خمسة الاف مليون ، واعان في قصر فرساي أن ولهم الكبير ملك بروسيا صار امبراطور الالمان . فحسد

الانجائز على هذا فوضعوا على رأس فكتويا ملكتهم تاج المهد يد
(يكونسفلد) وكذلك حسدتها الروسية فاهتمت بنظرية الجامعة السلافية.
نالت المانيا مرادها باتحاد الجمارك Zollverein. وظن شامبرلين أن
هذا وحده سر نجاح ألمانيا ولم يتذكر شباب المانيا واجتهادها وهرم الانجائز
وبطالتهم فاراد ان يوحد الجمارك في كل المستعمرات ولكنه لم ينجح
وقد قابل الألمان نظرية الانجائز (1) world wide interests
بنظرية (٢) welt wirtschaft und weltpolitik وذلك دستور
ألمانيا في هذا الأمر

« الاجتهاد والسعى للقوة والاقتدار بادىء بدء وبعد ذلك تنجىء
الثروة بنفسها » فامبراطورية ألمانيا لم يخلقها الامبراطور غليوم الثانى
وانما كانت نتيجة طبيعية للضرورات الاقتصادية .

المانيا فى حاجة شديدة الى المنافذ البحرية والمستعمرات والاراضى.
قالا لمان يزيديون مليوناً كل عام ولم تقترب شيخوختهم وضعفهم . ومهما
يكن فستنحط على انفرس كما عرف من قبل . والحق ان مرافىء البلجيك
والفلمنك مرافىء طبيعية لولايات الرين الالمانية . هامبورج بعيدة
جدا ولا تسد الحاجة . فاما ان تحارب انجلترا الالمانيين واما أن تدعهم

حرارا في بحر الشمال معترفة بانها قد صغرت ، وحينئذ تنزل انجلترا منزلة ساقطة جدا .

اما الحرب فيرجي لالمانيا فيها الظفر اذا لم ينتهز المتفقون هذه الفرصة فيدخلوا في حرب عامة .

وأخيرا يجب علي المانيا أن تسحق الجماعة السلافية والاسحقت هي تحتها . اذا غلب السلاف في حرب مقبلة فعسى ان تنضم الولايات البلطيقية الى المانيا ، وبولونيا الي النمسا وتدخل ولايات بيسارايا الى رومانيا وفنلندا الى السويد ، والفلمنك والبلجيكا الى الاتحاد الالمانى . وان تكن الاخرى فقدت ألمانيا مكانتها وخرجت بوزنانيا من يدها وزالت دولة النمسا ، ودخلت ولايات السلاف كلها في دائرة اتحاد امبراطورية سلافية عظيمة . ولكن انرى — على قصورنا — أن القدرة والقوة في جانب الاتفاق الثلاثى

ألمانيا كمية عسكرية وبحرية مهمة . وليست النمسا والمجر دولة ضعيفة . وان أمل الالتحاق بالنمسا وتأليف نصف حكومة ثالث يجعل البولونيين التابعين لروسيا في جانب حكومة ويانه . وايطاليا تستفيد من حرب كهذه فتأخذ من فرنسا نيس وسافوا وقورشيقه . وربما تأخذ حكومة روما باشتراكها في مثل هذا الحرب من النمسا بالمودة ولاية « ترانتين » (كما أخذت من قبل لومباردو — وفنيسيا) ولا

تزال رومانيا والسويد اللتان فى دائرة الاتفاق المثلث — آمالهما بغير هذا الاتفاق ، وطالما رأت رومانيا الضرر من سياسة النمسا ..

إذا نظرنا الى احتمال الغلبة والهزيمة فاما أن تصغر النمسا جدا فتلتحق بألمانيا ولا ريب ، واما أن تكبر جدا فتستولى على بولونيا وولايات روتن ، والصرب

وكذلك نجد ألمانيا أمام هذه المسألة مسألة الحياة والمات . اذا دام الصلاح الحاضر عشرين سنة بلغت روسيا من القوة درجة قد تسد الطريق على هجوم الالمان . ومن أجل ذلك ترتقب ألمانيا الفرصة وان عليها أن تكثر مدافعها وبنادقها وبنقذتها . وفى الحق ان الجيش كله مجهز لهذا وقد ضاق ذرعه ونفذ صبره . ان فى قلوب كل أنصار الجماعة الجرمانية وكل أشياع الامبراطورية الالمانية أملا خفياً لأخذ مستعمرات فرنسا . لابد أن تفيض ألمانيا بما فضل من محصولها وزاد من سكانها . وان حال ألمانيا فى الداخل حسنة صالحة لا تقاس بها حالة روسيا . ثم مع هذا الرقي والسكالك نجد ألمانيا أمة واحدة ، دع الجماعات القليلة « الدينماركيين والفرنسيين الذين لا خطر لهم » وهي ممتلئة شباباً ، وقد بلغت بالفنون مراما ، وانها لتضمر أملا كبيرا ، فى حين أن الروس الأصليين أعنى الموسكوف هم الاقلون

فى روسيا والامم الاخرى هي الا كثر عددا . وهؤلاء الا كثرون فى
الم وتعامل من سياسة الروس . ان أمة الروس ممتلئة شبابا ولكنها لا
تعد من الامم المتقدمة كثيرا وليس أملها قويا . وقد جعل الاستبداد
كثيرا من الروس الاصليين أعداء للقيصرية . ولكن لا بد أن نعرف
هنا أن الحرب مرجعها للحظ والجد قبل كل شيء ، وعسى أن تظهر
بعد اعلان الحرب أمور وأحوال لا يعرفها العقل الآن ، فنحن لا
نستطيع الجزم بما يكون فى المستقبل . وان يكن شيء محققا فى هذا
فهو اعلان انجلترا عجزها أمام الخطر ، وارتقاب تصادم الحركتين
الجرمانية والسلافية وحدهما فى الميدان كقوتى التيار الكهربائى السالبة
والموجبة ! وفى نتيجة هذه المصادمة قد تبدل مستعمرات فرنسا وهولندا
وبلجيكا حكامها وقد تغير مستعمرات الانجليز ولاتها أيضا

فى اثناء هذا النزاع المقبل وهذه الضوضاء والجلبة كيف يكون
موقف الاسلام ؟ هل يستفيد من هذا أو يتضرر ، وهل يستطيع أن
يستفيد أولا يستطيع ، وهل يمكن الاسلام أن يعتمد على احدى هاتين
الجامعتين أولا يمكن ، وهل يكون أحد هذين الفريقين — لاجل
ترويج منافعه المحضة ظهيرا للاسلام أولا ، وهل ينتظر أن تظهر بغتة قوى
أخرى سياسية ودولية قبل أن تقع هذه الحادثات اعني الى أن تقوم

تقوم قيامه أوروبا السياسية !

That is the question

تلك هي المسألة !

المسلمون والمذاهب المفرطة

— والأهم المحكومة في أوروبا —

كان اخونا المجل شهاب الدين بك يبحث في أن الآداب تابعة للتجدد والتقلب . كذلك الافكار تتبع الزى الحاضر مثل الآداب والسياسات والاجتماعيات والاقتصاديات الى درجة ما تتجدد تبعاً للأفكار ، ومن وراء ذلك يكون التكامل . لا بد أن نقول هنا ان الازياء ازياء الملابس والاشكال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادبية والعقلية تتهدب وترقى على مر الايام وتلطف ، قيسوا مرة الازياء القديمة ، وآداب المعاشرة بالازياء الجديدة وآداب الجماعة الحديثة يظهر الفرق بينهما رقة وتهذبا في الجديد . وكذلك التجدد في التاريخ يكون في نصرة الحرية والافكار والمذاهب الحرة ، فكل أفكار حرة مفرطة تكون جديدة محدثة . انظر كيف تصعب الحركات المحافظة في زمننا بينما يسهل جدا القيام بالحركات الحرة .

أن الاصلاح الذي قام به «مارتن لوثر» في النصرانية والاقبال الفرنسى العظيم سنة ١٧٨٩ جرت بهما الافكار الراقية شوطا بعيدا في عالم المدنية . مثلا قد تركت نظم الحكومة المطلقة في كل مكان

والآن يقل المحافظون في مجالس النواب في الجملة ، ويتولى الزعامة
ذووا الافكار الحرة . ان مذاهب الاشتراكيين (سوسياليزم) ،
والاجتماعيين (قولليكتيويزم) والسلميين (پاسيويزم) ، واعداء العسكرية
(انتى ميليتاريزم) ، واعداء الكنيسة (انتى كليريكاليزم) ، والنسائيين
(فمميزم) لم تظهر في وقت ما ظهورها الآن . ولا ينكر أن في هذه
الافكار غلوا ولكن الحق أن كل الحركات التي استولت على العالم
بدأت بالافراط والتفريط ، ثم ظهرت في شكل مفهوم مألوف على
علي مر الزمان كما تلمس الامواج العظيمة ما تأتى عليه من الصخور
والاحجار والحصى . كلما انعمنا النظر في أى حركة من هذه الحركات
عرفنا هذه الحقيقة ، وهل كان مذهب الاشتراكية هكذا في أول
العصر الماضي ؟ كم اصاب الاشتراكية قبل شارل ماركس وبعده من
التبديل والتحويل والتعديل في الاساس والعقيدة والخطط

لا ينبغي الاستهزاء بهذه الافكار المفرطة فانها أكبر قواعد
المستقبل التي ستجرف العالم وتسيره

ان تاريخ نشوء هذه الحركات السياسية (لا أقول الفرق) ،
وتكاملها ومنازعاتها ، وما فعلت الى الآن ، وما لها من النفوذ في
الحال الحاضرة ، وكيف غلبت الحركات الأخرى ، ولا سيما ما تأخذه

من الاشكال في المستقبل ، وما الاحزاب التي تظهر كل ذلك بالحق
مجال للبحث . ان العالم لا يدار في كل وقت غلي أصول واحدة
وأفكار واحدة ولم يدر كذلك وان في روح البشر تغيرا بطيئا غير
أنه حقيقي . مثلا نزول العواطف الدينية من أوربا يوماً فيوماً وتحل
محلها العواطف الوطنية وستزول الأفكار الوطنية على قلب الأيام
بتقدم الأفكار المفرطة ، وربما يقوم مقامها الاحساس الذي نسميه
الاحساس البشري . كذلك يسير هذا الذي نسميه الناموس . هذه
الحركات تؤدي أحيانا الى الثورات وأحيانا تحصل شيئاً فشيئاً . وفي
احدى مقالاتنا قلنا ، ان السياسة كشف الاستقبال الى درجة ما ،
فنحن اذا تبصرنا وأنعمنا النظر اليوم في قوى الاستقبال فهمنا بعد قليل
من يلزمنا الاعتماد عليه . تمحور الغلبة والكثرة في فرنسا منذ عشر
أو خمس عشرة سنة — انفرقة المرائية التي تسمي الاشتراكيين
الراديكال التي لا تظهر اشتراكيتها صراحة وترى أن التظاهر بعنوان
آخر مراعاة للماضي أقرب الى المصلحة وقد كان رئيس الجمهور
(السابق) سيسو فالير من الاشتراكيين قبل ان يتولي الرئاسة
فيتنزه (شكلاً) عن كل الفرق وأهم الفرق عدداً وخطراً في ألمانيا
فرقة الاشتراكيين الديموقراطيين علي رغم ما يقول رئيس الوزراء
البارون فون يتمان هولفنج

واما انجلترا فالناس هناك فرديون « بارتيكولا ريست » اعني
انهم يعتمدون على قوتهم أكثر مما يعتمدون على قوة الحكومة
لذلك لم تتقدم الاشتراكية كثيرا في بريطانيا والارض الاخرى
التي يسكنها الانجلو - ساكون . وقد بحث آدمون ديمولان
صاحب الكتاب المعروف « سر تقدم الانجليز » في هذه المسألة
المعضلة في كتابه وأعلن للناس - مع الضوضاء والصخب - أن الانجليز
لا يحتاجون للاشتراكية لأنهم فرديون قبل كل شيء ، ولكن
الحوادث تكذب هذا الموقف تكذبا شنيعا فالاشتراكية في انجلترا
تسير سير العقاريت . وأكبر دليل واقطع برهان على ما ندعيه
هذا الاضراب المستمر الآن (في ذلك الزمان) والذي سرى الى
المانيا . وكذلك تسير الاشتراكية في اميركا سيرا حثيثا كأنها ندمت
على أنها لم تبد ضولتها وشوكتها هنالك الى الآن كما فعلت في فرنسا والمانيا .
في كل ارض حتى تركية التي لا صناعة لها اناس يتبعون هذا
المذهب (ولا ادري لماذا تشذ اليونان في هذا السبيل) ، وكلهم
مجتهدون بمجد واطمئنان واثقين بالمستقبل
وكذلك ايطاليا ، فقد كان الناس فيها منذ خمسة أشهر ونصف أو
سته (كتبت المقالة في أثناء حرب ايطاليا) يتكالبون على طرابلس

الغرب كالوحوش التمرة الظمأى للدماء وفى ذلك الوقت جسر
الاشترا كيون على تعطيل الأعمال كافة على رغم كل الموانع . وان
جراتهم هذه لذات معنى كبير

وقد عظمت الاشتراكية عظما وقويت فى النصف الأول من
هذا العصر الميلادى فستكون بعد خمس أو عشر سنين القوة الوحيدة
القادرة على التحكم فى الأمم فى أوربا وأمريكا
وطلبة هذه المدرسة الاجتماعية قد مهدوا انظمتهم وخططهم
واعبجوا قوة مهيبة مذهشة وكلهم يرتبطون بلجان فوقها جمعيات ترجع
الى هيئة واحدة . ركزية وقد بلغ من قوة هذه النظم انها تستطيع فى
وقت واحد وفى ساعة واحدة — وان أضر ذلك بالاشترا كيين انفسهم —
أن تعلن تعطيل الاعمال العام فى كل العالم ، فتقاب الحكومات
المختلفة والاجزاب المختلفة المتولية الرياسة ، وأن الاحوال لتدل على
أن هذا التعطيل العام قريب متوقع جدا . وكنت قرأت فى كتاب
لأحد خطباء الاشترا كيين المعروفين أن الفرخ لا بدله من اعضاء
طور تكونه فى البيضة بادية بدء ثم يريد الخروج ليثبت وجهه
فينقف البيضة بمنقاره ويظهر . وكذلك الاشترا كيون يسرون اليوم
فى طور تكاملهم وينظمون اعمالهم حتى اذا لم يبق عمل فى هذا

السبيل ثاروا كالفرخ في بيضته تماما ، وأظهر وبعض الشدة راقسوة
واخذوا السلطان والقوة والدول والحكومات في ايديهم . «
الاشتراكية عدو مبين للامبراطورية واسياسة الاستعمار ولا سيما الحكومة
المالين التي تخرب تركية وايران وسائر الممالك الضعيفة والتي أسرتهم اسرا
اقتصاديا فأسرتهم الأسر السياسي . وفي كل حين يرد الوزراء
الاشتراكيون ميزانية الجند والمستعمرات . وكذلك سياسة الخداع
والوطنية المفرطة (اعنى مذهب ناسيوناليزم) عدو لدود للاشتراكية .
ولا ريب أن نفوذ الاشراف المسيطر على العالم اليوم هدف لخصومة
الاشتراكية بالطبع .

وكنت قلت في المقالة السالفة نفسها ان الاشتراكيين في ألمانيا
وفرنسا كانوا يخالفون الحكومة في السنوات المشثومة التي أفضتها
مسألة فاس . وقد قبحوا وعابوا وأخذوا وتقدوا كل وزارة وليت
الحكم وكل رئيس ، وردوا بشدة سياسة الفوضى وطريقة الانقلاب مع
الحادثات - التي هي الميراث الضار من القرون الوسطى -

فنحن نرى ان سلطان المستقبل سيكون لهذه الحركات الحرة ،
وأن مستقبل السلطان سيتجلى في هذه الفرق . والحق انا اذا نظرت
جداول الاحصاء تبينا تزايد نفوذ هذه الحركات وقدرتها وافرادها

واعضائها دائماً وانها تتقدم بمتوالية هندسية وأن هذه الافكار الغالية تسير بخطوات ثابتة منظمة كما يتقدم الماء وقت المار لا يقف في سبيله شئ . لا توجد قوة تستطيع الثبات امام الامواج في وقت الجزر والمد . وكذلك لا تستطيع اية فرقة أو اية قوة أن تظهر وتثبت امام الكتابة المفحمة الأخاذة لهذه الآراء الجديدة . فرق اليمين قد هزمت في كل مكان وخمدت واصيبت بالعقم . وكما اخضت سياسة الاستبداد ، وسماها وتركت القوة والسلطان للحرية والشورى نرى اليوم فرق اليمين تستسلم لفرق الشمال . وكذلك نرى النفوذ ينتقل من المعتدلين في هذه الفرق اليسرى الى المتطرفين .

وانى لأرى — على قصورى — أن اشتراكاً طبعياً بين المسلمين وبين الخارجين في اوربا على الاوضاع الاجتماعية الخاضرة والاضاع السياسية تبعاً لها . فيجب ان يعرف كل من هذين الفريقين الآخر وأن يتعاونوا ويظهرا بعضهما بعضاً . حق أن بين الأسلام والاشتركية مسائل كثيرة مشتركة مثل رد العصبية واعلان الأخوة العامة وابطال الربا ، وكلاهما شاك متبرم من حال اوربا الخاضرة المؤسفة . ثم اشتراك المسلمين مع هؤلاء المخالفين في أوربا لا يتضمن مشاركتهم في العقيدة ، فهنا نحن اولاء نرى تعاون الاشتراكيين المعروفين بحرية

الفكر في أوروبا مع فرق الكاثوليك وانتصارهم على الحكومة . وفرنسا
النيابية وروسيا المستبدة اللتين تختلفان كل الاختلاف في الإدارة والسياسة
قد اتفقتا . ان الاسلام اذا شارك هذه الحركات المعرطة في المساعي
لأجل التنكيل بالخصم المشترك لا يكون اشتراكيا وكذلك الاشتراكية
اذا شاركت الاسلام في العمل لا يلزمها ان تسلم .

واذا اشتركت هاتان القوتان نال كل منهما القوة والسلطان
فلا يكاد ينضم تجارب المخالفين في أوروبا وعلومهم الى عدد الشرق
وكثرته حتي يرى الناس أن الغرب أمام مقاومة مدهشة .

فائتلاف الاسلام مع هذه الافكار اليوم يشبه « مقالة تأمين »
للمستقبل . وثقوا أن الرجال الذين يشرفون على العالم ويتحكمون
في السياسة اليوم مع العظمة والغرور والكبرياء ، واصحاب التيجان
ومن حولهم سينزلون من كرسى عظمتهم وسرر كبريائهم في اقل من
ربع قرن ، ويعدون من الميدان كما صار رجال الحكم السابق عندنا
أذلاء مشردين بعد عشرة تموز (يوليو) . كذلك ارى ان اتفاقنا مع
هؤلاء الرجال المفكرين الذين يتولون الحكم في ذلك الزمان ليس
بعيدا من التبصر والحزم .

نحن لا نتصر للاشتراكية ولا نتعصب عليها قلبي ذلك من

قصدا . ان للاشتركية مزايا وتقائص ككل حركة اجتماعية فكرية ولكننا نصنح عن هذا وننظر ما يكون لمذهب الاشتراكية على علامتها من الخطر في المستقبل ، لا نريد النقد ولكن العمل لا بد أن تقول هنا ان جماعة من أولى الفضل مثل « اميل فاك » والدكتور جوستاف لوبون قد اشتدوا في عيب هذا المذهب وأعلنوا كثيراً من تقائصه وخطاياه . وقد يكونون محقين في ذلك بالاجمال ، ولكن ينبغي أن يعلم هؤلاء المفكرون أنه ليس في العالم حركة تسلم من المؤاخذه ، كل فكر في أول أمره يؤدي الى انقلاب واختلال واضطراب وتهويش فيجب علينا أن لا نتعرض لهذا الاضطراب . أليس التاريخ يشهد أن الاسلام والنصرانية قد أديا أيضاً الى بعض الاضطراب الأساسي ؟ لو أن الدكتور جوستاف لوبون تقد هذا الموضوع بفكره النقاد الثاقب ل زاد عندي رفعة وجلالا .

قد شرحنا في الجمل السابقة حالة أوربا الاجتماعية الحاضرة على قدر الامكان وبيننا أننا اليوم في « وقفة » انقلاب كبير . نعم ! حكومة المالين الاجتماعية — والسياسية تبعاً لها — مشرقة علي الزوال ، ولا بد أن يتغير وجه أوروباعما قليل .

وطبعي أن ينضم الى هذا بعض الأسباب ، فليس الشاكون
من أوروبا هم أنصار الافراط والعمال فقط .

ففي أوروبا أم كثيرة غير مسلمة ولكنها محكومة وهم متألمون
مخالفون مثل الاشتراكيين . وان جديرا بالعناية أن الاشتراكية
تتقدم كثيرا بين هذه الأمم المحكومة .

الفنلنديون ، والروتينيون ، والروس البيض ، والبولونيون ،
ونصارى الكرج ، وأرمن الروس ، والارلنديون ، والكافزيون ،
والديناركيون الذين في شارويج — هولشتاين ، والأقوام التي في
النمسا وقد يكون المجريون معهم والفرنسيون في الألزاس واللورين ،
وأهل كاتولونيا ، والمالطيون وأهل قرشيقه ، حتى أهل ايسلاند —
كل أولئك يتدمرون من حالهم ويرتقبون لأوروبا سقوطاً شنيعاً

وفي غير أوروبا وفي العالم الاسلامي مئات الملايين من البشر
يشكون من أوروبا ، أهل الصين ، واليابان ، والهند الصينية التابع لفرنسا
— أعني أهل أزام ، وطونكيين ، وقامبوج — ، وأهل الهند المجوس
المتظلمون تحت سيطرة بريطانيا والماليزيون غير المسلمين الذين يتنون
تحت سلطان الفلمنك ، وغير أولئك كلهم يؤلفون جيشاً عدوا لأوروبا
والخلاصة : ان بين المسلمين ، والنصارى المتدمرين في أوروبا

والأقوام غير المسلمة الساخطة في غير أوروبا ، والاشتراكيين اتفاقاً
طبيعياً متيناً . ويجب أن يحكموا الروابط التي بينهم ويشكلوا المراكز
والجمعيات المشتركة ويظهروا مطبوعات مشتركة ويسعوا الى ايجاد
آداب مشتركة كذلك ثم ينشروا الأفكار التي يجمعون علي
تصويبها .

ونحن نرجو من الجميع الهمة في هذه المسألة ، ونتمنى لهم
السعادة المشتركة

اتحاد المسلمين واقع الآن حقاً

قلنا في أحد الفصول الماضية ان الاسلام تتضمن قواعده الاتحاد
وان هذا التركيب « اتحاد المسلمين » فيه بعض الفضول . أجل !
ان اتحاد المسلمين موجود ولا ريب وليس المسلمون على وجه الارض
في حاجة الى خالق جامعة اسلامية باتفاقهم ، كما اجتمع السلاف وكونوا
الجامعة السلافية ، واتفق اللاتين فأنشأوا الجامعة اللاتينية ، واتحد
الالمان والاقوام القرية منهم فأظهروا الجامعة الجرمانية ، لأن اتحاد
المسلمين واقع وموجود حقاً لا يحتاج الى صنع وعمل

الاخوة الاسلامية أمتن وأثبت من كل اخوة لان الاسلام

معناه الاتحاد - كما قلنا مراراً - . وقد اجتهد مذهب الكاثوليك عبثاً وسعى الى الاخوة الكاثوليكية فلم يوفق ، ولكن المسلمين لا يرون بعضهم أجنبياً من بعض ، فنحن لانزوج بناتنا بآرنا غير المسلم بينما لا نتردد في تزويجهن من أحد ائقادمين من الهند أو داغستان . وكذلك نرى تزوج امرأة غربية فى لسانها وكنسها أمراً ، ألوفاً عند وفى كل أرجاء العالم الاسلامى بينما نكر تزوج المسلمين بنساء غير مسلمات . المسلم حيثما كان من جهات العالم الاسلامى يرى نفسه فى داره ، ويلقى حيثما سار معاملة الاخوة والقراة ، والمساجد مأوى لكل مسلم بلا تفريق بين قوم وقوم ولغة ولغة . وما كان المسلم المسافر ليعد نفسه غريباً فى أية مدينة اسلامية .

للمسلمين أخلاق وآداب مشتركة ، أما البروتستان على اختلافهم والكاثوليك فليس تجمعهم مثل هذه العادات المشتركة والآداب والأخلاق .

هذا الاتحاد فى الاحساس جدير بالعناية من كل وجهة . ليس بين المسلمين نوعان من الاحساس ، وان قلوب أكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين لتتجذب الى قطب واحد وإلى نقطة واحدة وهذه الجاذب هو أكبر ما يقرب المسلمين بعضهم الى بعض .

كان الحكام المستبدون والامراء - قلنا ذلك مع الحزب
والأسف واللوعة في الفصول السابقة - قد فرقوا الاسلام وأبعدوه
من سننه الحكيمة وأخرجت المطامع السياسية والمنازعة على الغلبة
- وأسفا - ديننا الحنيف من طريقه . على أن وجود المسلمين في رعاية
دول أوروبا أو نفوذها في هذه الأزمنة الأخيرة أزال هذه المطامع
وأحيا فكرة الأخوة التي تتضمنها قواعد الاسلام . وانما تشتد الحاجة
الى الاخوان في المحن والمصائب « وفي الليلة الظلماء يفقد البدر »

فقد تجلت ع. اطف الاتحاد والاخوة حينما عركت المسلمين
المصائب ودهتهم الآلام والأحزان ، فالיום يظفر العالم الاسلامي
بالصلح والمصالمة .

قد تمكن الصلح بين المسلمين في هذا العصر أكثر من كل
العصور ، فلم يفرقهم في زماننا أى اختلاف داخلى
يجب أن نحافظ على هذا الاتفاق ونرد مكائد الأجانب الى
نحوهم . ان الأجانب في الصين ولا سيما المبشرين يسعون بين الناس
بالعداوة والفرقة ليجعلوهم شيعاً ، فعلينا أن نفكر في هذا جد التفكير
ونعد ما نستطيع من قوة ونعرف ان الفرنج أعداؤنا فنحذر شرهم .
ان الذى نستطيع عمله هو انتظار المستقبل السعيد الوضاء بعنايتنا

بالاخوة الاسلامية . ويجب أن نحيا جميعاً بهذا الأمل ، وأن نعلن
عن الاخوة الاسلامية في كل فرصة . ان المسلمين جماعة مغربة
بالموسيقى قد تعودت الضرب على نغمة واحدة وأنما يعوزهم لاجل النظام
والتنسيق رئيس جوقة ، وذلك (فكر الاخوة والاتحاد) . فيجب أن
يعم هذا الفكر وينشر كل يوم وكل ساعة . فليعرف المسلمون بادىء
ذى بدىء انهم جماعة بشرية عظيمة تشمل اكثر من ثلاثمائة مليون ،
وان هؤلاء الجماعة المعظمة ماضياً عظيماً وسيكون لها مستقبل أعظم
وأبهى ، وأن ذلك يجب أن يكون .

الاسلام أكبر قوة في العالم وأعظم رابطة ، ولكن هذه القوة
أئمة الآن ، لم تمت ، ولم ينقص عددها بل عظم شأنها . ليس في
العالم قوة متحدة لا تزول عن قواعد الوحدانية ولا تنفصل ولن تنفصل
مثل الاسلام ، وان الأرض والاقليم والزمان والخضوع لسلطان
الاجانب ، والحكم والاحوال الاقتصادية واللغة ان تضعف المسلمين
أبدأ بل — على العكس — تباعد المسلمين بعضهم من بعض وعيشتهم
في أسر النصرانية وحكمها — كل ذلك يزيد عاطفة اتحادهم ، والخضوع
للاجنبى يقوى الرابطة الاسلامية أكثر من التبعية الطبيعية .

ان المسلمين حتى في سلطان الأجانب يحافظون على القانون

الاسلامي في مسائلهم الخاصة ، والحقوق الشخصية التي تسمى « ستاتوبرسونل » واحدة عند كل المساهين في أى أرض وتحت أى سلطان نصرانى : فالجاويون البؤساء المرهقون في سيطرة الفلمنك ، وأهل حيدرآباد الباكون تحت حماية الانجائز ، والجزائريون المتوجعون في أسر فرنسا ، والتتار المرتعدون تحت عسف الروس - كل أولئك يتزوجون على سنن وقوانين واحدة ويؤلفون الأسر ويتركون الميراث ولم تجرؤ أية دولة نصرانية أن تتعدى هذه الحدود

يجب أن تقول هنا لقرائنا بكل جد واهتمام ان أوروبا كلها تفهم قوة الاسلام وتخاف منه كثيرا وقد ظلم الاوروبيون الدول الاسلامية وحاربوها وماكوا بلاد المساهين ولكنهم يدعون الاسلام حراً في كل حين ، ولا يستطيعون الدخول الى هذا الحريم ، ولا يطمعون في محو الاسلام وانهم ليراعونه خوفاً ، ويعظامونه وجلاً . قد أعلنت حكومة الروس حرباً على الكاثوليك ولم ترخص لطائفة من رعاياها أن يظلوا خارج الكنيسة الروسية الرسمية ، واقتربت ضروباً من المظالم اذعدت الاروام التابعين لكنيسة روما و « الاونيات » من الارثوذكس . ولكنها لم تجسر على مثل هذا مع المسلمين قط . لقد بقي خوف المسلمين في أعماق قلوب النصارى منذ الحروب الصليبية ، وان كثيراً

من أمراء النصارى ليحذرون الاغتهاء على الاسلام من أجل هذا الخوف وهم لا يشعرون ، لم يكافوا مسلماً أن يتنصر في حين انهم دعوا الأتقوام الأخرى للدخول في حظيرة النصرانية

هل يجب — سياسة — أن نضم هذه الأفكار الاتحادية الاسلامية أو يجب اظهارها ، ان اضمارها عبث في اعتقادي . انا ليؤسفنا أن توجد في استانبول الفاسدة جدا عاطفة الخوف من الاجانب هذا فضول لا حاجة اليه بل هو ضار ، لانه يعود كل انسان ضرباً من الرياء . الحق ان أوروبا تعلم أفكار الاتحاد عندنا ، فأى فائدة في اسرارها . عجيباً . هل يخفى أفكارهم البولونيون والفلانديين والارلنديون الذين لهم آمال مشروعة طبيعية في

انا لرى الانتصار للاتحاد الاسلامي علانية يوجب لنا الرعاية والحرمة . لا حاجة للرياء في قضايا الأمم والمسائل العظيمة . ان الخداع لا يكون فضيلة الا في وزارات الخارجية والسفارات ، أما فيما عدا ذلك فالنفاق عار وعيب في كل حال

المسلمون والانحطاط

هل المسلمون جماعة بشرية بالية قد انطفأت فيها قوة النماء ، ولم
بق لها كفاءة واعتمادات الأسر ، وفقدت الارادة وضعت من كل
ناحية كما يزعم « جول لومتر » ؟ يا عجباً ! وهل المسلمون قد حرموا
الاستعداد الذى يمكنهم من اظهار اتحادهم المرجو ، ها كم نتيجة
أبحاثنا الفكرية والعملية التى ظفرنا بها الى اليوم .

فى العالم الاسلامى وبلاسيما طبقاته العليا كثير من الفساد ، ومن
هذه الوجهة قد خربت استانبول ، ومثلها حواضر ايران ، وقاهرة
مصر ، وطبقات الهند العالية . ولكن ما مبلغ هذه المداثن ، وهؤلاء
الضعاف الخراوع فى أمة عددها ثلاثمائة مليون مسلم ؟ عجباً ! هل تبلغ
الطبقات الفاسدة جزءا من مائة فى العناصر السايمة ؟ ! ..

ان ضغط أوربا وتضييقها ترك المسلمين فى جهالة وفى هذا فائدة
من بعض الوجوه ، فانه لا بد للفساد من بعض اصباغ المدنية ، فقد
منع حرمان المسلمين من المعارف بعض النساد عنهم . ليس رأس
المسلم يتعبا ، وقد زادت قوته النامية كالارض التى لم تزرع منذ عهد
بعيد . وقد وفق السلاف الى أعمال كثيرة فى طور نهوضهم منذ عهد

بطرس الاكبر لانهم كانوا بعيدين من الاشغال الكثيرة المتعبة
قرونا طويلة كالارض غير المزروعة . كذلك المسلمون بل هم أحسن
حالا من هؤلاء .

لا بد أن تقول بعد أن أزلنا اللبس ، و بينا مواضع الفساد والصالح
ان قوانين الاسلام العامة وقواعده الجامعة تقف سدا من الحديد
عظيما أمام المفسد والذائل . وقد وقى القرآن العظيم آلافا مؤلفة من
البشر وحاهم من المفسد مثل أقوى « تأمين » في حين تخرب الحخر
والعالل الزهرية عالم النصرانية وجهات آسيا وأفريقية التي أفسدت
النصرانية وعاثت فيها .

لقد أحسن الاسلام الى البشر كل الاحسان اذ حرم الفواحش
وحظر المسكر ؛ كل مؤلفي أوروبا المتضلعين بمسائل آسيا وأفريقية
والذين قرأت مؤلفاتهم الى الآن يجمعون على هذا بلا جدال حتى
السياح والكتاب الذين يظهرون للاسلام أشد البغض والعداوة ،
فهم لا يكادون يبحثون في هذه المسألة حتى يعترفوا بهذه الحقيقة

الحخر والأمراض الزهرية تخرب في أوروبا والأراضى التي تسيطر
عليها أوروبا — تخريبا يهدد بنيان البشر المتين ، ولقد تظاهر من هذا
علل وأمراض قاتلة ولا سيما مرض السل ، وتفسد الأخلاق والنسجايا

وتحل رابطة الأسرة والجماعة . ولكن النصوص القرآنية القاطعة
آذنت هذه الممالك « المدنية » بحرب ضروس في غير ضجة ولا
ضوضاء فغلبتها وهزمتها .

اعتمادنا ان المسلمين يحافظون على سلامتهم من كل جهة وانهم
ليسوا ضعفاء ولا مرضى . وكأنهم قطعة من ألماس كبيرة لم تنلها يد
الزينة : فلا يكاد ينظمها جوهري صنع ويعطيها الاشكال الهندسية
حتى تلمع لمعانا يعشى العيون كالجوهرة « جبل النور » التي في تاج
الانجليز .

المسائل الاسلامية المشتركة

— الخلافة —

آية مسألة عظيمة ! آية قوة هائلة ! . نعيد هنا ما قلناه في مواضع
مختلفة : قد أحيا الساطان سليم الخلافة حينما زالت حكومة العرب .
فالعرب والمسلمون جميعا مدينون بالحمد لهذه الأسرة العثمانية . انما
تعظم القوة الروحية اذا دعمتها القوة ابراهيمية ، وما كان للخلافة شأن
حينما ذهب قوة الخلفاء المادية ولم يكن لآخر خليفة يتشبه بالأئمة في
مصر حول ولا قوة . واذا ذاك ولى الخلافة سلطان عظيم من أولى

العزم ينتصر لاتحاد المسلمين مثل السلطان سليم ، واذ ذاك عظمت
الخلافة ؛ وانما يوجد أمل الاتحاد في العالم الاسلامي اليوم بهذه الخلافة
الاسلامية العثمانية التي لا منازع لها ولا مزاحم

ان للخلافة لقوة وشأناً وسلطاناً وانما يهمنا أن تقدر هذه العظمة
حق قدرها وأن نستفيد منها كما ينبغي . ليس في العالم مقام يطاع
طاعة الخلافة وانما تتجلى عظمة الخلافة وشوكتها في خارج الحدود
العثمانية .

ان الخلافة والخليفة قوة تكاد تعد مما وراء الطبيعة في ممالك
اسلامية كثيرة بل في كل العالم الاسلامي

من أجل ذلك يسعى الاجانب ودولة انجلترا خاصة الى اضعاف
سلطان الخلافة . وكثير من كتاب الأجانب بحث في الخلافة من
جهة الشرع وجعل الذات الشاهانية دعياً في الخلافة . ان الانجليز
والفرنسيين ليعلمون أن الخلافة مظهر الاتحاد الاسلامي حقاً فسيوجهون
اليها كل بغض وعداوة وان اكبر آمال الانجليز السعي في تفريق
المسلمين من هذه الناحية . ألا يعلم الساكنين ان الخلافة شجرة ابدية
اصلها ثابت ، تستمد قوة عماها من التاريخ ، ووشائجها في فؤاد كل مسلم
وانها شجرة لا تموت ولا تدبل . كل مسلم يريد ان يرى نبيه ممثلاً في

حمام الخليفة وشماله سواء في ذلك المقيم في مجاهل سبيريا الباردة ،
والساكن في سواحل بحيرة شاد الملتبة . ان الخليفة أعز عزيز عند
المسلمين ، والخلافة قطب الأسلام يدور المسلمون جميعا منه حول
نقطة جذابة .

الانجليز وهم اصحاب الفكر العملي المعروف لا بد أن يعلموا
علم اليقين ان الاساطيل والجيش وقناطير الاموال ومكائد السياسة
انما تغني في المعارك المادية وليست الخلافة مرتبطة بالماديات . اذا تمكن
محو الأسلام اليوم فهناك قد يمكن ان تزول الخلافة ، واذا استطاعت
الدردنوطات العظيمة ان تبطل الخلافة وتزيل الحكومة العثمانية
فانها حينئذ تزيد الخلافة عظمة على عظمتها ، وهنا لك يبدأ «رد فعل»
أمام اوربا ويكون الخليفة الذي يظهر في الميدان أقوى من أكبر
ملوك العالم

انجلترا تريد أن تخلق خلفاء من صنائع اموالها في مكة ومصر
جهد استطاعتها . وان سعى الانجليز الى ذلك قبل ان يعرفوا ما عسى
أن تكون صفة هؤلاء الخلفاء عند المسلمين - لأ أكبر دليل على
سقوط الانجليز . وكذلك فرنسا التي تقلد انجلترا في السياسة

الامبراطورية تريد ان تعظم سلطان فاس المسكين الملتجئ لحمايتها
فتجعله خليفة ، على ان دعوة الادارسة لا تتعدى حدود فاس واهل
تونس والجزائر مخلصون للخلافة كل اخلاص ،

يتبع جلالة السلطان في الدين اكثر من ثلاثمائة مليون غير
العشرين او الاثنين والعشرين مليون بقية السيوف في الدولة العثمانية
ولو علم الرجال العثمانيون مكانة متبوعهم هذه ايام كان يركع السفراء
في حضرة عظمتهم لعرفوا ان لهم في العظمة حقا اكبر من ذلك .
الاسلام يتضمن الاتحاد ويحتمه . وحيثما وجد من يعوق هذا الاتحاد
فلا ريب انه الكفر البواح ؛ ولكنه كفروخيم العواقب عجم النتائج ليس
كبيرة يرتكبها السكران بكامة يفوه بها في سكره . فليعلم المخدوعون
والمفتونون بالموال الاجانب في مصر وسائر الممالك العربية انهم بهذا
المبل يكفرون أعظم كبر وليعلم اخواننا في هذه الاقطار ان هؤلاء
الادعياء الختفين هم اعدى اعداءهم .

قد نسمع اليوم أن بعض طوائف الاجانب يجهزون حضرة امير
الافغان لدعوى الخلافة كانه اذا زالت الحكومة العثمانية احتفظ امراء
الافغان بهذا المنصب ، ونحن لانظن حبيب الله خان المعظم يغفل
هذه الغفلة امام مكر اوربا السيء . وانه يسعى الآن لابطال اعمال
الاوربيين على قدر طاقته بعد أن علم هذه المكائد .

وقصارى القول : ان الخلافة العثمانية يطيعها معظم المسلمين وأن كل بناء للاتحاد فائما تدعّمه شوكة الامامة . ويجب أن يفهم المعارضون حتى الروافض انه لا بد من الرضاء بهذه الامامة حتى يتعاونوا أمام أعدائهم ويتحدوا ، وانهم ليعرفون ذلك

نحن مضطرون مع الاسى والحزن أن نلفت اليك نظر المؤاخذه في هذا الفصل الذى عقدناه لمسألة الخلافة . الخلافة عندنا تحسب عدداً مهماً مثل كل شىء فى ديارنا فشيخة الاسلام لا تبلى بان تعرف انها « النظارة » الوحيدة للخلافة الاسلامية ، وتعني بأمور التكليات والزوايا الحقة وتوزيع الجرايات هل يعلم أصحاب الأحذية الكبيرة منا كم عدد المسلمين فى العالم ، ومن هم ، وكيف حالهم الآن ؟ ألم يكن فى وسعنا أن نجتهد فى أمور مجدية بدل أن نعكف على ترهات منقولة لا غاية لها وعلى ضروب من السفسطة تبطل الحس والعقل وكلام هراء لغو لا معنى له ؟ ان مشيختنا كحكومتنا وادارتنا ومعارفنا ومدارسنا وقضائنا محتاجة الى أن تهدم ثم تبنى مرة أخرى . لاأظن ن ورثة النبي من العلماء اللاحقين بهذا الاسم يرضون هذه الحال ! انه لنتظر من هؤلاء الوارثين حقا أن يوقفوا الناس ويصلحوا الامور وينظموها ويعملوا شأن الاسلام ، وان لنا لرجاء وثقة أن يهبوا من

تلقاء انفسهم ويعلموا حريا على هذه الحال الدلية حتى ينقذوا شرف الاسلام والمسلمين .

المسائل الاسلامية المشتركة

— الحج —

ان كان في العالم أمر يحير العتل في متانة قواعد السياسية ورصانة سننه الاجتماعية فذلك هو الاسلام ولا ريب . لا اقول هذا بلسان مسلم بل قول مؤرخ . ان الحج شرعة لم يشرعها دين أو قانون غير ديني الي الآن . ومن أجل ذلك كان الحج فرضا سياسيا اجتماعيا فهناك فقط يرى المسلمون بعضهم بعضا وفي المطاف المقدس حول الكعبة لا غير يستطيع الاخوان أن يتواعدوا . ان اجتماع المبعوثين الذين يرسلهم مسلمو العالم جميعا في يوم معين مسنون ، وتبادلهم الافكار في المسائل المعضلة الحاضرة أمور ذات فائدة اعظم بها من فائدة ! . لا أظن وسيلة تقرب المسلمين بعضهم من بعض وتمكنهم من التعارف فتحكم الرابطة بينهم مثل فريضة الحج ! وبهذه الفريضة لا يبقى المسلمون اجانب بعضهم من بعض . وناهيك بزيارة الكعبة المعظمة في زمن محدود مسنون . وفي جبل عرفات يبرم أمم من اسباب الاتحاد

فبقى اطرافه بأيدي المسلمين في أقطار الارض الأربعة وإنما معتمد هذا الجبل في المسجد الحرام .

نحن نستطيع أن ننال مقاصدنا العلي وآمالنا المنزهة المطهرة اذا عطينا بهذه الفريضة الدينية . جبل عرفات اكبر « برلمان » للحكومة الاسلامية وانا نلرجو الا يكتفى الخطيب بقراءة خطبة في قالب واحد لا يتغير على الاخوة الملبين ، وانا نلرجو أن يلقى في قلوب المسلمين المجتمعين هنا لك عاطفة الأمل المشترك بلسان بليغ وقول مبين ، وأن تجاب دعوة الاتحاد بالاصوات المرتفعة من كل ناحية « ليك لبيك !... » الحجاز ألزم للسلطنة العثمانية من المضايق (البوغازات) مائة مرة . وللدولة العثمانية عاصمتان : القسطنطينية ، ومكة المكرمة ، حتي اذا ترك السلطان المعظم قصره في ضو له بانجه واختار الإقامة في مكة فعمسى أن يزيد قدره ومنزلته عشرة أضعاف .

وا أسفا ! ان رجالنا الحاضرين بعيدون من تقدير خطر المسألة الحجازية .

ليس الحجاز جديرا بالاهمال ، يجب أن تعمر مكة المكرمة حتي تليق بأن تكون عاصمة دولة يتبعها أكثر من ثلاثمائة مليون ويجب أن يكون فيها كل أمور المسلمين العظيمة ، وأنفع مطبوعاتهم

ومجالس اجماع الأمة وغير ذلك . لا حاجة بنا الى السعي في نشر كلمة الاتحاد فان اخواننا يأتون الينا من كل فج عميق ليتضوا هذه الفريضة الدينية في مكة المكرمة ولا يكافوننا أن نذهب الى أرجاء العالم الأربعة .

قد عظم النبي صلى الله عليه وسلم فريضة الحج لممكن الأخوة ويحكم الاتحاد بين المسلمين ؛ فأول فرض علينا اليوم أن نرجع الى هذا الاساس المتين ونحيي هذه السنة الحكيمة . ان المعارف التي تفيض من هذه الأرجاء والافكار التي تضيء من جوار الحرم الشريف لتبلغ في شهر واحد آذان المسلمين في أقصى زوايا العالم حق ان اهمال الانتفاع بهذه المسألة العظيمة خطأ كبير واهمال لم يعرفه التاريخ الى الآن .

اذا استمرت هذه الحال الحاضرة ولم ننظر الى مكة المكرمة فاكبر ظني ان المخالفين يجدون الجو خالياً فيستطيعون أن يعملوا كثيراً من الأعمال التي تحول دون الاتحاد أو تؤخره علي الأقل والحق ان هذه الحيل والمكائد تدور في الحجاز الآن . قد علم الاجانب قدر الحج أكثر مما نعلم ولم يقصروا في تدبير الفساد ، فلانرجح في بيت الله كل صنف من الجواسيس . وفي مكة المكرمة

وا أسفا ! رجال تغويهم الاموال سريعا . عجبا ! أليس خيرا لنا أن
تعطى حكومتنا هؤلاء الرجال أضعاف ماعسى أن يأخذوه من الاموال
قصارى القول ان الحج وفكرة الاتحاد الاسلامى توأمان .
كلاهما مرتبط بالآخر ، وكلاهما يحصل مع الثانى اليوم وغداً . يجب
أن نوجه اهتمامنا وعنايتنا الى جهات عرفات . ولئن كان أولومب فى
أساطير الأولين جبلا ملؤه الجلال والعظمة فكذلك عرفات للمسلمين
جبل يجمع المعالى ملؤه الرجاء والأمل ، وانه لأعظم قدرا من قطعة
واحدة من المأس فى مثل حجمه .

المسائل الاسلامية المشتركة

المعارف الاسلامية العامة

علاء الفكر موقوف على تعميم المعارف ، فعلى اصلاح المعارف
الاسلامية العامة لاجل نشر فكرة الاتحاد . ان لنا اليوم معارف
اسلامية عامة ولا ريب ، وهي معارف على نسق واحد ، فأس التربية
الاسلامية قراءة القرآن ، وبعد الحافضة على هذا الاساس تتغير
أساليب التربية والتعليم قليلا فى البلاد المختلفة . ولكننا نكرر أن
الاساس واحد . يجب أن نفكر كيف نستفيد من هذه المعارف على

الوجه الآخر . عسير جدا أن نوقظ العالم الاسلامي بأساليب جديدة تخالف أساليبه كل المخالفة وكأن ذلك محال ، علي حين أن اصلاح الموجود أسهل وأقرب وثمرته أعظم . من أجل ذلك يجب أن نجتمع علي قاب المعارف العمومية الاسلامية ، وأن نستفيد من الواقع . في كل جهات العالم الاسلامي مدارس لها أوقاف ، فاليوم نستطيع أن نحل مسألة الاوقاف الاسلامية حلا حكيما ، فاذا استبدلت الاوقاف علي السنن الشرعي ، وخصصت الاموال المجتمعة منها بالمعارف الاسلامية فيقيني أنه لا يمضي ربع عصر حتي يكون المسلمون أمة قوية مدهشة . ان الاوقاف التي في تركيا وحدها تغل مائة مليون فرنك تقريبا في حساب دوبلويج المعروف — وهو حساب تؤيده ابجاثنا — . هذه الاموال كلها للمسلمين ، فاذا أحسنت ادارتها وخصصت بالمدارس الابتدائية الاسلامية فقد بلغنا من الرقي درجة عالية ومنزلة سامية

في كل ارجاء العالم الاسلامي اوقاف ومدارس كهذه ، فكروا مرة في اصلاح المدارس ! ان تطبيق تربية اسلامية علي نسق واحد . بيدنا من طلبة العلم الذين لا عمل لهم اليوم — رجالا أقوياء اشداء ثارئين كاتبين جاسبين ، مطلعين علي احوال الزمان يقظين ، عارفين

بما حولهم ، يربون الاجيال المقبلة واني لو اتق انه لا يمضى خمسة وعشر زن عاما حتى يقارب الشرق الغرب جدا فى المستوى المادى والمعنوى .

يجب ان نضع قواعد المعارف الاسلاميه المشتركة وان نجد فى البحث عن الوسائل التى نستفيد منها فى حالنا الحاضرة .
ويجب ان تبني كبرى الجامعات فى العالم الاسلامى حول المسجد الحرام .

ويجب ان تفيض من مكة علوم اسلامية جديدة وفلسفة اسلامية جديدة كما طلع الاسلام من مشرق البطحاء ، ثم تسطع فى الآفاق الاسلامية كلها . يجب ان يكون الحجاز مركز المسلمين العالمى لا مركزا دينيا فقط . اليهود يجدون ليجعلوا القدس الشريف مركزا للتربية . كذلك يجب ان نجعل مكة أكبر مراکزنا فى التربية والعلوم والآداب والفنون . ويجب أن تظهر منها اجل المطبوعات الاسلامية ، والصحف اليومية ، وأن تجتمع هناك أكبر جمعياتنا . كان الكابول مكان اتحاد الرومانيين وكان الأكر و بول رابطة أخوة بين اليونانيين ، فلم لا يكون جبل عرفات فى عصرنا مأوى تهوى اليه افئدة المسلمين ؟

المسائل الاسلامية المشتركة

— الاداب الاسلامية وغيرها —

نحن في حاجة الى آداب اسلامية مشتركة تربط بعضنا ببعض،
يجب ان تنشر في جميع الاقطار الاسلامية افكار واحدة تكون موضع
البحث والمناظرة في كل مدائنه ، فهذه الآداب المشتركة يعرف
المسلمون في المغرب اخوانهم الذين في المشرق ويعلمون امورهم المختلفة
حتى لا يرى أى أمر اسلامي واى مسألة اسلامية من الغرائب فى اى
بلد اسلامي .

لا بد من اظهار آداب عملية صحيحة جديدة حتى تنفذ فكرة
الاتحاد الاسلامي الى اعماق النفوس وتثمر ثمراتها ، وحتى تنتشر معلومات
توقظ المسلمين وتبعثهم من مرقدتهم . لا يمكن الرجوع الى السنن
الاسلامية ولا يتاح ايقاظ الافكار بغير هذا السعي . قد اذاعت
المطبوعات في الارحاء كلها الافكار الحرة وعممتها حتى اثمرت ثمراتها
السياسية ، والروايات وسارح التمثيل ، والقصص والتاريخ ، والآثار
الاجتماعية والاقتصادية والمناظرات الادبية لها شأن عظيم في هذا
السبيل . واني لا اغتبط بسعادتي ان كانت هذه الرسالة سبباً لظهور
هذه الآداب

وكذلك ينفعنا جداً أن نصور الخطب صورة حسنة مؤثرة
موافقة للزمان والمكان ، ويجب أن تبدأ الخطب باللغة العربية ثم
تستمر باللسان الوطني . ليس يصح أن يترك الخطباء يجمعون الخطب
من كل واد بل يجب أن يعتني أحد المقامات العالية — ويصح أن
يكون مقام المشيخة — بأصول الخطب حتي تكون موقظة للمسلمين ،
وأن يرسل خطباً عامة الى كل اقطار الاسلام . كل مسجد قائما هو
محفل أدبي سياسي اجتماعي ومربي لعامة المسلمين . لو رجعنا الى
المقصد الحكيم الذي أنشئت له المساجد لعرفنا انها محافل قيمة أريد
منها تكامل المسلمين . لا بد أن نستفيد من المساجد الكثيرة والمدارس
والعلماء والطلبة ومن الأوقاف ومن كل الوسائل التي نجدها . ان في
أيدينا لأموالا عظيمة ولكننا ندفعها في الثرى كأهل الزمن القديم فلا
نحن نستفيد منها ولا ندعها للناس ، وبعد فالجوامع والمساجد والمدارس
والعلماء والطلبة والزوايا والتكايا والأوقاف — كل منها مال في أيدينا
يجب أن نتميه ونكثره لمصلحة المسلمين ، فليس هذا الضرب من
الربا بحرام .

الاسلام وعداوة النصارى

بغض المسامين من تقاليد النصرانية القديمة فقد انتقلت العداوة
لمتكنة من عهد صلاح الدين الابوبى عن الآباء والاجداد الى
الاولاد والاحفاد . . وازداد البغض والحقه وثبت وتمكن فى التاريخ
كلما تجددت الانسال . وتغيرت الاطوار وتبدلت القرون ومضى عصر
الصليبيين ومحكمة التفتيش وتعذيبها بالنار ، وأوسع المجال للحرية الفكرية
فى القرن الثامن عشر ، ونشرت الثورة الفرنسية الكبرى كثيراً من
الافكار الحرة ، وفشا الاتحاد والمذهب الطبيعى ، وعرف التسامح
ولكن لم ينل هذا البغض وهذه العداوة تغير ولا تبدل . لقد شهرت
حرب البلقان رسماً باسم الصليب مرة أخرى فلم يغفل الاوربيون
عن مظاهره المتفقيين ومعاونتهم بهذا الاسم أيضاً .

ان الاحساس الذى تنقشه القرون الطويلة على القلوب لا يسهل
محوه . والناس يدلون افكارهم مرات كثيرة شأن الفطرة والمزاج ،
ولكن ليس فى طوق الانسان ولا فى ارادته القدرة على تبديل
الاحساس كما يبدل افكاره . حتى أن الفرد اذا أراد أن يغير احساسه
بقوة المنطق والحقيقة لم يجد ذلك سهلاً يسيراً . فكل انسان من
هذه الوجهة روح منطقية وأخرى حسية . كثير من ذوى الافكار

الحرّة يخرجون على النصرانية كل حين فاذا عرضت في محهم مسألة
الاسلام غيروا اقوالهم بغتة فهم في احساسهم لا يمتازون عن الرهبان
كثيراً

هكذا تضرر لنا أوربا العداوة والبغضاء ، فأكثر الاوربيين
عدو لنا ولو كانت هذه العداوة ضارة بهم . لا يمكن تكليف الغرب
والعالم النصراني ترك هذا الاحساس ، ولا فائدة في هذا التكليف
لان الاحساس لا يصفى للاوامر ، والطبيعة لا تبدل في سنة ولا في
خمس سنين ولا في مائة سنة .

اليوم يستقر في طبع كل نصراني وحياته مقدار من عاطفة اهل
الصليب وبطرس الراهب ، والجزويت الذين اقترفوا ضروب المظالم
في اسبانيا . تلك عداوة تمكنت في السجية ، فارقة ماء وجوهنا
عبثاً لهداية أوربا وتأليفها لا يجدينا بل هو مضر بنا . وانما تكسر
حدة المطامع الأوربية قوة الاتحاد فقط . وانى يستطيع صرف
السباع عن قرمها - بالكلمات والنصائح ؟ كذلك يقف امامنا عدونا
الغرب . ان الضعيف الذى تنشب فيه مخالب حيوان ، فترس يضطرب
ويجاهد بيده ورجليه مع صياحه واستغاثته ، فكذلك يجب أن
يجتهد الشرق ايخاص من اظفار الغرب العقور .

هذه العداوة تتجلى في صورشتي : في الكلام والمعاشرة
والمعاملة والفن والمنطق والشعر وآثار الأقلام . وفي كل مسعى تظهر
فيه اعمال البشر يمكننا ان نرى هذا البغض بغير تفتيش ، ونستطيع ان
نعثر على شدة هذا البغض في كل اعمال أوروبا .

التاريخ والقانون الدولي يرينا هذه العداوة من كل ناحية . وانا
لنرى بعض الامم الصغيرة التي لم يمسهنا منا ضرر ما والتي ليس لنا
بها اية صلة — تعادى المسلمين كما تعادىهم فرنسا وانجلترا وروسيا
اريد أن اقول هنا اننا امام هذه المسألة نجد (... ملة واحدة)
هذه المسألة مجال واسع للبحث لا تدرك غايته ، ولكننا لا ندخل
في هذا الموضوع من الوجهة النفسية (مع الاسف) ، وانما نكتفي
ببيان حظنا في القانون الدولي عند أوروبا وانصارى

الاسلام والقانون الدولي

بينت في كتابي « رأي في القانون الدولي » الذي طبع منذ
مدة ان حقوق الدول ليست واحدة بل هي اثنتان : احدهما القوانين
التي تراعى بين الاوربيين ، والاخرى قوانين شرعت لاجلنا ، وقد
استشهد اقوال ومؤلفات اعظم علماء أوروبا ، وافعال اكبر ساستها .
يمكننا أن نبين في كلمة واحدة كيف تقابل أوروبا العالم الاسلامي

من الوجهة القانونية ؛ فالحكومة العثمانية والمسلمون كافة خارج القانون . -
hors la Lois . وكل المدونات القانونية والحقوق الموضوعة
والنظم المتعددة فهي لاجل أوروبا فقط ، أما نحن معشر المسلمين
فلسنا منهم ولا نتسب للأسرة الغربية النصرانية ، ولا نتربى تربية
أوروبا ولا ندين بأخلاقها ومدنيتها ولا نتبع آداب الغرب في المعاشرة
والعادات ، ولا نحس احساسه ، فلا يمكن أن تشمانا هذه القوانين
التي وضعتها أوروبا ودونتها الأوروبيين

تبيح شرائعنا الحاضرة نوع الحيوان للإنسان وكذلك يرى
الأوروبيون أن قوانينهم لا تجب مراعاتها إلا بينهم ، وأن غيرهم
حيوان تباح نفسه وعرضه وماله ووطنه وهو نوع من النقطة . وان
البغض النصراني الذي بيناه قبلا ليظهر بأجلى مظاهره في ساحة الحقوق
أعني في ميدان السياسة . فأوروبا تتغير في المعاملة التي تتحصل بنا ،
وترجع الى نظريتها الاولى نابذة كل الحقوق جانبا ، وكأنها تنزل الى
درك الوحشية والهمجية

هذا التوحش المدني قد لطف كثيرا بآثار الصناعات العملية التي
تسمى « تيقنيق » فظهر الظلم في شكل هندسى رياضى قانونى قبي .
وانما يراد لأهل الاسلام كلهم - وبعبارة أصدق لغير النصارى -

الزوال والفناء أو الاسر والشقاء . كل أوروبا متفقة في هذا السبيل ،
وان الاتفاق الطبيعى بين الدول المختلفة لأقوى من كل ما تقرره
المؤتمرات في جلبتها وضوضائها .

ذلك المصدر والمنشأ النفسى لهذه العقود العتيقة المسماة « الامتيازات
الاجنبية » . ان أوروبا لم تبلغ من المدنية درجة التسوية بين البشر
كلهم فى قوانينها

قد رأينا فى التاريخ أمثلة كثيرة تشهد بان الرقى يكون أول أمره
رقيا عسكرياً ، ثم يكون بعده الكمال الحق والرقى النفسى الاخلاقى
فاوروبا لا تزال فى طور « الرقى المفترس » ورأس الاوربى لا يفهم
الطائنة والراحة والاخوة بين الأمم ، ولا يدرك أن البشر نوع واحد
فلذلك لا يفهم أن القواعد الحقوقية عامة شاملة . ان تاريخ أوروبا
الذى سار الف عام بين الدماء والمطامع الخسيسة والظلم ونظام
المقاطعات ، وسلب الكنائس وغصبها ومصادرتها هذا التاريخ
لم ينزه أوروبا الى اليوم من التلصص العام ومن الشر . على
حين ان المسلمين وأهل الهند واليابان والصين امضوا هذا الطور
العسكرى « مايتريزم » ورسخت اقدامهم فى طور الاصلاح والرقى
ربما كان اكبر الاسباب فى نكبة الشرق نفوره من استعمال

السلاح وامتناعه من سفك الدماء ينما يعيش في أوربا هؤلاء المفترسون
العقلاء والمتوحشون المدينون،

والخلاصة أن الشرق تهذب وتمدن وخاص من التوحش منذ
عصر بعيد ، وأن الغرب لا يزال في طور الوحشية البشرية الاولى وان
هذه الوحشية تظهر في صورة هندسية كاملة قد هذبتها المدنية الصناعية. (١)
إذا نظرنا هذه النظرات سهل علينا ان نفهم المعنى الصحيح لحقوق
الدول والعسكرية وقواعد الدولة عند الاوربيين ونظام الامبراطورية
ولا سيما خدعها ومكائدها، وعرفنا سبب نفور آسيا من مدنية أوربا
وعاداتها واخلاقها ، وسبب بغضها وعداوتها لأوربا .

إذا قسنا المعاملة التي يرتضيها لنا الفرنج على قواعد الحقوق
الدولية التي نادوا بتقديسها تبين لنا بالنظرة الاولى تناقض عجيب
وتنافر مدهش . وسبب هذا التناقض — كما قلنا سابقاً — ان اوربا
معدورة لجهاها الحقائق والمدنية الاساسية الصحيحة

ان تصحيح القانون الدولي الأوربي أعني جعله شاملا لكل
الدول لا يمكن بالكلام والتضرع ، وإنما ينال تعديل هذا القانون باخذ
العدة في الشرق وكسب القوة المادية والتجهز بالآلات أوربا الحرية

(١) وقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت * حواشيه حتى صار ظلما منظما

وأدواتها العسكرية . مثلاً: رقى اليابان المادى وكلمها العسكرى رفع الامتيازات الاوربية من مملكة الشمس المشرقة. وانما يمكن الوقوف أمام الظلم بالقوة والمنعة . وقد ربطت أوربا أيدينا وأرجلنا بالاقتصاد ثم انكرت كل حق لنا وكأن المعاهدات المختلفة والجيوش والاساطيل التى تقوم على تنفيذها قد جعلتنا فى قفص . لست اظن ان الحجج والبراهين والسياسة والمذكرات ومحادثة السفراء يغنينا قليلاً فى إلغاء هذه المعاهدات ولا فى تخفيفها . ولكن اذا استطعنا ان ننظم الادارة فنظمنا الجيش والاسطول فهناك نستطيع ان نمزق العهود العتيقة من تلقاء انفسنا وبغير واسطة ، بل لا يكاد الاوربيون يعرفون اننا بلغنا هذا المبلغ من القوة حتى يغضوا النظر عن الامتيازات من تلقاء انفسهم . ان خطة أوربا لا يغيرها كلام ولا معاهدات ولا اتفاق دولى وان تغيرت لم يكن لهذا التغير فائدة ولم يدم . الم يرضوا ان نستفيد من احكام القانون الدولى سبعين مرة واعترفوا ان دولتنا ركن من اركان النظام الدولى ، وجعلونا فى صف الدول الاوربية المعظمة فى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ وضمنوا لنا سلامة ابلادنا بعد كل عملية جراحية . فما كانت فائدة هذا ونتيجته ؟ لا شىء الا شىء واحد . قواعد العدل والحقوق الحرية المعروفة بين الدول تداس كلها

وكم اطر علينا وزير خارجية روسيا أشنع الشتائم وأغاظها وأسوأ الكلمات وأقبحها بلسانه الرسمي من غير مبالاة . كلما ظهرت لائحة للاضرار بنا ترددت أوربا حينئذ اجتمعت عليها . ان القانون الدولي يمزق ويفرب به عرض الحائط ثم لا تنكر هذا ولو بالكلام دولة من الدول المشتركة في كفاله .

دع مراعاة الحقوق الدولية في المسائل الكبيرة فانه لا يكاد يتصل بنا أى بحث قانونى حتى تسمى الملائقة الدولية حتى في أحقر الامور . ان الذين اصابوا باشد احتقار وأغاظ اهانة في المعاملات الدولية الى اليوم دولتنا والدول الاسلامية لا غير ، لا غير . ليس لنا محل من اعراب القانون الدولي . انا لنعد قاصرين لا يبلغون رشدهم ابدا ، ويباح للأوربيين الذين هم أوصياؤنا وسادتنا الطبيعيون أن يعتدوا على حقوقنا . انما يتجلى فكر الاوربي في القانون الدولي . وان سيا الطمع والافتراس الوحشي ، والانياب المحددة وعيون الجشع المحملقة تظهر في مجلدات القانون الدولي . — في تأليف أمثال فريدريك دومارتنس . حتى ليستطيع الرسام الصنع بنظرة في هذا الكتاب ان يصور نرا مفترسا في صورة انسان .

كذلك تظهر اوربا بتطبيق هذه القواعد كلها في المعاملات ولا

سما في الحرب . وهى لا تحارب دولتنا وحدها فى الولايات العثمانية
التي تستولى عليها ، بل تحارب أمتنا ايضا وتجتاح الافراد المسلمين
مع الادارة العثمانية او تسلط عليهم غيرهم

ونظريات الموازنة ، وكل ما اعلنوه قبل الحرب اذ نادوا انه لا
يمكن استيلاء دولة على أملاك أخرى، والمحافظة على سلامة الأملاك
وسياسة التحكيم ، ومعاهدات برلين وباريس ولاهاى وغيرها ، تنسى
كلها جميعا حين تسرهم عثرتنا . وقد اعلنوا فى الضوضاء والجلبة أن
الهلل لا يعود الى أرض دخلها الصليب . نحن نطلب الانصاف
وأوربالا تفتؤ تنزل علي رؤوسنا لكلماتها الحديدية ، ويقف جبل أسود
صغير فى وجه العالم فيكتفى بتوبيخه توبيخا لطيفا .

(قد فصلنا تفصيلا تاما فى كتابنا « حقوق الدل » الذى مر ذكره
القانون الدولى باعتبار حقيقته و بينا انه متعدد وشرحنا قاعدة « الحكم
لمن غلب » و بينا أن كل دولة هيئة مشروعة أو غير مشروعة ،
وتكلمنا فى نظرية تنازع البقاء ، وفى اختلاف الهلل والصليب ،
واقوال مشاهير أوربا فى هذا وردنا عليهم وغير ذلك . وهذه
المسائل تتعلق بموضوعنا من حيث عمومها . ولكننا صرفنا النظر عنها
لانها نشرت من قبل . فليعد قراؤنا هذا الكتاب « رأي فى القانون

الدولى « بهذا الاعتبار — ذىلا قانونيا لكتابنا « اتحاد الاسلام »
قد تقدمه ونشر قبله)

استطراد

(ننقل هنا استطرادا فصلا عنوانه « اتحاد الاسلام » من
كتابنا « مقدرات تاريخية »

كيف يعرف اتحاد المسلمين ؟ وما غايته ؟ وهل يمكن اتحاد
المسلمين أو ذلك أثر ذم من الاوهام والظنون ؟ عجباً ! وهل يقصد
المسلمون الطمأنينة والراحة بهذا « الفكر الخام » أو ينال العالم الاسلامى
بذلك — ارجو المذرة في هذا التعبير — رستوراسيون ؟
وهل اتحاد المسلمين نتيجة طبيعية للافكار الجامدة والاستبداد
والظلم أو هو وسيلة للرفعة والكمال وسبب من أسباب الارتقاء ؟
قد لقيت من مواطني المخلصين جدا جماعة يظنون الاتحاد
الاسلامى ثمرة التعصب ، يتبعون الافكار الواهية والاهواء المضلة
المنعكسة عليهم من أوروبا .

لا بد أن مجرد الانسان من آثار الزمان والمكان وحقائق العصر
المزور ، وعن المطامع وعن الروايات التي تضيعها الاهواء ، وان يكون

فوق كل هذا حتى يستطيع أن يفهم خطة الرقى الرشيدة وفكرة العلاء
الصحيحة التي تنطوى عليها جملة « الاتحاد الاسلامي » ...!

انى أقول مصرا وأنا عاشق قديم للحرية الفكرية ومفرط في
التحيز للفلسفة العصرية — انه لا نظريات شارل دارون ولا افكار مارتين
لوثر، ولا الآراء القليلة التي ظهر بها انقلاب سنة ١٧٨٩ . يؤدي
نحو كمال البشر مثل الاتحاد الاسلامي . وأخص القواعد التي أقامها الانقلاب
الفرنسي فأقول انها اذا قرنت بقواعد الاتحاد الاسلامي نزلت الى
درك « الحقائق المصطنعة »

ان اتحاد المسلمين أسل عظيم عسى أن يظهر بمدينة أجل وأرفع
من بناء المدينة المهيبة الذي شادته العصور الثلاثة الثامن عشر
والتاسع عشر والعشرون ولكنه أكثر انسانية على كل حال واثبت
منه ولكنه ابقى بلا ريب . ان مدينة أوروبا والنصارى مبنية على
أساس « والحكم لمن غلب » فهي تسد حريق المدينة الحقيقية وتمنع
عمومها . أما المدينة الحقّة الكاملة التي يتضمنها الاتحاد الاسلامي
فهي فوق هذه المدينة الساقطة . انظروا وفكروا في هذه المعاملة . معاملة
الرأفة والرحمة التي لقيها النصارى من الاندلسيين والعثمانيين لقد كان
مسلمو الاندلس والمسلمون العثمانيون يرون هذه المعاملة

التي كانت سبب الانحطاط لهم بل وسيلة الى اقراضهم — واجبا فمروضا وكانوا
يعتفون الرعايا غير المسلمين من كل واجب و يمنحونهم كل حق ،
فماذا ترى في الجانب الآخر ؟ الصليبيين ومحكمة التفتيش والاحراق
والتعذيب واهل صليب البلقان

هبوا البناء الرصين الذي شاده عثمان الغازي قد تمهدم واصبحت
الدولة امارة في حماية الانجليز والروس أو غيرها وقد ودعت ايران
استقلالها ، ودخل أمير المؤمنين في مراكش في رعاية جمهورية فرنسا
العظيمة ، والافغان بعيدة جدا من مركز العالم ، كذلك يجب ان ننظر الى
المستقبل : فكر حزين ونظر متشائم .

ان المسلمين يحسبون في أسر ساداتهم النصارى خلاقا بين الناس
والنسناس ، وأن حكومة الصيارفة أو صيارفة الحكومة لا يبالون بغبر
الاموال والاستمتاع والانتفاع ثم يدوسون أسمي عواطفنا وأرفع
آمالنا والانجليز والفرنسيون الذين يظهرون في أرقى أشكال المدنية
يستهنئون بعزة نفوسنا ويسخروا بحققنا في الحياة وحقه قنا الطبيعية
وهم يستفيدون من حسن اخلاقنا وطباعنا المسالمة وأمرجتنا الهادئة
كما يستفيد المليون وأصحاب المصانع . ولكن العالم يسلك طريقا

آخر . لقد بليت الافكار التي كانت أيام تأسيس المستعمرات . و انتصرت
الافكار الراقية وغلبت الفرق الكاملة التي تدرك حاجات العصريين
الادراك . وستدخل امبراطورية انجلترا وحكومة المستعمرات الفرنسية
ودولة هولندا في الهند في عداد الدول السالفة عما قريب ، كما ذهبت
دولة اسكندر ومملكة روما وحكومات حنكيز والتتار المقامة على
الظلم . ليس يمكن في العالم دوام شيء غير معقول ولا بد ان تغلب
الحقوق الطبيعية هذه الحقوق الموضوعة وتظهر الحقائق الصحيحة على
هذه الحقائق المصنوعة . وهل عرف التاريخ نظام حكومة أو شكل
ادارة بقي على الزمان مهما كان قوياً ؟

لنستطلع الحوادث التي سجلها الزمان وننقد الوقائع فقد المؤرخ
وتقلب كتب التاريخ فنرى ان الظالمين الذين تعودوا الظلم لم يعملوا
شيئاً الا ان تركوا في التاريخ سيرة ملعونة
تجري العصور وتسير كنهر سريع الجريان وتتوالى الدهور
كمر السيول ولكن فكر الحرية وحرية الفكر تنال في كل ساعة
ظفراً جديداً وغلبة حديثة

أسار المسلمين اليوم وتبعهم لغيرهم ، والأذى الذي ينالهم من
الفرنج كل ذلك عسى ألا يكون مضرّاً بهم . فقد كان من ذلك عاطفة
مشتركة بين المسلمين فهم اليوم أشد اتحاداً من أيام عمر بن الخطاب

وانما يعوزهم رئيس الموسيقى ، فاذا ظهر هذا الأمر بينهم طرب بهذه النغم كل موحد في أفريقية والمغرب وإيران وتركبة وجاوا والهند؛ وكل أرباب الطرق في كل الأرجاء ، ثم نفروا نفرة لا ينفع معها اجتهاد المالمين في أوربا ، ولا مدافع كروب وكر وزو ، ولا مدرعات ارمسترنج . ان العواطف هي التي تسير التاريخ كما يقول الدكتور جوستا ولوبون فلا يغلبها الذكاء ولا القوة المادية ، فسيكون اتحاد هذه العواطف أكبر انقلاب عرفته الدنيا أو ستعرفه . الفكر لا يغلب ولا سيما الوجدان الذي يجمع ثلاثمائة وخمسين مليوناً فذلك قوة لا تقهر ، علي شرط ان تنظم هذه القوة وتبلغ رشدتها فتستطيع اظهار اتحادها .

قابل أحد الكتاب الفرنسيين « غاستون دوشان » - بطريق الروم يواكيم ، فلما مثل بحضرته المقدسة قال له هذه الكلمات :

« سيدى ! أنا لست اراهباً فقيراً ولست الاراعياً ضعيفاً في قطع من الاسارى . لأملك أية قوة مادية ، حياتى في خطر ، موقفي محير ، وانا عرضة للجور الذى تصيب به الحكومات الاجنبية أمتى ودينى وجنسى كل حين - كل دقيقة وكل ثانية . ولكنكم تعرفون تاريخ اسلافى وتعرفون كيف كانت أحوالهم وآلامهم وصبرهم على الاحوال التي تذهب بالحياة ... وهم علي ذلك لم يأسوا قط . ولما اقتربوا من

القبور كانت هذه آخر نصائحهم : الرجاء الدائم والأمل المستمر
وتشجيع النصارى دائماً . وأنى مثلهم واثق بالمستقبل .

سيدى ! انت فرنسى تفخر بالانتساب الى أمة ذات أمل عظيم
فانت تعرفني أكثر من كل انسان أنى أتبع فكراً واحداً ،
ذلك الذى يمدنى بقوة خارقة للعادة مع ما ترى من عجزى المادى وهذا
الفكر يغلب آلام الحادثات الواقعة ويظفر عليها سريعاً .

قوة النفس لا تهزم ؛ ولا شئ يقف فى سبيل الفكر . الفكر حى
لا يموت . ذلك الذى يبقى علينا منذ عصور طويلة الخ .

إذا أمعنا النظر قليلاً فى معاملة الانصاف التى لقيها النصارى من
المسلمين عرفنا بغير عناء ان هذا الكلام بعيد جداً من الحق . لقد
أعان المسلمون النصارى على آمالهم كل معاونة حتى كان ذلك مؤدياً
الى اضمحلالهم . ولو أن السلطان محمد الخامس خليفة المسلمين قال
هذه الكلمات نفسها لسفير فرنسا مسيو بومبار ، أو سفير انجلترا مسيو
لاوزير ، أو سفير روسيا مسيو كرسا — لم يكن مخطئاً فى اعتقاده ،
فان الظلم الذى يلاقيه الاسلام من النصرانية اليوم أفضع المظالم التى
رواها التاريخ فى العالم .



ولكن مع هذا كله يجب ألا يغتر الانسان بالخيال . ويجب أن تكون الحقائق المادية أمامنا كل حين وان نجعلها سبيلنا الى الحقائق المعنوية . ماذا يريد الاتحاد الاسلامي اليوم ؟ يريد جمع المسلمين كلهم تحت لواء دولة اسلامية واحدة ؟ ذلك لا تستطيعه ألمانيا وإنجلترا بأساطيلهما القوية ولو نبذوا الخصام وكان بعضهم لبعض ظهيرا . ويجب ألا نفهم ان اتحاد المسلمين معناه توسيع الدولة العثمانية . فاتحاد المسلمين اذاً لا يجرى الى غاية دولية . ليس المسلمون راقين وليسوا ضعفاء عاجزين . وانهم قد استغرقوا في نومهم في هذه العصور . والحكام الظالمون ينتفعون من نومهم ويباغون غايتهم ولكن يقظة المسلمين آتية لا ريب فيها وان محالاً ألا يستيقظ الموحدون . ولكن لا بد أن تساس العواطف الاسلامية سياسة حسنة حتى تطير هذه العقبان الواقعة عليهما تقول مرة أخرى ان المسلمين ليسوا ضعفاء في السياسة ولا في الاخلاق ، ولست بقائل هذا تابعا للعواطف بل للبحث النفسي العميق لذلك انظر مستقبل المسلمين لامعا متألئا . من المسلمين جماعات فاسدة كالتي في تركيا وليكن الامم الاسلامية في أقطار العالم ليست ذاهبة في سبيل الضعف والفساد ، وانهم لجواهر قيمة لم تهذبها يد الصنعة

كذلك نعرف الاتحاد الاسلامى اليوم : المحافظة على عواطف
الاتحاد المتمكنة فى افئدة المساهمين ، وتوحيد السعى الى غاية واضحة
ابتغاء مستقبل الاسلام اكثر حرية . - قد قلنا فى كل آثارنا ان
الاسلام مذهب ودين اجتماعي واخوة بين الامم وقومية عامة . معنوية .
وقد محا الاسلام القومية الخاصة منذ ثلاثة عشر قرنا - هذه القومية
التي لا ترضاها الاشتراكية والافكار العصرية الراقية ، واقام الاسلام
فى تلك العصور للناس قومية عامة أناسها الوجدان المتحد : لاعصية
فى الاسلام . الاشتراكية والمذاهب الاجتماعية والسياسية الحديثة
تمثل للجمعية الحاضرة فلسفة المستقبل وحقائقه ، على حين ان الاسلام
قد سبق باعلان هذه الافكار التي تقوم على المساواة والرفق وتعتمد
على العدل والانصاف قبل اربعة عشر قرنا . فليس انهرام اسلام
اليوم الا انتصار الظلم والوحشية والنظام الجديد المسمى مدنية . لا بد
أن تذهب دول اليوم ، وتقني الاصول الظالمة والافكار الضيقة
والحكومات القائمة على الظلم والعسف . وأن انتصار الافكار الحرة
فى هذا الزمن الاخير براعة استهلال لهذا . ولذلك نوصى المساهمين
بالاتحاد والاتفاق مع الانكار الاوربية الحديثة كما وصيناكم كل حين
ذلك . مقصد الاتحاد الاسلامى وغايته وتعريفه . واما الدول المستعمرة

غان شاءت ان تبقى على سلطانها فلتتحد مع المسلمين والا فقد سدت عليها سبل النجاة . قد لا تستطيع قوة المسلمين المعنوية وقوة سائر الامم المغلوبة ان تقف امام الدردنوطات ومدافع ٣٠٥ ، ولكن ينبغي ان نعرف يقينا أن هذه المدافع العظيمة ستمضى مواسمها ، وان الفكر والامل لا بد ان يغلب هذه الحال الوحشية التي يسمونها الامر الواقع كما قال يواكيم الثالث بطريق الروم السابق .

ان فكرة الاتحاد الاسلامي تشبه الافكار التي اذاعها جان جاك روسو في القرن السابع عشر . وهذه الافكار قد بذرت في رؤس البشر فنبئت ونمت وآتت اكلها في سنة ١٧٨٩ . فليت شعري هذه الافكار التي تبث في رؤس المسلمين متى تعطى ثمراتها ؟

الامل

نهضة المسلمين - الخطط

بلغنا الغاية من كتابنا . وانا لنظن الكرام الذين تواضعوا وتبعوا بحسنا الى هذه الصحيفة قد عرفوا غيرتنا في الاعراب عن هذا الامل العالي المتمكن في اعماق ارواحهم . قد قلبنا مسألة الاتحاد علي جميع وجوهها . ولم نخدعنا العواطف كثيرا ، وأردنا أن نشرح حال المسلمين

الحاضرة ومواطن ضعفهم وقواهم الخفية والمجهولة لا نريد فى ذلك
الاجلاء الحق ؛ كما اوضحنا سياسة أوربا غير مخدوعين بالمآرب
والاهواء

وتلك النتيجة التى استخلصناها من كل ما كتبناه : الاسلام « كنز
مخفي » وانه لخزينة كهرباء (أكومولاتور) ومولد كهربائى (دينامو)
يستطيع أن يزول العالم بقوة . واما يحتاج الى بعض الاجهزة والآلات
والادوات لتستعمل القوة الموفرة فى هذه الخزينة فاذا وجدت هذه
الاجهزة انبجس من هذه القوة الكهربائية المنسجمة شرار يضىء العالم .
كانت قوة الكهرباء فى عالم الطبيعة منذ الازل ، وأن القوة لا تتجدد
ولا تزول كما ان المادة لا تحدث ولا تفتي . فقد كانت الكهرباء التى تحير
العقول بنتائجها سرا فى صدر الطبيعة كخزينة مخفية . كذلك الاسلام :
فهو قوة ، دهشة نائمة الآن . وقد قام الكاشفون المظهرون الخوارق
فى فن الكهرباء باقلا ب كبير فى الفنون والصناعات مستفيدين من
هذه « القوة الكهربائية » وكذلك يعتنى النسل الجديد عما قليل فى
الفجر المقبل بقوة الاسلام ويقدر ونهاحق قدرها هم يسعون لتجهيز الادوات
والاسلاك التى لا بد منها . وقد امكن الاستغناء عن الاسلاك فى
تسيير التيار الكهربائى بهمة ماركونى ومن قبله ومن بعده ، فسينقل

عظماء المسلمين قوة الاتحاد الى اقطار الدنيا الاربعة بغير وسائل مادية
 ألم يجد الاسلام وسيلة للانتقال من قلب الى قلب بلا واسطة ؟
 هل فى العالم سينال طبعى عظيم لا يقبل الزوال كالاخوة الاسلامية ؟
 سيصادف أفول حكم الغرب اشراق الاسلام مرة أخرى .

ستسقط أوروبا على مر الايام بما فى صدرها من بنور الضعف
 والانحلال . وتلك الافكار الجديدة والنظريات الحديثة تسير سيراً
 حديثاً فليس يمكن بقاء الحال الحاضرة بعد ذلك مدة طويلة . ان أوروبا
 لا تقوم على أساس طبعى وليس لبنائها الحاضر قواعد وهى على
 ضيقها مترعة بالمنافرات والعداوات والمنافع المتضاربة والخصومات
 المتوارثة والمزاحات والمفاسد الدينية والتمفرق فى المذاهب ، فكل
 أوربى يحرق الارم على غيره ولو كان أخاه . وبعيد جداً أن يتحقق
 اتحاد أو اخوة بين الاوربيين أو — بعبارة أقصر — بعيد جداً أن يتحقق
 خيال اتحاد الحكومات فى أوروبا . بما يؤدي الى هذا رقى الافكار فى
 أوروبا ولكن قبل هذا الزمان تذهب العمل والامراض بأوروبا
 وتجرفها !

لا يثبت شئ أمام هذه الحركات العظيمة التاربخية ولا يدوم أى سد
 فى سبيلها فانه لا يسهل ازالة القوى التى تحرك الامم وتصرفها . الدول

والامم والاجناس والعناصر تهرم كالأفراد . وتلك فرنسا تسرع سيرها الى الهلاك على رعم المساعي والرغبات الكثيرة الموجهة الى مصلحة الامة ، وقد عقلت فرنسا كالنساء الفرنسيات قليلس يجديها شيئاً هذه الاقوال المزوقة وهذا الترغيب والتخريض ، وآلاف الملايين المحسوبة في الميزانية وكل ما شادته مدنيتهن . قد اتقطع استعداد هذه الامة الظريفة وذهبت قدرتها على التوليد كما تصاب المرأة العجوز بالعقم الطبيعي .

ها أن النهضة ستكون عما قليل ، ان القرون الوسطى في أوربا والغرب أنامت البشر وخدرته مدة طويلة ثم بعث في عصر النهضة الاوربية وظهر في العالم ناس يماؤهم الحس والنشاط والامل والقوة والحياة كأنما أنشؤا خلقاً آخر . كذلك تظهر في المستقبل القريب امة اسلامية فتيّة كاملة حسنة قوية كلها امل ورجاء فتقوم بعمل عظيم .

ها هو ذا — يا قرائى الاعزاء — غاية الاسلام ومقصده ، وذلكم يجب ان يكون وذلكم سيكون حتماً . كذلك يجب ان يتجلى « الايمان » في هذا العصر .

الحركات الحسية والفكرية لم تحصل في العالم الا بالسير وراء

الامل . لقد ولد الامل قبل ان تولد الامم الجديدة وتقوم الدول الحديثة . وكأن الأمل جنين هو هوى المستقبل . فذلك الامل يكبر شيئاً فشيئاً حتى يصير اتحاد المسلمين . يجب ان نحصر اكبر قوى ايماننا في هذه الغاية . لا بد ان نكرر هنا وتقول باصرار اننا لا نريد ان نخلق غاية مصطنعة مخترعة ولا نريد ان تتبع سرايا مضللات بعض انصار المذاهب المفرطة ؛ ولا امبراطورية مخيلة كدولة لوبودي في الصحراء الكبرى ولا لسانا مخترعا كالغة اسهرانتو ، فان اتحاد المسلمين واقع الآن ، يتضمنه الاسلام في قواعده . وقوة الاسلام موجودة لن تخلق ولن تحدث . كل قوة خفية محبوسة تحتاج الى الظهور والانكشاف ، ولا يمكن ان تقف القوى العامة ابدا . فمهما يكن من الظلم فلن يمنع هذا الظهور . اذا ائتلف المختلفون واتفق الاعداء واتحد المتنافسون فقد يؤخرون هذه النهضة قليلا وذلك جهد الدردنوطات والجيوش الجرارة وقناطير الاموال .

واما سعينا وجدنا وغيرتنا فيجب ان تخصص لتعجيل هذه الغاية جهد الامكان ، وانما غايتنا هذا الاتحاد المقدور والموعود وبعث الاسلام بعد الانحطاط ، فاذا اراد رجال العصر الحاضر وعظماؤه ان يؤدوا فرضهم فليجتهدوا لتعجيل هذا المقصد جهد قوتهم فان وقفوا

الى هذه الفريضة فقد أدوا عملهم فى التاريخ
وان كان فينا من يشارك الاعداء فى ظلمهم طمعا فى شرف
مكذوب أو منفعة موهومة فأولئك لن ينالوا شرفا فى تاريخ الاسلام
وفى تاريخ البشر الا ان يلقب كل منهم « فرعون الصغير »
لا يرضى مسلم ان يبطىء قليلا فى المسير الى هذه الغاية كما لا
يرضى انسان ان يضع ذرة من ايمانه . وعلى كل مسلم ومسلمة ان
كانوا وكيفما كانوا أن يذكروا امامهم فى خمسة اوقات الصلاة ولا ينسوا
الاتحاد دقيقة واحدة ، وعلى الجيل الحاضر أن يترك للجيل الآتى
ميراثا قيما ويعرفه أن عليه ترك هذا الميراث مع نمائه وربحه للجيل الذى
يأتى من بعده . هكذا تزيد ثروة الاتحاد على مر الايام وتعظم
وتكبر ، وكذلك تكون هذه النفحة الروحية سببا للحياة والقوة والنشاط
فى الحياة المادية وفى عمراك المعيشة وفى مزاحمة العالم . ليس مثل الامل
شئ يهب النفوس روحا وقوة ويبعث الناس على العمل دأباً بغير
ملال ، ويمنحهم جرأة تقحمهم المهالك وتهجم بهم على الموت ، الامل
يخلق الامل وضعف الامل يمتيتها . الامة جسد والامل روحه الذى
يسرى فيه ويتسلط عليه ولا ريب . لا حياة بغير الامل ، لا يكاد
منطفىء الامل حتى ينتحر الانسان . لقد ضعف الرومانيون ونسوا

أمل صلح روما Pax Romana حين حكموا العالم وقبل ان يصاب
الرومانيون القدماء بأسر متوحشى الشمال ضعفت قوتهم فسرعان ما بلغ
الهون النازلون من الشمال ما يريدون منهم . عجباً لماذا لم يسئل هؤلاء
أهون انفسهم على شبه جزيرة ايطاليا فى عصر عظمة روما بل فى عصر
النشوء مثل عصر « توما » و « بومبليوس » ؟ كيف لم تجرؤ روسيا
وبروسيا والنمسا على تقسيم بولونيا فى عهد الملك « سويسكى » ؟
لماذا لم تجتمع دول اوربا فى شكلها الدولى وتقدم مذكراتها للباب العالى
طالبة تسليم ادرنه حينما كانت جيوش القانونى تهدد آل هسبورج على
ابواب (بست) تريد ان تحكم العالم ؟

مهما عظمت القوة المادية التى تعترض فى سبيل الغاية فلن تجدى
شيئاً أمام قوة الأمل وعظمته ، وان ظهور الامل وعمومه ولا سيما
استساراه فى خفايا النفس وتمكنه من حيث لا يشعر به أعظم وأقوى
من جيش تزيد قوته وعدده يوماً فيوماً .

ان نكن اليوم مغلوبين . مقهورين محزونين متحسرين فلا
بأس ، فعلينا أن ندرك من جهة النفس ما أضعناه من جهة المادة على
أن يصير فيما بعد قوة مادية . ان قدرتنا لأهل لكل ذلك . ان
فجائع البلقان واقتسام ايران وعفاء فارس قد أحزننا ولا ريب ولكن

واجبنا أمام هذا أن نتجهز ونعد العدة لتعويض مافات . لا بد أن نستفيد من الاندحار والهزيمة والتقهقر والفقر كما نستفيد من الظفر والغلبة والسبق والغنى . يجب أن نوقظ أرواحنا النائمة هذه الكوارث المتوالية . ان لاتحاد المسلمين خطتين صغيرة وكبيرة . فأولاهما الاتحاد في التربية ، فاذا كانت هذه جاءت الاخرى علي أثرها ، ولا حاجة الى اطالة الكلام في هاتين الخطتين المختلفتين اللتين لا يصح البحث في أخراهما قبل أن تطبق الاولى . ان خطة اتحاد المسلمين الكبرى مرسومة في أعماق القلوب وانها لتجل أن تسطر على القرطاس بالحروف والكلمات ، وأن لعتنا الحاضرة لتعجز عن الافصاح بها ، يعرفها كل مسلم ومسلمة وتعلمها المسلمات أطفالها أثناء الرضاع يغير اختيار وبدون أن تلفظ حرفاً واحداً ، وحينما يخلق قلب المسلم في رحم أمه يرسم عليه هذا الامل وترسم عليه هذه الخطة الكبرى . يقتضى ذلك قانون الوراثة، وبهذا وحده تنتقل القوى النفسية الى الانسال ، وتكتسب الاشكال الروحية قوة ورفعة من حيث لا ينفذ اليها نظر أحد ثم نعم حتي تشمل العالم

وان تذكر هذا الامل خمس مرات في اليوم كما ينادى بالآدان المحمدي يثبت في النفوس رفعة وعلاء ويزيد القوى المادية

أيه ياروح أوربا المفترس ! يا « مدينة » الغرب الوحشية !
سنبرز لك معشر الشرقيين بهذا السلاح وهذا الطور بيل متحالفين
متعاونين — ذلك السلاح الذي لم تهتد معاملك ومصانعك الى آلة
تغلبه وتغله

ان الذى منحك العلم والفن والصناعات والبدائع والذى هداك
للدن والايمان هو الشرق ولا ريب . وعما قليل يجد وسيلة الخلاص
من تلقاء نفسه

لا بد أن تغرب شمسك الطالعة ويشرق كوكب اقبالنا ، ولكن
القوانين التي تتخذها لسياسة العالم ستكون أفضل وأنزه وأعدل الف
حرة من قوانينك السبعية « الحكم لمن غلب » نحن لا نود اشراق
مدنية عمادها القوة والشدة انظاملة المادية الخسيسة ، فالاسلام اعلاء
كلمة الحق ، ومن أجل ذلك ستكون القوة الوحيدة المسيطرة على العالم
في مستقبل المسلمين هي الحق — الحق وحده — الحق لاغير ، ان
مهضة الاسلام طور من التاريخ يكون فيه الحكيم لصاحب الحق
لا للغالب .
يكى كوى

تاريخ التسويد ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣١

عرض اعتذار

رجاء وعفو

اتحاد المسلمين اكبر مسألة يتناولها قلم الكاتب ، وقلمنا رأينا مؤلفا غني بهذه المسألة الحيوية . لذلك كان كتابنا اول حلقة في سلسلة الكتب التي يجب علينا أن نواليها ؛ ومن أجل ذلك لأراني في حاجة الى بيان مبلغ كتابي من النقص وبيان أنه ابتدأى وسطحي الى أى درجة .

اتحاد المسلمين أوسع مسألة يعنى بها كاتب ، وانما استطاع أن تشرح في ثلاثين مجلدا - هذه المسائل التي حشرناها في مئات من صفحات « كما تكتب الفاتحة على حبة أرز » وقد راعينا هذا فلم نرجع أثناء التسويد الى كتاباء مستند « ماعدا فقرات مأخوذة عن جوستاف لوبون والسيرسقاون بلانت » . ورجاؤنا الوحيد وتضرعنا الى أصحاب القدرة والحمية ان يفصلوا هذه المسائل تفصيلها الخاص « مونوغرافى » وأن يتقدموا في هذه السبيل المفتوحة لايالون بما يعترضهم من العقبات . وأمل العاجز أن تتوالى الآثار والكتب في هذه المسألة حتى تدع كتابي وراءها متأخرا جداً . ج. ن.

حقيقة لاختيال

(لى صديقان أديان يفهمان الحقيقة ويحسانها بالنظر لاختيال الفكر
فحسب : أحدها سايان نظيف وثانيها فائق على . وقد تفضل نظيف
بك الذى يسحرني منذ القدم بأسلوبه الذهبى فألحق المقالة الجوهريّة
الآتيّة بكتابى ، وأنا أعد هذا وساماً عظيماً ومفخرة كبيرة ، وأعرض
هذه الصفحات على أنظار القارئ المسلمين)

— بعد منشور ملك البلغار —

لو أن هذه الأسطر تقرأ فى كل بلدة طاهرة وكل قرية مظلومة
تدوى أرجاؤها بالأذان الحمدي خمس مرات فى اليوم — لافى الديار
العثمانية فقط ولا بين الاتراك وحدهم ! ...

قد ودعنا منذ خمسة عشر يوماً آخر وطن لنا وآخر سلطان فى
افريقية . وأن عيني المغرورقتين بالدموع حزنا على حقوقنا الضائعة التي
سحقت مرة أخرى تحت سيطرة القوة العنيفة — ان عيني هاتين تدوران
الآن تفتشان عن بارقة من الامل فى كل أرض وفى كل ناحية من
شمال آسيا الى جنوب افريقية.

لقد وجدت هذه البارقة و باغت بالفكر والنظر فيها حد اليقين

فلا ريب عندى فى ذلك . لابد أن يرجع حقى المصوب الى اولادى واحفادى يوما ما ولكن مع ربحه المركب ، وبذلك ثقتى و يقينى ، وبه عزائى وتصبرى .

ومها يكن يقينى ورأى فيها أنذا أستجدى من الدين المين صدقة التسلى وآخذها ، وأن الايمان الذى يذهب بالآلام اشد القلوب اضطرابا فى أخرج ساعات اليأس - ينيم اليوم احزانى الجنسية والدينية والسياسية ، ستستيقظ هذه الاحزان مرة أخرى ولكن ملأى بأمل الحياة كالأطفال تنام باكية وتقوم مسرورة باسمه ، آه ! ياخطرات الحزن فى الايام السوداء ! متى يتبدل وجهك العابس الحزين فتبتسم لنا عن السرور سعادة الايام المنورة !

ولقد كان القرن الثامن عشر الميلادى ثورة مصائب على الامة المحمدية ، وكان العثمانيون الذين ثبتوا أقدامهم منذ خمسمائة سنة فى الحدود الغربية من العالم الاسلامى وتلك أشد مواضعه خطرا وهولا - كانوا يزلزلون أمام عدوان الروس والنمساويين المتتابع ، وكانت الهند قد عفت ومزقت كل ممزق ، وكانت أفريقية الشمالية تنهال للسقوط من تلقاء نفسها كالشجرة التى نخر جذعها ، وكانت القريم قد ذهبت كلها الى روسيا

وكان نادرشاه وحده ينفخ الروح في أعصاب الامة الايرانية فيملئوها رجاء وأملًا ولكن كان ذلك كما تمر العاصفة ، فلما زال نادرشاه من ميدان سياسة العجم زلزلت هذه البقعة الخيالية الشعرية زلزالا شديدا ثم عفت ودرست فهي لا تطيق اليوم حراكا .

وقد أراد القرن التاسع عشر أن يتم ما بدأه القرن الثامن عشر فنقصت اطرافنا مرات كثيرة ، فالروم ايلي تطعن في قلبها وجبال القوقاز وهي سور الاناضول المنيع الطويل تباح مع سفحها الغربي فيعبت فيها دب الشمال وينشب في اهلها اظفاره — التي ستقلم عما قليل — .

وذهبت تونس والجزائر الى فرنسا ، ومصر والشام وأقسام جزيرة العرب الجنوبية الى انجلترا ، وأرضنا علي ساحل البحر الاحمر الغربي الى ايطاليا مع طرابلس الغرب وبنغازى — آه ! يا طرابلس وبنغازى ! —

ذلك حالنا وذلك موقفنا في السنة الثانية من العشر الثاني في القرن العشرين .

فتعلم كل بلدة طاهرة وكل قرية مظلومة تدوى أرجاءها بالآذان المحمدى خمس مرات كل يوم — أن حرب الصليب التي أوقدت منذ تسعمائة سنة لا تزال مستمرة الى اليوم .



ولكن لا يأس ولا جزع فلا توهن أعصاب الامة هذه المصائب ،
من ذا الذى كان يظن اذ عبد الرحمن الغافق يزلزل بواتية أن دولة
اسبانية تبعث مرة اخرى فتحرق من لا يقبل دينها وهو حي ؟
ومن كان يظن أن ستبعث دول بلغارية، وصرية، ويونانية، على
الأرض التى دوختها الجيوش العثمانية فى غزواتها العديدة ثم تجسر
هذه الدول على أن تسوق جيوشها الى عاصمة الدولة العثمانية رافعة فى
أيديها اعلام أهل الصليب !

فأعلم أهل كل بلدة وكل قرية تدوى أرجاؤها بالآذان المحمدي
خمس مرات فى اليوم أن جيوش الصليبيين تزحف الى مقر الخلافة
المحمدية المبارك ، على مرأى من دول اوربا الكبرى بل مع اهمالها
الذى هو أشبه بالتحريض أو مع أمور أخرى .



لست فى هذه المصائب يائساً وان قلبي ليملؤه الايمان والرجاء
وأنى لا أعلم أن الآملين لا محالة يظفرون . ستزول هذه المصائب بيقظة
المسلمين . وقد يقول الذين فى قلوبهم مرض هذا « خيال » ، ولكن
كل حقيقة فانما لاحت من بحر الخيال الفياض .. ان امرى كما التى كانت
أسيرة وحشية أصبحت اليوم حرة متمدنة، تزاحم سائر الدول . وايطاليا

كانت أول القرن التاسع عشر ديارا ذليلة مستضعفة فلم يمض نصف قرن حتى انفجرت من أرضها دولة منظمة معظمة . فلا بد أن أقول حرة أخرى اننا اذا أردنا أصاحنا مافسد من أحوالنا . أيها المسلمون ! ..

قد تنبه تاتار الروسيا تنبها قوميا عظيما ، وإن تقف حكومة القيصر دون رقيهم على ما بها من ظلم وقسوة بل لا تستطيع أن تؤخره قليلا . إن عدوى الرقي أسرع من عدوى أشد الامراض وأفتكها ، فإن الرقي المدنى الذى يسعد الانسان فى حياته يظفر على حياة الفرد المستبدة . فكل ما يبذله المسكوف لاغفال المسلمين وانامتهم يمكن أن يؤدى الى غاية واحدة وهى « انتباه المسلمين » . ثم لا بد أن تفتح بخارى وسمرقند وكشغر أعينها النائمة وتتخالف صحراء القفجاق مع الصحراء الكبرى ثم يسرون الى الغاية التى هدى اليها محمد صلى الله عليه وسلم « منذ ألف وثلاثمائة عام

فى « الصين » خمسون مليوناً من المسلمين ، وقد أعلنت فيها الجمهورية فى العام الماضى فرضي المسلمون بها اذ أعلن قاضيهم الاكبر فى بكين أن النظام الحاضر يوافق الشرع المحمدى اكثر من نظام حكومة السماء التى عفت آثارها ، ولكنهم شرطوا شرطا واحدا :

« السعى لخير الخلافة الاسلامية التي في استانبول

ومنفعتها ! »

والصين احدى الممالك التي لا بد أن تتبقي يوما أمام السيل الاوربي، وقد عرفت أن العثمانيين هم حماة آسيا وطلبة جيشها المدافعون الحارسون. ومن ذا الذي يدعي أن اتفاق العثمانيين والصينيين لا يسمي لوقاية اكبر اقسام البشر من شر العصبية والأثرة .

وأما الهند فمتروقية جدا — رأيت ذلك بعيني رأسي — وأن مسلمي الهند التي مهدت حجرها للمدينة البشرية الاولى — ليدشرون بأمور عظام في مستقبل الاسلام .

ثم افريقية هذه القطعة التي تشبه مدينة اغدت في قلب البحار المحيطة ستكون امريكا المسلمين ولا ريب . اني لموقن بهذا حتى لكأنني أرى الآن لواء الحمد الاسلامي يخفق وحده في ارجائها . ومستفيق افريقية وترجع الى رشدتها بعد أن تموج بجزر الاقوام ومدتهم مرة أخرى .

وأن الاديان الحاضرة في أقوام افريقية المختلفة لا تكفي للمدينة أولا تثبت أمام صولة المدينة وحاجاتها . وهناك يسير اليوم دينان : احدهما النصرانية مع الهدايا الجذابة التي يقدمها المبشرون الكاثوليك

والبروتستان! وثانيهما الاسلام بنور الهدى الالهى لا غير! . .
وقد سعى المبشرون وجدوا وجاهدوا ثم لم تسر النصرانية عشرين اسيده
الاسلام . فان تنصر هنالك أسرة تسلم قبيلة . وسبب ذلك بدهى:
روح الاسلام اكثر موافقة لحياة افريقية ومدنيتها فلذلك !
ان عادات اوربا ولا سيما مسكراتها تذهب بحياة الافريقيين
المتنصرين ، واما مسلموها فيحيون فى هذه الاقاليم المحترقة المحرقة
حياة صبر وتوكل — حياة طاهر مختن متوضىء مصل حر بعيد من
مهالك الحمر

والأوربيون الذين يقطنون فى وسط افريقية بل النازلون فى شمالها
لا يستطيعون مقاومة الفساد الذى يوجهه الاقليم . الاحوال الحاضرة
لا تخيب رجاءنا . ومهما يكن صاحب افريقية أو المستولى عليها اليوم
فلا مزية ان هذه القطعة فى مستقبلها اميرىكا المسلمين.
ان وصيتى للسكان المظلومين فى كل بلد وكل قرية تدوى
ارجاؤها بالاذان المحمدى خمس مرات فى اليوم — أن يأملوا ولا يأسوا
وان يعملوا بمجهود صبور وسعي مستمر . سلمان نظيف

السلطان سليم ياوز

خير الدين بارباروس - نامق كمال - عبد الحق حامد

(في يديه قبس التوحيد يدعو * لسناه الشرق والغرب معا)

عبد الحق حامد
في وصف السلطان سليم

نحن مكافون في نهاية كتابنا بالثناء على اربعة من اولى العزم
العثمانيين: سليم الأول، خير الدين بارباروس، نامق كمال، عبد الحق حامد.
سيكتب لكل من هذه الرؤس المقدسة فصل في تاريخ
الاتحاد الاسلامي. فسلیم الاول الذي ثار على أبيه معتمدا على
كفاءته لا على الوراثة والذي ابعد اخوته واحدا فواحد عن التاج
والعرش كان مقصده توحيد المسلمين : فهو اول سلطان للاتحاد
الاسلامي . والسلطان سليم اول خليفة عثماني. وهو الذي انتقد الاسلام
اذ ألحق الحرمين بالتاج العثماني

والذي وجه وجهه الى الشرق لا الى الغرب وأثار الحرب على
ايران نيزيل الخلاف والفرقة التي أحدثها اسماعيل الصفوي هو
السلطان سليم ياوز والذي ضم الى الملك العثماني مصر أعظم أرض

اسلامية هو هذا السلطان ملك الملوك رفيع القدر على الهمة
و بارباروس له اسم عظيم في تاريخ الاتحاد فهذا المدلى الكبير
هو الذى عرف انه يجب أن يكون للمسلمين سلطان واحد وخليفة
واحد فآثر أن يكون قبودان باشا عثمانيا على أن يكون سلطان المغرب .
والذى أظهر فكرة الاتحاد الاسلامى فى الزن الاخير وكتب
تاريخ السلطان سليم اكبر انصار الاتحاد، وكتب فى «اوراق بريشان»
ترجمة صلاح الدين الايوبى لهذا المقصد هو نافع كمال .
وأما الذى منح الاسلام والاتحاد الاسلامى أسلوبا أدبيا منذ
عهد بعيد فهو ذلك الداهية الجليل الشأن عبدالحق حامد . ألم يقل
شاعرنا المبجل فى آخر رواية «طارق» انها تمثيل «على» من أجل
انها متعلقة بالعربية. لؤلؤ الاقران الاربعة أصحاب الهمم منا تعظيم
وتوقير لا ينتهى .

نالحق بكتابتنا للتبرك مقالة للمرحوم كمال بك كتبها فى جريدة عبرت
منذ أربعين عاما :

انما يبدد الغياهب فى الممالك برق من العلم ، وفى ضوئه تسطع
الافكار الالامعة الوضاءة فى أرجاء العقول وتشرق الآمال العظيمة فى
فواحي القلوب

انظروا هذه العيون التي شرعت تفتح اجفانها ونحن لا نزال في تبشير صبح السعادة - انظروا كيف تطمح الى المقاصد العالية والآمال المقدسة! قد ظهرت هنا معارف اوربا وكالاتها المدنية وعرف الناس في زمن قليل جدا ان محالا ان يثبت هذا الملك وحده امام عواصف هذه القوى الهائلة . ان في طبع الانسان أن يطلب لنفسه مكانا في العالم ليس دون نظرائه واقربائه وقد سرى فينا هذا الاحساس فأيقظ في القلوب رغبة في كشف الوسائل ومعرفة الاسباب . ولذلك يرى من مقاصدنا العامة مسألة الاتحاد الاسلامي الذي أهم جماعة من عظمائنا منذ ظهرت الدولة العلية .

فاذا لننا هذه البغية واجتهد مئتا مليون من البشر متأخين متحدين ليربوا افكارهم ويحفظوا منافعهم فلا بد أن يضيء في أسيا عصر سعيد يتلأأ روتقا وبهاء . من أجل ذلك نفاخر بأننا من اتباع اولى الحمية الذين يشون بيننا هذا الفكر المقدس ، فنحن مبادرون الى بيان آرائنا القاصرة في هذه المسألة مع عرض شكرنا للبصيرة (يعني جريدة بصيرت) التي رفعت لواء السبق في نصرة أمل الاتحاد الاسلامي ونشره : لامرية أن ازدياد القوة في زيادة التعاون وليس ذلك في العالم الانساني فقط فان الذي ينظم عوالم المادة هو نظام لا اتحاد المودع في الطبيعة .

فاذا تعطل أصغر « ترس » في أعظم المصانع اختلت كل أدواته
وإذا حاد عن فلكه أصغر سيارات زحل فقد تمور وتضطرب
وتختل هذه العوالم التي تسيرها شمسنا.

وفي هذه المقدمات يتبين أن من أسباب عجز المسلمين ووقوفهم
عن مواصلة السير الى اليوم في طريق المدنية الاولى التي سار فيها
المسلمون — هذا التفرق الذي كان بينهم . وقد أثر فينا هذا الاختلاف
من حيث التربية والعلم اللذين لا بد منهما للبشر علي ما أصابنا من
الجراحات السياسية العميقة التي لا يطيق القلب ذكرها

أجل ! لقد كانت حاضرة « المأمون » دار المعلمين في العالم ،
ولكن كان يقدم فقهاء هذا المحفل العلمي من ساحل المحيط الغربي
بينما يجيء أطباؤه من سفح « جبل بلور » ؛ وكان يظهر متكلموه في
منابع السند اذا نبغ علماء الهيئة في منبع جيحون ، وكانت آلاف
الآلاف من النفوس تنطق بلسان واحد وتعمل بفكر واحد . أما نحن
فلا نعرف اليوم نتائج الافكار في طهران ولا نستطيع أن نخبر أهل
كشغر باسمائنا بله معلوماتنا . فكيف نستطيع في هذه الحال أن نبغ
منزلة أسلافنا في المجد ؟

كيف نبغ درجة أولى الهمة من أهل أوروبا وهم مائة وخمسون

مليوناً متفقدون في الجد والعمل والرقى وان اختلفوا لغات وأطواراً؟ أليس يعرف أن القلة لا تساوى الكثرة في عمل ابداء؟ أليس القوم المتقدم في سبيل الرقى هو الأخ الاكبر للاقوام المتأخرة كما تقضى الاخوة الانسانية؟ أليس الأخ الاكبر مكافئاً أن يربى اخوته الصغار حتى يبلغوا رشدهم كما بلغ رشده؟ فيها نحن أولاء قد سبقنا اخواننا الى معارف الغرب لاننا أقرب اليه فاذا لم نفكر في أن نمنح اخواننا في آسيا نصيباً من هذه النعمة وتركناهم في جهلهم، ووقفهم عن التماء بما حرموا الغذاء الروحي — اذا فعلنا ذلك فهل لا يكون تفريطاً كبيراً في واجبتنا العظيم الذى يحملنا اياه رشدنا؟ يا عجباً! اذا بقينا في هذا التفريط فبأى لسان نفتخر بالانسانية والاسلام؟ نحن نعرف أخلاق العثمانيين الفاضلة وسجاياهم الحسنة فلسنا نظن ابدأ أن هذا القعود كان من الرغبة عن هذه الغاية ولا نخاله الا جهلاً بالسبيل التي يسلكونها الى هذا الامل فلذلك نعرض على نقد الافكار العامة بعض آراء في الخطة التي نسير عليها.

لا ريب أنه — كما ثبت بادلة كثيرة في المقالة التي نشرت في جريدة بصيرت ٨ ربيع الاول — اذا نظمت الولايات العربية النظام الجديد وقلت الى مركز الخلافة السنية ادارة الجنود الشاهانية التي في

افريقية فقد بلغت الدولة منزلة تسابق فيها اكبر دول اوروبا في كثرة الجند وبذلك تمكن لانفسنا وتؤيد مستقبلنا ونمهد لسعادتنا واقبالنا.

ولكن اذا اردنا الاتحاد الاسلامي فان تبقى آمنا داخل الحدود العثمانية . وأكبر ظنتنا العاجز أن هذا الأمل العام الشامل لا يبقى ولا يعظم الا اذا تخلصنا كل الشخص من سياسة المذاهب . ألم ينبشنا التاريخ أن هذه الامنية الكبيرة ارادتهاهم لا تقف في سبيلها العقبات ولا تسمو فوقها العزائم — هم رجال خارقين للعادة مثل نادر شاه وسليم الاول ، وتيمور الذين تجود الخليفة بواحد منهم مرة في كل ثلاثة قرون أو أربعة ؟

قد جرت الدماء بينهم انهارا وتهافتت الجيوش في مصارع المنية ثم لم يباغوا غاية مما ارادوا لان السيف يفصل الجزئين المتحدين احدهما من الاخر ، أما توحيدهما فن عمل المعرفة والبصيرة .

فاذا لجأنا بمطلوبنا الأعلى الى حماية سلطان مطاع مسيطر على العالم لا يحتاج الى الجبر والقوة لانفاذ أمره — فهنا لك ثقل من البقاء والتقدم .

اذا عرف أهل آسيا مقدمات المعارف وأصول العقائد فسيعلم كل انسان بوحى الفكرة أن الشريعة المحمدية لا تمجيز وقتا ما أن ينسى

الاخوان اخوتهم الانسانية واتحادهم الاسلامي لأن فصل بعضهم من بعض جبل طوله ذراعان أو خط على الخريطة مقداره شبران، ولا بأن بعضهم يقول (نباشد) (١) بدل (أولمز) مثلاً ، أو بأن أحدهما من جيل مستدير الوجه والاخر من جيل مقرون الحواجب .
ان التقه والكلام لا يأمر ولا يدعو وقتاً ما الى شق العصا بين الحنفي والحنبلي ، والشافعي والمالكي والجعفرى وسائر الفرق الاسلامية أعنى أن المسلمين فى حاجة الى أن يطلبوا صورة اتحادهم فى صفحات الكتب ومحاضر الخطباء لافى نزعات السياسة ومجادلات المذاهب وقد سرنى نبأ تأليف جماعة لهذا الغرض عنوانها « احياء الاسلام » وانها أباحت الدخول فيها لمن يريد ورأيت أيضاً فى (بصيرت) بعض معلومات تدور حول هذا ، وانا لترجو الا يبقى هذا الاتفاق محدودا فى الجمعية التى تألفت اليوم ، وترجو أن يكون عما قایل عامما يشمل الملة كلها .

وأنه بعد أن تجتمع (احياء الاسلام) على هذا البر لا يعنى كثير من الزمن حتى تتوطن كل أرجاء العالم .
الغيرة ! لا تشمتوا الناس بنا وتضحكهم منا . لا تنخلجوا اجدادنا

في قبورهم وتزلزلوهم في أجداثهم . احذروا لعنات الخلف .
الغيرة ! الغيرة ! حتى تكون همتنا وعزيمتنا في هذا السبيل
مقياسا لمحبة العثمانيين وانسانية المسلمين عند الاصدقاء والاعداء .

كمال

تقريظ مبارك منظوم تتجلى فيه اخكمة والشعر ، سينال مكانة
عظيمة بين مخلصات النابغة الجليل الشأن

عبر الحق حاسر

للاديب الالمى جلال نوري بك افندى

قد قرأت الكتاب قررة عين	واقيت (الكتاب) . لى الرجاء
نرتجى الاتحاد شرعة حق	وسلام النورى وحكمه السواء
وترى « الغرب » ريبة وظنوناً	ذاك وسواسه وطير الشقاء !
ماهم يوقدون حرباً علينا ؟	مالتهديدهم . وذاك الرغاء ؟
كلما خيلوه طاروا شعاعاً	لاتراعوا ، فهابنا من عداء
ان تكن قوة على الارض شتى	قد دهاها مشئت الأرزاء
فهي لا ريب في غد تتجلى	في فضاء الشريعة الغراء

فيرى العالم (الذي لا يرانا) ويرى الناس انما الدين فينا
 ويرون السياسة العدل لاحت ويرون الشريعة الحق سطرًا
 ويرى المسلمون جسمًا وحيدًا غير أنا نريد صفحًا جهيلاً
 ثم نحن الذين نعلم (عيسى) نعتلى يوم ذا بساحته العدا
 فاذا أشرق الهلال مضيئًا فأضاء السماء والارض طرًا
 ورمى الضوء رحمة وسلامًا أطرب الناس عدلنا فرأونا
 ذلك ان لم يحل ضلال وحقد بالكتاب الكبير هنت واستعد
 لتميت أن أرى الناس طرًا ان تخط العظاات في خلد الأم
 ذى تقود من الحقائق نلنا وهو كنز به التصديق والفتح
 عالمًا ذا مهابة ومضاء محض (قومية) بغير مرأ
 في نظام الشريعة البيضاء في نظام الطبيعة الوضاء
 رأسه قائد من الخلفاء لانجازى الصليب بالبغضاء
 لم تمته مكائد الأعداء يانجوم الهدى ورسل الاخاء
 يرسل النور من علاء السماء وتولت غيايب الظلماء
 فوق أرض الصليب ذات العدا في الورى خير ساسة رحماء
 في بنى الغرب موقدى الشحنة فقت فينا بذاك كل ثناء
 اذ أهنيك بالعلی - شركائي ة ذاك الهدى فأى دواء
 ها فأى الغنى وأى الثراء ر ومنه ذخائر الأبناء

(١) ترجمنا القصيدة على عجل في وقت ضيق جدا ففصلنا معانيها قليلا
 ورضينا لها بهذا الثوب العربى الذى لا نرضاه كثيرا

استاذى على القدر !

ان العثمانيين الذين تحييتهم نعمة أدبك يعدونك اليوم من شعراء
الطبقة الاولى الذين رفعوا مستوى البشر الأدبي والروحي - في
درجة شكبير أو اكبر .

ولكن هؤلاء العثمانيين الذين يشكرون لطفك وكرمك اليوم
سيعلمون أنك لست شاعرا عبقريا وأديبا ألمعيا وناثرا فياضا فحسب .
فان لك قدرة معجزة لم ينلها انسان قط - قدرة على رؤية المعالي
وفهم السياسة الصحيحة وادراك الحكم البالغة وكل سنن الحياة ثم
الاعراب عن ذلك بأشعر لفظ وأفصح لسان . وان لك ميزة معجزة
في النفاذ ببصرك الى المستقبل كما تخترق أشعة رونتجن الاجسام
الصلبة فتظهر ماوراءها، وأين من نظراتك أشعة رونتجن ، الزمان
منكشف أمامك كالسما والفضاء . وكيف يرتبط بالحاضر مثلك من
العقول النيرات التي هي « مال » مشترك للأبدية والبشرية ؟ أنت
تستطيع النفاذ الى ماطوته العصور الماضية ومايكنه المستقبل في غيبه كما
استطعت أن تعيش في زمن فتح أسبانيا وفي مملكة فرديناند . ثم
ماشأن المسافات عندك ؟ ان تكن الارض تطوى للأولياء فكيف
لا يسر هذا لملك من أولياء الانسانية

بأى استهزاء تنظر الى الغرب وبأية انسانية؟ ان «فولتير» لتسحره
هذه الرقة وذلك الابداع .

أنت أوحيت الى قلوب البشر فى أربعة عشر بيتا ما لم أئينه فى
مئات الصفحات . وماذ أقول لجنابك العلى فى احسانك الى العاجز ؟
وما على اذا خرست فى هذا المقام ؟ ولكن حسبي أن أقول هنا انه لم
يعهد قط أن داهية خالد الذكر مثلك تلتطف هذا التلطف بفان مثلى .
لو استطعت لوفيت حقك ، ولكنى اذ عجزت أجثو أمام جنابك
العالى حامدا شاكرا .

مهمل نورى

تقريظ

هجوم نصارى أوروبا على الامم الاسلامية، واتفاق روسيا وانجلترا
على اقتسام ايران ، واستيلاء فرنسا على فاس وإيطاليا على طرابلس
الغرب ، ثم حرب البلقان الحاضرة - كل ذلك يضع الاتحاد الاسلامي
موضع البحث والمناظرة مرة أخرى .

هذه المسألة النائمة يوقظها أهل الصليب الذين تمثلهم أوروبا ،
وعدوان حكومات النصارى على الممالك الاسلامية وتقسيمها . ثم قتل

مسلمى الروم ايلي جملة واحدة ، وتحويل المساجد المقدسة الى كنائس
واجبار الناس على النصرانية يثير هذه المسألة اكثر من قبل . هذه
الحركات الوحشية ، واجتهاد الاورثوذكس في البلقان لازالة المسلمين
اجتهادا مطرداً ؛ وسكوت أوروبا على هذا يزيد الروابط المتينة ويؤكد
الولاء والحب والمودة التي تجمع المسلمين جميعاً في أقطار الارض .
لقد عرفت الأمم الاسلامية أنها في حاجة الى تعجيل التقرب
حتى تدافع عن نفسها وتستطيع الثبات أمام هذا السيل الجارف
المخرب .

هذا الاحساس كان داعياً الى تأليف كتب كثيرة في الشرق
وأوروبا . فان الكتاب والسياسيين يفكرون فيما يتوقع من نتائج
المصادمة الكبرى التي تقع بين العالمين الاسلامي والنصراني ، والدول
ذات المستعمرات الاسلامية تهتم بهذا جد الاهتمام وتخشى كثيراً من
النتائج الطبيعية لسياسة التشديد على رعاياها المسلمين .

وكذلك يهتم أرباب الأفكار والاقلام من المسلمين بهذه المسألة
التي ترتبط بمستقبل الاسلام من حيث انه جماعة سياسية . وقد نشروا
رسالات كثيرة ومقالات عديدة .. الخ في لغات مختلفة ، ولكن
ليس منها ما يقرب من هذا الأثر الذي خطه جلال بك نوري

في قيمته ومقداره ومعرفته وإطلاعه . فهذا الكتاب الذي لا نظيره
محص المسألة عن كسب وعرض كل وجوها على نظر نقاد . وقد
لفت المؤلف نظر العناية الى مسألة الخلافة . جلال بك أبان بكل
جلاء أن خيال الخلافة العربية التي خلقتها انجلترا خرافة واهية
وأثبت أن المهتمين بهذا الخيال المحال لزيادة ثروتهم قد أصيبوا بأى
جنون .

سيتقل هذا الكتاب عما قليل الى لغات أوربا الثلاث ولكن
أليس أولى وأجمل أن يترجم الى العربية ! ذلك اللسان الجميل هو
لسان المساميين الدولي الذي يسري بينهم سرعان الكهرباء وينشر
الأفكار والاحساس فيهم . ولا أريد أن أمدح المؤلف فقد عرف
بآثاره الجليلة ذات المكانة العظيمة في المطبوعات الفرنسية والتركية .
وحسبى أن أقول هنا ان هذا الكتاب جدير جدا بعناية كل
إنسان يهتم بمستقبل المساميين .

رئيس الحزب الوطني المتحرى

محمد فريد

مترجم الاستاذ «دوزى» (١)

والاتحاد الاسلامى

ننقل هنا فقرات مهمة من كلام دوكتورنا العزيز الذى يشاركنا
فى الفكر والرأى. هذه الفقرات رأيناها فى كتاب نشر منذ بضع سنين باسم
Le reveil de la turquie

« قال لنا الدكتور عبد الله جودت بك ان كان الاتحاد الاسلامى
هذا المعنى الذى يزعمه الأوربيون فهو خيال ، واعتقادى أن كلمة
الجامعة الاسلامية ليست الا أخوة أدبية وفكرة بين الأمم . ولا بد
للوصول الى هذه الغاية من تركية قوية جديدة ، فحينئذ تكون استانبول
مصدر فيض ونور يأتي اليها المسلمون قبل أن تخدعهم الأوهام والأفكار
الباطلة فيأخذون المدنية والعلوم والفنون ويرجعون .

« قال الدكتور المكرم أقول مصرا ان ذلك «فكر باطل» ثم استمر
فى كلامه وقال لا بد أن أزيد كلمة لبيان ما أريده : أكثر المسلمين
يأبون أن يأخذوا المدنية غير الاسلامية ، نتيجة بعض أسباب لا حاجة

(١) هو الدكتور عبد الله جودت بك الذى ترجم كتاب تاريخ

الاسلام مؤلفه المعروف الاستاذ (دوكتور دوزى) . ا. ه ترجمة

بنا الى بيانها . وهم لا يقبلونها ولن يتبلاوها بعد . على حين أنهم لا ترددون في أخذ هذه التواعد المدنية نفسها من أيدي جماعة اسلامية متعلمة راقية .

يجب ألا يحسب الأوروبيون هذا النوع من الاتحاد الاسلامي كابوسا فهو على العكس يؤدي اليهم منافع عظيمة . «
ان فكر عبدالله جودت بك الصائب الذي يدل على الاطلاع النفسي الواسع والذي يبين بسهولة أخذ المدنية من أيدي المسلم - هذه الافكار صادقة وجديرة بالنظر . وأما الكلام في خوف أوربا من هذا فلا يسعنا أمامه الا الاعجاب بهذا الظرف واللفظ والاستهزاء الذي كتب به الدكتور

الاتحاد والاسلام

مقال قيم ألحقه بكتابنا الاستاذ الكبير الشيخ عبدالعزيز جاويش افندي المصري أحد العلماء النابهين - :

أعظم الأركان الاجتماعية الاسلامية التوحيد . ومعني التوحيد : تخصيص جناب الحق بالعبادة والألوهية . كل البشر سواسية في التكليف الشرعية - تكاليف العبادات والمعاملات .

أساس الاسلام التسوية بين الناس فى التكاليف فالأمير والفقير
والرجال والنساء فى ذلك سواء، ثم لا فرق فى التكاليف العامة بين أمة
وأمة ولون وآخر

فإذا اعتدى ملك أو أمير على مال واحد من السوق لزمه أن
يؤدى هذا المال ، وإذا جنى على أى فقير فعليه القصاص .

ليس فى أحكام الاسلام تفضيل للسلطنة أو الامارة . والاوريون
على كثرة ما سفكوا من الدماء فى سبيل المساواة والأخوة لم يأتوا
بأكثر مما أتى به الشرع الأحمدي منذ ألف وثلاثمائة وتسعة وعشرين عاما .
وجدى بالعجب هنا ان المسلمين اذا أرادوا الرجوع الى قوانين الحرية يغفلون
عما سنه الدين الأحمدي المبين من السنن التى لم يأت بها دين سماوى
ولا قانون موضوع ، بينما يأمر الدين الأحمدي المبين بالمساواة التامة بين
الحاكم والمحكوم والأمير والمأمور نرى المسلمين يأخذون قوانين أوربا
الوضعية — هذه القوانين التى ترفع الملوك فوق مستوى التكليف فى مسائل
الجنايات أو تجعلهم مقدسين منزهين ، فى كل قانون مواد منصوبة
لتنزيه الملك حتى لا يؤخذ بما يقترب من الجرائم

بينما يتضمن دين الاسلام والشرع المظاهر أبغ القوانين وأحكامها
خذ المسلمون عن الأوربيين مثل هذه القوانين الأوربية . لامية

أن تنزيه الملوك وإخراجهم من حدود التكليف لا يمكن أن يتفق مع قانون
الاسلام ، فما ذلك إلا أثر من آثار العبادات التي كانت تقوم بها الجاهلية
للملوك والأمراء في العصور البعيدة

والركن الثاني من الأركان الاجتماعية الإسلامية الاتحاد والأخوة
بين المسلمين ، فقد عقد الله سبحانه بينهم الأخوة والألفة وألف بين
قلوبهم كما سوى بينهم في كل التكليف ، فالمسلمون إخوان في الدين .
مثلا : النظم الجليل «أما المؤمنون أخوة» - سورة الحجرات -
و «ان هذه أمتكم أمة واحدة» - سورة الأنبياء والمؤمنون - .

هذا النظم الجليل يحلي هذه الحقيقة . حينما هاجر سيدنا عليه
الصلاة والسلام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة آخى بين
المكيين والمدنيين (المهاجرين والأنصار)

وكانت أخوة متينة حتى أن المدني ليؤثر أخاه المكي بأحدى
جواريه بل أحدى زوجاته ، وكانت عاقبة هذه المؤاخاة التي عقدها
بين الصحابة سيدنا النبي الأكرم - أن الصحابي كان يرث
الصحابي الذي يؤاخيه علي حين ، ليس بينهما قرابة .

وكفى بيانا لما يجب على المؤمن لأخيه المؤمن الأحاديث الشريفة
مثل المؤمنين في تراحهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد : إذا اشتكى
منه عضو تداعى له سائر الجسم بالحصى والسهرة » رواه البخاري -

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » رواه البخارى - و « لا تباغضوا ولا تُحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » بخارى .

وقد نزلت الآيات الجليلة توجب التضامن والتكافل بين المسلمين « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » سورة آل عمران . « ولا تنازعوا فتشوا و تذهب رجلكم » سورة الأنفال .

وجاءت الآيات الكريمة تنهى المؤمنين عن التفرق والاختلاف « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » سورة آل عمران ، « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . » سورة الانعام .

لا ريب أن التفرق والاختلاف يذهب بالقوى المجتمعة ويضعف العزائم ، ويعوق الحمم ويمهد سبيل الغابة للنممة القليلة على الفئة الكثيرة فالله سبحانه يحذر المؤمنين عاقبة التفرق والاختلاف بعد أن بين طريق الحق وأظهر ما يؤدى اليه التفرق من الضعف والخسران .

والله سبحانه يخوف المؤمنين بالعذاب العظيم اذالم يتذكروا الاصر
الالهى ويعتبروا بما اصاب غيرهم . وقد ضرب لهم الأمثال بما كان فى
الأمم السالفة .

حذر الرسول الأفخم والنبي الاكرم أصحابه الكرام عاقبة التفرق
وأبان لهم مايكون من سوء الخلاف ، وقد أمر معاذ بن جبل وأباموسى
الا شعرى حين أرسلهما الى اليمن فقال « تطاوعا ولا تختلفا »
بهذه السنن القوية سام الأ أصحاب الكرام على قتلهم وفقرهم الى
الجبايرة فزلزلوا عروشهم وفتحوا البلاد العظيمة وملكوا التيجان
والعروش وكانوا يدوخون الممالك لا يخافون ولا يضعفون ولا يبالون
ما يصيبهم .

فلينظر الذين يريدون أن يروا صدق وعيد البارىء جل شأنه
منظرة واحدة الى الممالك الاسلامية ! سيرون تقاطعاً وتدابيراً بين أناس
لم عدد الرمال ؛ لألفة بينهم ولا مودة كلهم متدابرون متقاطعون .
وكانت عاقبة هذا أن أغارت الأم الأخرى على الممالك
الاسلامية فأصبحت نهبا مقسما ومالا مباحا .

وان تبقى فى الممالك الاسلامية أمة واحدة مستقلة فان شعارها
الذلة والمسكنة .

لو فكرنا بعقولنا ولم نتبذ كتاب الله وراء ظهورنا فماذا كان
يستطيع أن يفعل بنا العدو ، قد كان ما كان . وقد جعلنا التفرق
والاختلاف أحقر الامم .

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

هل نحتاج الى البرهان بعد ما أصاب اخواننا في الدين ييد
البلقانيين من القتل والتكيل والسمل والتمثيل .

مانجا من هذه المظالم النساء وما نجا الشيوخ الضعفاء وما نجا
الاطفال . لقد قدموا المسلمين على أبواب الكنائس قرباناً لصلبانهم
وهديا لآلهتهم حتي ذبحوا كثيرا من المسلمين ذكورا وانانا
وشيوخا وأطفالا .

أليست تلك الحال علامة من جناب الحق ليعتبر المسلمون
ويتقوا بما نهاهم ، ويعودوا الى التوحيد ويرجعوا الى الالفه والمودة
ويتبعوا أمر الكتاب والسنة ؟

اوربا والاتحاد الاسلامي

على باش حابه افندى من الرجال الذين يفخر بهم العالم

الاسلامي كله لاتونس وحدها وقد يكون باش حانه افندي أعلم
الناس باحوال فرنسا واوربا وأعرفهم بمايظن الغرب بالشرق وهذا
التعريض اللطيف الآتي يكفي لاثبات اننا محقون في دعوانا

لقد لقيت اوربا نفسها أمام حادثة اجتماعية جديدة في الممالك
الاسلامية حينما تقدمت في المستعمرات وسمت هذا « بان اسلاميزم »
الجامعة الاسلامية . وذلك الاسم يدل علي أن هذا أمل عدا ئي جديد
ويفيد أن الجامعة الاسلاميه شيء محدث مصنوع وان ذلك لبعيد من
الحقيقة جدا . وقد أخطأ الأوروبيون وضلوا عن الصواب حينما
فسروا الاتحاد العظيم الذي يربط المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالفظ
« بان اسلاميزم »

ليست الاخوة الاسلامية دستورا وضعت الفرق السياسية للدفاع
أمام احتلال الاجانب كما تزعم اوروبا . لا ! الاخوة الاسلامية
رابطة تختص بفهمها الشريعة الاحمدية ، والاتحاد قديم قدم الاسلام
وقوى مثله .

« انما المؤمنون اخوة » . « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في
الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم »
هذه الآيات الكريمة وكثير من أمثالها وبعض الاحاديث

النبوية ليست قانوناً قد وضع عبثاً ؛ أنها لتمثل روح الدين الاسلامي وطبيعته أحسن تمثيل. والحق أن القرآن لم يكتب بأن يأمر بالتعاون والاتحاد والاخوة والمحبة بين المسلمين ، ليس القرآن المبين كتاباً للأخلاق العالية فقط بل هو مع ذلك دستور حقوق مدنية يمثل الدائرة التي تجري فيها حياة المسلمين الاجتماعية

وبعض الناس في أوربا لم يستطيعوا أن ينكروا هذا الاتحاد والتعاون فادعوا أن ذلك من أن المسلمين لا يزالون في أول طور الكمال وقالوا ان الاقوام الاسلامية لم تدرك الفكر الوطني يقيناً ؛ وأن موقفهم هذا يشبه ما كانت عليه الأمم النصرانية في القرون الوسطى ، قد كان المسيحيون في ذلك الزمن يرجعون الى الديانة العيسوية قبل كل شيء ، ويعدونهم أول رابطة فكان السائح يرى أنه في وطنه حيثما سار . وزعموا أن التكامل الضروري سيؤدي الى انفصال المسلمين بعضهم من بعض ليؤلفوا قوميات صحيحة ثم تبقى الاخوة الاسلامية أثر ميل منطقي ، وشوق خامد ، فإن يكون لها أى تأثير في الحياة العملية ؛ ثم يقول هؤلاء المدعون ان هؤلاء « الاتحاديين » الذين هم أعداء الاجانب يعرفون هذا حق المعرفة فيجتهدون في خلق ما يحل محل هذه الرابطة بعد انفصالها فيوجدون « الجامعة الاسلامية »

وأصحاب هذا القول لا ينحطرون الى الفرق الكبير بين أصول هذين الدينين حين يقيسون احدهما بالآخر ! فالانجيل كتاب أخلاق لا غير اما القرآن فهو مرشد وجدان وقانون مدنى وسياسى واجتماعى .

قد انتشرت الديانة المسيحية فوحدت قواعد الاخلاق عند الامم ونكسها لم تبدل شيئا من النظم الخاصة فى الممالك التى دخلتها . وانما تبدلت هذه النظم بعد ذلك تبعاً للحاجات وللتكامل الخاص فى الجماعات المختلفة

ولكن أصول الدين الذى جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) تخالف هذا كل المخالفة . فالاسلام يعلم الاخلاق الحسنة وينظم العلاقات المدنية والاجتماعية فى الامم التى تدين به . هذا الدين نظام واحد يخاق محيطا اجتماعيا واحدا فى كل أرض . فستبقى الجماعة الاسلامية على حالها تتقدم فى كل مملكة وكل أرض فى الطريق الذى رسمه القرآن والسنة .

واذا صرفنا النظر عن الفروع المتنوعة الى غير حد تبعاً للحاجات المحلية المختلفة — فالاصول لا تتغير أبداً وستبقى مابقى المسلمون جماعة على الارض وفى هذه المسألة تغرب لنا الديانة الموسوية مثلاً جديراً

باعتبار ، فقد اختلط اليهود بأمة أوربا كل اختلاط على قلة عددهم
ودارت عليهم مظالم ومصائب كثيرة ، ثم لاتزال القوانين الموسوية
معمولا بها اليوم مع القوانين الاجنبية التي تحكم اليهود .

ندع القوانين السماوية وننظر الى قوانين دولة مثل فرنسا أساسها
القواعد المدنية وحدها فماذا نرى ؟ نجد أن القواعد العامة التي يقوم عليها
هذا البناء الحقوق العظيم ، والدعائم التي تدعّمه منقولة عن الرومان
وعن الجرمان أيضاً وهنا يتبين أن القوانين الاصلية التي تشكل جماعة
من الجماعات تدوم ، ادامت هذه الجماعة وثبتت مع ثباتها .
فالمسلمون سيأخذون أصول قوانينهم الموضوعة من القواعد العامة التي
وضعها القرآن لا يحيا ون عنها ما بقيت لهم جماعة علي الدهر . أليست
الممالك الاسلامية التي تستيقظ اليوم وتصلح قوانينها وتقتبس المدنية
الجديدة — تضرب لنا أبغ مثل يصدق ما نقول ؟ الحقوق الموضوعة
في تركية ومصر وفي تونس ايضا ليست الا المتون القديمة بعثت من مرقدتها
فبحق نبتطيع أن نقول ان المسلمين يكونون في الاجتماع والمدنية محيطا
متشابهة في كل مكان . ذلك سبب الاتحاد المتين بين المسلمين . ذلك
الاتحاد الذي سيبقى علي هذه الشاكلة أبدا ، وذلك سبب الاخوة التي بينهم
وذلك أصح بيان وأوضح تفصيل للمسألة : فاذا ذهب واحد من

مسلمى افريقية الشالية الى الهند فان يجد المـاجد التى يجتمع فيها مع
من يشاركونه فى عقيدته فقط ، بل يجد عاداته وأفكاره الاجتماعية
وخواص جبلية طبيعة متوارثة لا يمكن تعريفها ، ويستطيع أن يعيش
فى جماعة تناسبه على . ما بين الامم من الاختلاف وما فى قوانينها من
الصعوبة والتعويض ، مثلاً يطلق زوجه ويرث وينال حقه فى الوصاية
على أولاده ويتصرف فى الهبة ونحوها الخ ، وقصارى القول انه يعيش
عيشته الخاصة . أينما حل فهو فى وطنه وبين قرابته وإخوانه . وتلك الاخوة
التي أحكمها قرون طويلة يؤيدها القانون الذى يوحد المسلمين من
يوم تدوينه . تلك الاخوة لا تقبل الزوال . لأن الاسلام أبدي بين
لمسلمين ، فاحساس هذه القومية احساس لا يقوى عليه أى تبديل أو تغيير
كان المسلمون على وجه الارض يؤلفون أقواماً مختلفة منذ القدم
وكان يحكمهم أحياناً أمراء متخاصمون ، فالمراكشيون والجزائريون
والتونسيون والمصريون فى افريقية ، والترك والعرب وأهل الهند
والصين - كل اولئك كانوا يتبعون حاجاتهم التاريخية وتكاملهم الخاص
لأنهم أمم مختلفة متمايزة فهل منعت هذه الحال أن يظهر بينهم احساس
التعاون العظيم واتحادهم وارتباطهم بالرابطة الاسلامية ؟ ذلك
الاحساس احساس الاتحاد هو الذى يجمعهم متعاهدين تعاهداً لا

مثيل له في العالم ومتفقين اتفاقاً لا يقف في سبيله شيء . . . ويوم تصحو هذه الامم الاسلامية من رقدتها الطويلة وتنفض عن نفسها غبار الكسل يبادرون الى التعارف ومخاطبة بعضهم بعضاً ، وانهم اليوم ليتحدثون باعمالهم الجديرة ومنهاجهم الذي يسلكونه وانهم يصيرون ويستمعون لأقوال العلماء الداعين الى الاصلاح والتنظيم ومحو الخرافات وتربية الممالك الاسلامية وترقيتها . ولا يعرب عن بالنا ما كان لآراء الشيخ عبده المصري وافكاره من المسكاة في كل العالم . وباللغة العربية التي هي وسيلة التعارف الحسنة يقف علماء المسلمين في الهند أو في افريقية علي كل جريدة أو رسالة أو كتاب يطبع في أي مملكة اسلامية

وقد أدى جلال نوري اليوم أعظم فائدة واكبر وسيلة ليقظة المسلمين وانتباههم اذا حسن بنشر كتاب كامل تام ينقد ويعحص كل الامور التي تربط المسلمين بعضهم ببعض . واعتقادنا أن هذا الاثر أول المؤلفات التي كتبت في هذا الشأن . فقد جمع جملة من المعلومات المتعلقة بالاختلاف الواقع بين الامم ، وبحث في حاجات الامم الاسلامية ورغبتها في الكمال وفي نتيجة تماسها بالاوربيين ، ونظر في التبديل والتجديد الذي لا بد منه وقلبه على جهتيه ، ونظر نظر الامعان في

التربية والتعليم الصناعي ، وأخذ أساليب أور و باوتطبيقها . وفي الاجتهاد وأصول الاستعمار ومسائل كثيرة مثل النظام الامبراطورى — كل ذلك بأسلوب منظم وفكر مدقق تقاد . وقد جاء ذلك الكتاب الذى أملاه الاطلاع والمعرفة فى وقته المناسب . واذا نشرت ترجمة هذا الكتاب باللغة العربية فانى أقول صراحة قول غير مرتاب ولا متردد ان مؤلفه ينال فوزاً عظيماً . وانى لموقن أن هذا الكتاب سيؤدى أكبر فائدة لآخواننا المسلمين الذين يسعون فى كسب المعارف ويجتهدون للرقى الفكرى والمادى « على باش حابه »

مسلمو الهند

و

الجامعة الاسلامية

دعانى هذا المؤلف القدير الذى أخرج للناس هذا الأثر العظيم الى أن أكتب صفحات فى الحركة التى تسمى الجامعة الاسلامية من حيث يراها المسلم الهندى . قد أثرت فى هذه الدعوة من محرر داهية كبير مثل جلال نورى وعددتها شرفاً كبيراً فها أنذا أبين فى الاسطر التالية كيف يفهم الجامعة الاسلامية مسلمو الهند الذين سيكون لهم أثر عظيم وسلطان كبير فى مستقبل الاسلام

إذا نظرنا من جهة الاشتقاق اللغوي عرفنا أن كلمة «بان اسلاميزم» كلمة خلقتها مكائد النصارى لتكون وسيلة سافلة للتعجيل بفناء الحكومة الاسلامية . فهم يزعمون أن معنى الجامعة الاسلامية عقد اتحاد عظيم جدا بين المسلمين جميعا ليكونوا قوة سياسية كبيرة تستطيع أن تمحو النصرانية . وقد أعانهم هذه « الجامعة الاسلامية » على مآربهم في فاس وطرابلس الغرب وإيران وعقدونيا .

هذه الفكرة مكنت الذين يسوسون النصرانية من غاياتهم فاستطاعوا أن يخدعوا بها المتعصبين ويخيفوهم من هذه الهلكة الخيالية . وقد أفهموهم صراحة انه لا بد من طرد المسلمين حينما ثقفوا على الكرة الارضية حتى يمكن ذلك الشر واتقاء الخطر . ونحن اذا عرضنا على انظارنا أن الممالك الاسلامية كلها بين زائل بأيدي دول أوربا الكبرى وبين تابع لهذه الدول . واذا نظرنا الى بقية الممالك الاسلامية التركية والافغان العيسيتين . اللتين تضطرب بهما كفة الميزان . اذا نظرنا الى هذا كله وجدنا مخترعي هذه النظرية في غنى عن الاهتمام والعناية بها .

ولكن الحوادث المدهشة التي مرت بها المصائب بضع سنين قد غيرت طراز الحياة في الجماعات الاسلامية كلها فتبقت سياسة أوربا النصرانية كأننا قد اقتربنا من الزمن الذي يستعد فيه المسلمون لاستئصال الاوربيين . هذه الوقائع أثرت تأثيرا عظيما على مر الايام

فظهرت نهضة الهند وكانت الحركات التي أنتجتها هذه الحادثات عامة شاملة . ويمكن ان يقال في غير مبالغة ان اطلاق المدافع الروسية على مشهد ، ونزول ايطاليا في طرابلس ، وهجوم المتتقين في البلقان على تركية وما تبع ذلك من المظالم والمصائب قد غير مساهم الهند تغييرا تاما حتى ليظن أنهم أنشؤا امة اخرى ؟ فالهنود اليوم ليسوا الهنود منذ سنين

اذا جردنا الاتحاد الاسلامي من كل الظنون الباطلة التي ضمورها سياسة اوربا « المسكيا فيلية » فسنرى أن الاتحاد الاسلامي ليس قوة محدثة بل هو قديم قدم الاسلام نفسه . قد ألقى القرآن أول درس في الاتحاد الاسلامي : انما المؤمنون اخوة . فقد بين فخر الكائنات هذا الاتحاد في صورة رفيعة اذ أوجب على المسلمين أن يتحدوا جميعا ويتحالفوا كافة . تلك أخوة عامة احكمها الاسلام وقوة معنوية عظيمة شاملة لا نظير لها . « بان سلافيزم » « وبان جير مانيزم » وكل المذاهب الماثلة بذلك المنتهية ب « ايزم » قد أسست كلها على عصبية العناصر والاجناس والمطامع الملكية . أما الاتحاد الاسلامي او الاخوة الاسلامية العامة فقد بعدت كل البعد من الاجناس والالوان وسائر الموانع فلم يكن لها مطامع ملكية . واذا استثنينا فوارق الجغرافية فهذه الاخوة تجعل المسلمين جميعا

أمة واحدة . ولقد سرني وأطربني جدا ما لقيت من مودة الرؤساء
والتعلمين في هذين الشهرين اللذين أقمتهما في استانبول : وعلمت
علم اليقين أن هذه العاطفة العظيمة عاطفة المودة والاخوة لم تضعف
ولم ينالها أى وهن في استانبول على قريها من اوربا وبقائها تحت
تأثيرها مدة طويلة تقرب من ستمائة سنة . فلا تراك يعرفون المليّة
الاسلامية معروفة الهنود ولا ريب . الهنود مسلمون بادىء بدء وبعد
ذلك هم هنود ، وقد أكد لى المسلمون هنا فى أى حبة وفى أى درجة
أنهم مسلمون قبل كل شىء ثم عثمانيون

هكذا ينال الاسلام قوته وقدرته الاساسية من هذا العموم
والشمول . وأن مسلمي الهند ليس يرون فى طليعة العاملين للوصول الى
أمل الاتحاد الاسلامى وغايته المقدسة

فليعلم كتاب النصارى أن مقصد الاتحاد الاسلامى ليس تربية
الآمال العدائية على رغم ما تصيبهم به النصرانية من المظالم ومن هذه
القسوة الشديدة : بل على العكس مقصده الدفاع لا الهجوم والغيرة فى
حفظ القطع الباقية من الممالك الاسلامية المعظمة السالفة حتى لا يصيبها
الفناء مرة أخرى فى المستقبل . قد بقيت الحكومة العثمانية الى اليوم
فى مقام الدفاع ولكن هذه الحال لن تستمر بعد اليوم فان هجوم
النصرانية وعدوانها على المسلمين ، وما تتخذه أمام بقية الممالك التركية

سرا وعلانية . كل ذلك أثر في قلوب كل المسلمين وأرواحهم تأثيراً
بليغاً عميقاً . وقد دفعهم هذا اليأس وهذه الآلام الى أن يتعهدوا
ويتحالفوا على أن يدافعوا عن أنفسهم مع تركية في كل حل وفي كل
أمر . قل نبينا رفيع الدرجات : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
بعضاً » فسيجتهد مساهمو الهند مع الأتراك جند قوتهم . هما كان الواجب
الذي يكافون به . لانهم يعدون سقوط الأتراك سياسة هو فناءهم
وعفائهم انفسهم . يجب الا يدهش المهيجون من النصاري بهذا
الائتلاف ، فان يكون مشابها للاتفاق الذي يرتقب من حكومات
اليابان والصين وسيام كما تدعي جريدة برلينز تاجيلات وكذلك
لا يشبه الهيئة العظيمة التي تشكل من اجتماع الاوروبيين على
محو الجنس الاصفر في آسيا عما قليل كما يتصور قيصر روسيا فاذا
نظرنا الى ارتباط المسلمين بالخلافة واتفاقهم معها فلا بد أن يعلم الناس
جميعا ان القصد من ذلك حفظ الموازنة بتأليف قوة معنوية ، وإيجاد
الوسائل لرفع مستوى المسلمين الفكري والمادى . وأرباب الحل والعقد
يعلمون أن الوصول الى هذه الغاية انما يكون بإنشاء الجامعات والعناية
بالمسائل المالية . وسيبلغ الاتحاد الاسلامي غايته وينال امله بالسير في هذا
السبيل ان شاء الله .

استانبول ١٢ مايو سنة ١٩١٣

مدير جريدة

« زميندار » في لاهور بالهند

ظفر على خان



أكبر دلائل على الانتباه العظيم في العالم الاسلامي ، وعلى رأينا
في نبوغ الرجال بين المسلمين هذه المقالة التي خطها يراع حضرة ظفر
علي خان . وان بديها أن الامل يعم وينتشر سريعاً بكثرة المسلمين
أصحاب النظر الثاقب والفكر السديد . ونحن نهنيء ظفر علي خان بهذه
الآراء السديدة ونشكره على توجهه الينا هذا التوجه الذي لا نستحقه

اج . ن

بيان الخطأ والصواب الواقع في هذا الكتاب

صواب	خطأ	سطر	صحيفه
لم تخط	لم تخطر	١	٧
الامم مرة أخرى كالمسلمين	الامم كالمسلمين	٣	٩
لوثر على البابا	يؤثر على البابا	١٩	١٨
الوطني في الهند	الوطن في الهند	٦	٣٣
الحياة وقد	الحياة أعوام وقد	١٨	٣٤
للجمود والتدلى	للجمود والتولى	٧	٣٦
ولكن تبعد	ولكن تعبد	١٦	٣٦
والنصرانية	والنصرية	٦	٣٧
العصر وأدواته	العصر وأدواته	١١	٣٨
الاضرحة	والاضرحة	١٨	٣٨
والسحر	ثم السحر	١٩	٣٨
أي حال	أى حلل	٨	٣٩
على المراكب	على المراكد	١٢	٣٩
وهل يرضي	وهل يرض	١٨	٣٩
فترقى تبعا	فترقى طبعا	٣	٤١
المشروع بالعرف	المشروع بالعرف	٣	٤٤
المعاملات من الوجدانيات	المعاملات الوجدانيات	١٨	٤٤
واغترار الانسان	اغترار الانسان	١٨	٤٩
Citoyen	Citoyeor	١٤	٥٥
ويغمزون	ويغمرون	١١	١٠٥

بيان اخطاء والصواب الواقع في هذا الكتاب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠١	٢	القارين	القارين
١٠٢	١٤	وعماذ	وعماذ
١٠٥	١٣	تكون قد فقدنا	نكون قد فقدنا
١٠٥	١٨	كل سواى	كل سورى
١٠٦	٥	من جانب مكة	من جانينا بمكة
١٠٧	٧	وأن المسلمون	وأن المسلمين
١٠٧	١٧	جديرة	جدير
١٠٨	٥	بيادبوك	بياربوك
١٠٨	١٦	وصومبادا	وصومباوا
١١٠	٩	ادوارها	دورا مهما
١١٠	١١	غير الانجليز	غير الانجائز
١١١	١٣	«دفتر هندو»	«دختر هندو»
١١١	١٦	ولكن واذا سمى	ولكن اذا سمى
١٣١	١٦	جزيرة حربة	جزيرة حربة
١٣٩	٨	و«المتواليه»	و«المتاولة»
١٤٠	١	التصرف	التصوف
١٢٤	٣	الاختلاط	الاختلاط
١٤٤	١٦	الاقتضاء	الاقتصاد
١٥٤	٥	(ماندادين)	(ماندارين)
١٥٤	١٣	كانت زاهية	كانت زاهية

بيان الخطأ والصواب الواقع في هذا الكتاب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٥٤	١٥	والعطاء	والعطاء
١٥٨	٣	النجار ب	التجار ب
١٥٩	١١	تضط	تضطر
١٧١	١٢	لصيد التمر	لصيد النمر
١٧٢	٥	يدل ذلك على آراء	يدل على ذلك آراء
١٨٨	٥	من أمره	من أمره
١٩١	١٤	أعراض	أغراض
١٩٥	١١	ديانريد	ويانريد
١٩٧	١	فقلنا	نقلنا
١٩٨	١٤	فقد قيل	فكم قيل
٢٠٠	٧	للهيئة	الهيئة
٢٠٣	١٠	مجرا	بحرا
٢٠٤	٦	امكان	مكان
٢٠٨	١	فتبقى	فستبقى
٢٠٩	١٧	للقريتين	للقريتين
٢١٤	١١	مستعمرات مثل	مستعمرات الانجليز مثل
٢٢٢	١٥	فان يتق	فان يبق
٢٩٧	١٨	مستمرة	مستعرة
٣٠٣	١١	بالعربية	بالعرب
٣٠٥	٧	الذين	اللذان

فهرس

صحيفة

٨	مقدمة
١٦	نظرات عامة فى الاسلام.
٢٥	المدينيتان : الصناعية والحقيقية .
٣٥	مسائل الاجتهاد .
٥٠	الحكومة الاسلامية .
٦٠	المسلمون فى الحال الحاضرة : العرب
٨٦	الأتراك
٩٨	التفرق بين المسلمين
١٠٦	الهنود ، الصينيون ، الماليزيون
١٢٧	استطراد : سياسة المستعمرات الانجليزية
١٣٠	الجماعات الاسلامية الصغيرة
١٣٣	الشيعة واليرانيون وغيرهم
١٤٠	فوضى المسلمين
١٤٨	استطراد : الانحطاط الدينى
١٥٧	{ اصول الاستعمار الاوربي . آراء الدكتور جوستا ولوبون }
١٧٩	كتاب السير سكاون بلانت للمصريين
١٩٦	استطراد : حق الاستعمار
٢٠٣	سياسة الامبراطوريات . الانجليز

صحيفة

- ٢١١ أمريكا
٢١٥ روسيا
٢٢١ فرنسا
٢٣٠ اليابان
٢٣٣ ألمانيا والاتفاق المثلث .
٢٣٧ المسلمون والمذاهب المفرطة والامم المحكومة
٢٤٧ الاتحاد الاسلامي واقع الآن حقاً
٢٥٣ المسلمون والانحطاط
٢٥٥ المسائل الاسلامية المشتركة. الخلافة
٢٦٠ الحج
٢٦٣ المعارف الاسلامية العامة
٢٦٦ الآداب الاسلامية وغيرها
٢٦٨ الاسلام وعداوة النصارى
٢٧٠ الاسلام والقانون الدولي
٢٧٧ استطراد : الاتحاد الاسلامي
[الأمل :
٢٨٥ نهضة المسلمين — الخطط
٢٩٤ عرض اعتذار ورجاء غفو

-
- ٢٩٥ حقيقة لاخيال (لسليمان نظيف بك)
٣٠٢ السلطان سليم ياوز ، بارباروس ، كمال ، عبد الحق حامد
٣٠٣ الاتحاد الاسلامي (نامق كمال)

صحيفة

۳۰۹ تقریظ عبد الحق حامد

۳۱۱ جوابہ

۳۱۲ تقریظ محمد بك فريد المصري

۳۱۵ رأى مترجم الاستاذ دوزى

۳۱۶ الاتحاد والاسلام (عبد العزيز جاویش افندى)

۳۲۹ اوربا واتحاد المسلمين (على باش حانبه افندى)

۳۲۸ مسلمو الهند والجامعة الاسلامية

